المقتطف

الجزء الثالث من المجلد السادس والتسعين

١ مارس سنة ١٩٤٠ — ٢٢ محرم سنة ١٣٥٩

اسرار الذرة (١)

الادلة كثيرة على ان قوام الذرة نطاقٌ سديميٌّ من الكهيربات (الالكترونات electrons وقد جاريتا مجمع لغوي الاول للغة العربية في استعمال الكهيرب بدلاً من الكهرب والالكترونات رغبةً في توحيد المصطلحات العلمية) تدور بسرعة عظيمة حول نواة كثيفة موجبة الشحنة الكهربية. ويقول العلامة لورنس الاميركي احد حائزي جائزة نوبل الطبيعية ان ثقتنا بصحة هذا القول تجاري ثقتنا بصحة القول بأن السيارات تدور حول الشمس

عدد الكهيربات وترتيبها حول النواة يبيّنان الخواص الكيميائية والطبيعية التي تتصف بها الذرة. ولكن الشأن الاول في تركيب الذرة هو شأن النواة. والنواة قوامها مجموعة محشوكة من النوترونات والبروتونات — وهي اللبنات التي تبني بها الطبيعة نوى العناصر — ووزن البروتون يفوق وزن الكهيرب نحو ١٨٤٠ ضعفاً. فلذلك نجد ٩٩٫٩٩ من وزن الذرة مستقرًّا في النواة. ولما كانت الكتلة مظهراً من مظاهر الطاقة فالنواة مقر طاقة الذرة علاوة على مقر كتلتها

أما البروتونات فموجبة الشحنة الكهربية. وعددها في النواة يعدل عدد الكهيربات حول النواة، لأن الذرة متعادلة الكهربية وشحنة كل بروتون تعدّل كهيرباً وهو شحنة سالبة

ولما كان عدد الكهيربات بين الخواص الكيميائية والطبيعية التي تتصف بها الذرة فالشحنة

---

(١) المقتطف: كتبنا هذا المقال على أثر سماع محاضرة الاستاذ حبيب اسكندر في (استحالة العناصر) ألقاها في جماعة مدرسي العلوم برئاسة الاستاذ أمين براهيم كبير مفتشي الكيمياء بوزارة المعارف

التي تحملها النواة بعين موقع تلك الذرة في الجدول الدوري . أما عدد النوترونات في النواة فيلوح ان لا شأن لهُ في كيمياء الذرة . ولكن النوترونات — وكل نوترون بروتون وكهرب قريب أحدهما من الآخر — لها شأن من حيث قلتها وكثرتها في نقص وزن الذرة او زيادته . ومن هنا نفهم ظاهرة النظائر العنصرية — isotopes — اي وجود ذرات عنصر معين تختلف وزناً ذريًّا ولكنها لا تختلف في خواصها الكيميائية والطبيعية . وتفسير ذلك انه اذا نقصت ذرة عنصر معين نوتروناً واحداً نقص وزنها ولكن شحنة النواة تبقى على ما هي وعدد الكهربات يبقى على ما هو فلا تختلف الخواص وان اختلف الوزن

إن ذرة عنصر الايدروجين تحتوي على نواة توامها بروتون واحد والنطاق الكهربي خارج النواة يحتوي على كهرب واحد ، وهذه النواة أبسط نوى الذرات تركيباً . وتليها نواة الدوتيريوم (او الديتوجين وفقاً للنسبة الانكليزية) وهو الاسم الذي يطلق على الايدروجين الثقيل . وتعرف هذه النواة باسم د . ترون (او دبلون وفقاً للنسبة الانكليزية) وتوامها نوترون وبروتون وكهرب واحد . ولما كان الجو الكهربي في نواة الايدروجين يحتوي على كهرب واحد والجو الكهربي في نواة الدوتيريوم يحتوي كذلك على كهرب واحد فخواص الدوتيريوم الكيميائية والطبيعية هي خواص الايدروجين ، ولكن وزن الدوتيريوم ضعفا وزن الايدروجين لان نواتهُ تحتوي على بروتون (وزنهُ واحد) ونوترون (وزنهُ واحد كذلك) ومن هناك سمي هذا الصنف الخاص من الايدروجين بالايدروجين الثقيل

وهناك صنف ثالث (او نظير ثالث) من الايدروجين يعرف باسم تريتيريوم ووزن نواته ٣ ويلي ذلك نواة ذرة الهليوم ، وقوام نواتها نوترونان وبروتونان . أما النوترونان فجسمان صغيران كلٌّ منهما متعادل الشحنة الكهربية ، وأما البروتونان فلكل منهما شحنة موجبة واذن لا بدَّ من ان يكون في الجو الكهربي خارج النواة كهربان يعدِّلان فعل شحنتي البروتونين . ووجود الكهربين خارج النواة يجعل خواص هذه الذرة الكيميائية والطبيعية مختلفة عن خواص الايدروجين الذي لا تحتوي ذرتهُ في جوها الكهربي الاَّ على كهرب واحد

وقد أثبت البحث الحديث ان طائفة كبيرة من العناصر لها نظائر أي ذرَّات تختلف وزناً وتتشابهُ في خواصها . وهذا معناه ان عدد النوترونات في نوى ذرَّات عنصر ما مختلف ، حالة ان شحنة النوى الموجبة في ذلك العنصر وعدد الكهربات حولها واحد . وفي عدد حديث من مجلة « ملخص العلم » ان نظائر الفضة عشرة

أثقل العناصر المعروفة هو عنصر الاورانيوم Uranium وقوام نواته ٩٢ بروتوناً و ١٤٦ نوتروناً . ووجود ٩٢ نوتروناً في النواة يقتضي وجود ٩٢ كهرباً خارجها في الجوّ الكهربيّ

الذي يحيط بها . ولكن عدد النوترونات قد يختلف . فاذا بلغ ١٣٧ نوروناً حصلنا على أثقل نظائر الأورانيوم إذ يبلغ وزنهُ الذري ٢٣٩ (بدلاً من ٢٣٨ وهو الوزن الذري المعتاد) ولكنهُ يبقى أورانيوماً على كل حال لان شحنة نواته الموجبة (وهي ٩٢) وعدد كهيرباته لم يتغير

ولكن العلم يبقي التدقيق في القياس والوزن . فاذا قلنا ان وزن نواة نظير ما يعدل «تقريباً» مجموع اوزان النوترونات والبروتونات الداخلة في تركيبها فربما العلم عن هذا القول التقريبي . والواقع ان مجموع اوزان النوترونات والبروتونات يزيد شيئاً يسيراً جداً عن وزن النواة الفعلي . فأين ذهب الفرق ؟ والرأي ان حشك هذه الاجسام في حيز دقيق جداً أفضى الى خسارة جانب يسير جداً من مجموع كتلتها . ولهذه الخسارة شأن عظيم في علم الذرة الحديث[1]

ولا يخفى أن النوترونات والبروتونات اجسام دقيقة صلبة كروية . ولا يعلم علماء الذرة عن بناء النواة اكثر من ان قوامها نوترونات وبروتونات محتشدة معاً في حيز ضيق ومتماسكة على نحو ما تتماسك جزيئات الماء في قطرة منهُ

فاذا عرفنا ذلك عرفنا ان تحويل العناصر بعضها الى بعض مسألة بسيطة من الناحية النظرية. ذلك بأن عدد البروتونات في النواة يعيّن عدد الكهيربات في الجوّ الكهيربي الذي يحيط بها وعدد الكهيربات يعين خواص الذرة الكيميائية والطبيعية اي انهُ يعين موقعها في الجدول الدوري . فتحويل عنصر الى آخر يقتضي تغيير عدد البروتونات في النواة

وأدرك رذرفورد ان هذا التغيير يقتضي اطلاق قذائف قوية الزخم على النواة الذرية بغية تهشيمها لانهُ أدرك ان الطاقة التي تمسك جسيمات النواة معاً طاقة عظيمة . وان النواة يحيط بها سورٌ كهربائي كثيف . وأثبت بتجاربهِ ان جسيمات الفا المنطلقة من الراديوم هي في الواقع نوى ذرات الهليوم تتصلح من حيث كتلتها وسرعتها لاستعمالها قذائف توجّه الى نوى ذرّات العناصر بغية تهشيمها

وأتمّ رذرفورد تجاربه الاولى في تحويل العناصر قبل نهاية الحرب العالمية الماضية ففاز بنتائج تبعث على الرضى ولكن مهامه في خلال الحرب حالت دون المضي في هذا البحث قبل سنة ١٩١٩ فعاد الى مسل البحث في تلك السنة وأثبت اثباتاً لا يدانيه الريب ان النتروجين يتحول الى اكسجين . ذلك بأنهُ وجّه جسيمات الفا المنبعثة من مادة مشعة الى غاز النتروجين فلاحظ ان نتيجة الاصطدام بين هذه الجسيمات ونوى ذرات النتروجين هي انطلاق بروتونات سريعة من النتروجين

فأفضى ذلك به الى الاستنتاج المنطقي مما تقدم وهو ان بعض جسيمات ألفا اخترقت غاز

(١) الرأي ان هذا الفرق في الكتلة يتحول طاقة تربط أجزاء النواة بعضها ببعض

التروجين فاصطدمت في خلال اختراقها الغاز بنوى بعض الذرات وكانت قوة الاصطدام عظيمة فقذفت من النواة أحد بروتوناتها ، ولم يكن النوترون معروفاً حينئذٍ . فلما ثبت وجوده ظهر ان من نتائج اصطدامات من هذا القبيل اقذاف بروتونات ونوترونات وفقاً للمناصراتي تجرَّب بها التجارب ولقذائف المتسلة

الا ان تجارب رذرفورد وجهت انظار الى وجوب الفوز بقذائف متنوِّعة تنطلق بطاقة عظيمة حتى تستطيع النفوذ من خلال السور الكهربائي الذي يحيط بالنواة . ولذلك عنيت معاهد البحث الطبيعي بالبحث عن أساليب تمكنها من اسراع انطلاق القذائف لأجل البحث في قوام النواة

والنوترونات على ما تقدم متعادلة الشحنة الكهربية فهي تستطيع أن تخترق السور الكهربي حول النواة بغير ان تنحرف بفعل الجذب او الدفع الكهربيين ، والغالب ان النوترون اذا أصاب نواة فانهُ يلصق بها ويشاطر أجزاءها ما فيها من طاقة . فيحدث عندئذٍ أن ينقذف الى الخارج نوترون او اكثر من النوترونات الداخلة في تركيب النواة فتتحول تلك النواة الى نواة نظير او أكثر . واذا قذف من النواة بروتون تحولت الذرَّة الى ذرَّة عنصر آخر لان عدد البروتونات (وبالتالي عدد الكهربات) يعين الخواص الكيميائية والطبيعية وموقع العنصر في الجدول الدوري

***

ولكن العناية بالنوترونات وتياراتها لم تقتصر على علماء الذرة بل امتدتهم الى علماء الاحياء . واهتمام علماء الاحياء بها جاءهم من ناحية امتصاص المادة لهذه الجسيمات . فالمادة الحية الكثيرة الايدروجين في تركيبها كالانسجة الحية أشد امتصاصاً للنوترونات من المواد الكثيفة كالحديد والرصاص . فاذا استعملت جهاز « الفلوروسكوب » ووجهت الى الجسم تياراً من النوترونات بدت لك العظام وهي أكثر شفوفاً من اللحم

ثم ان النوترون يحدث تأيناً (ionization) من نوع خاص يختلف عن التأين الذي تحدثهُ الاشعة البيتية . فالاشعة البيتية تصيب الذرات فتقذف منها كهربات سريعة فتبقى الذرَّة ايوناً موجباً . ولكن النوترونات تخترق الطاق الكهربي الى النواة فتقذف منها بعض اجزائها فتحوِّلها ايوناً سالب الشحنة . فلما تبيَّن علماء الاحياء هذه الفروق في خواص النوترون والاشعة البيتية بدأوا يسألون عن يختلفان كذلك في ما لهما من تأثير في النسج الحية . فأجريت تجارب متعددة في « مخبر الاشعاع » بمعهد باركلي بكاليفورنيا فأسفرت عن ان تأثيرهما في الانسجة الحية يختلف

أجرى التجربة الاولى الدكتور جون لورنس احد اساتذة الطب بجامعة يايل فوجَّه

تياراً من الوترونات مصدرها من الجهاز الرحوي (سيكلوترون) الى الخردلين فوجد ان هذا التيار يميت اي ان الخردلين التي وجّه اليها ماتت بعد تعرضها له بضع دقائق

وتلاه بعض آخرين كبركل Birkin وايبرسولد Ebersold فدرسا بالتجربة تأثير الوترونات في منع نمو البزور والأمراض أو تأخيره فوجدا ان تيارات الوترونات تعيق نمو أفراخ القمح خمسة اضعاف ما تعيقها الاشعة السينية . وان الاولى أشدّ فتكاً بيض ذباب الفاكهة (الدروسوفيلا) من الثانية بمقدار ١ر٢ وعلى ذلك فقد أثبتت هذه التجارب ان تأثير الوترونات في النسج الحية يختلف عن تأثير الاشعة السينية . فأثارت هذه النتائج موضوع تأثير تيارات الوترونات في النواحي السرطانية وما كان شبيهاً بها وهل الوترونات اشدّ تأثيراً فيها من الاشعة السينية ؟

فابتكر لورنس وإيبرسولد سلسلة من التجارب أجروها على نموّ سرطاني في جسم فأر وعلى نموّ سرطاني في قدمي فوجدوا ان الوترونات تفوق الأشعة السينية ٥ر٢ الضعف في الفتك بنسيج النمو السرطاني ، وتحولوا بعد ذلك الى مقابلة تأثير الوترونات بتأثير الأشعة السينية في الفتك بالسرطان فوجدوا تأثير الأولى يفوق تأثير الثانية ٣٫٨ اضعف . فدلّت هذه التجارب على انهُ اذا كانت قوة الأشعة من النوعين غير قاتلة فتيارات الوترونات أشد تأثيراً من الأشعة السينية وفي هذا إشارة الى احتمال استعمال الوترونات في العلاج

في سنة ١٩٣٢ كشفت إيرين كوري جوليو (وهي كريمة مدام كوري) وزوجها الاستاذ فردريك كوري جوليو انهُ اذا صدمت جسيمات ألفا الى عنصر البور (...) انطلقت منهُ نوترونات وبوزيترونات — وهذه الاخيرة هي الكهيربات الموجبة الشحنة التي كشفها أندرسن في تلك السنة — فخلصا الى القول بأنهُ اذا قذف البور بجسيمات ألفا حدث أحد أمرين . فإما ان يقذف بروتون على نحو ما بيّن رذرفورد . وإما ان يقذف منهُ نوترون وبوزيترون

وبعد ذلك بمدة أشهر لاحظ الاستاذ كوري جوليو وزوجهُ ان انطلاق البوزيترونات من البور يستمرُّ بعد قذفه بجسيمات ألفا عليه ، وبذلك كشفا نوعاً جديداً من النشاط الاشعاعي (radioactivity) نشأ من اطلاق جسيمات ألفا على البور فهو يختلف عن النشاط الاشعاعي الذاتي في الراديوم في انهُ مستحدث بفعل فاعل فأطلق عليه اسم « النشاط الاشعاعي المستحدث » أو « الاصطناعي » artificial radio-activity

هذا الكشف أثبت أن انطلاق النوترون والبوزيترون من البور لا يحدث في وقت واحد . وان النوترون ينطلق أولاً فيترك وراءه نواة شحنتها الموجبة ٧ (وإذن فهي نواة نتروجين) ووزنها ١٣ وهو أقل من وزن النتروجين المألوف وإذن فهي نواة نظير نتروجين . وكانت هذه الذرة غير مستقرة التركيب . ثم تطلق هذه النواة بوزيترونا من تلقاء نفسها ولذلك يغدو

هذا الضرب من التزوجين مشعًا . فاطلقا عليه اسم التزوجين المشع radiothorium . بعد انطلاق البوزيترون يتحول التزوجين المشع الى كربون عادي (وهو احد نظائر الكربون ورقم 6).

في هذه التجارب الاولى استحدث النشاط الاشعاعي في عنصرين آخرين هما الفوسفور والسليكون وبعد ذلك زاد عدد العناصر المشعة اشعاعاً مستحدثاً او صناعيًا زيادة كبيرة . ومع ان ظاهرة النشاط الاشعاعي المستحدث لم تكشف الا من ست سنوات تقريباً فقد بلغ عدد العناصر ونظائرها التي استحدث فيها النشاط الاشعاعي نحو مائتين . أ . طرق استحداث النشاط الاشعاعي فيها متعددة . منها اطلاق جسيمات الفا عليها . ومنها اطلاق البروتونات او النوترونات او الدوترونات . والاخير اي اطلاق الدوترونات من الجهاز الرعوي (cyclotron) كان أفضلها في استحداث النشاط الاشعاعي في عناصر أو نظائر غير مشعة بالطبيعة

ولا يخفى ان النظائر المشعة تشبه العناصر نفسها من ناحية خواصها الكيميائية والطبيعية والحيوية (البيولوجية) لأن العناصر التي ينطلق منها نوترونات تختلف وزناً ولكن عدد البروتونات في النواة وعدد الكهربات حولها يبقيان بلا تغيير فتبقى الخواص الكيميائية والطبيعية بلا تغيير

وفي استطاعة الباحثين الآن ان يتبينوا لبعض العناصر المشعة اشعاعاً مستحدثاً من اثر في الجسم بعد مدة تذكر وهذا مبدأ اسلوب جديد يمكن الكيميائي والبيولوجي من تتبع تأثير ذرات بعض العناصر في ما تدخل فيه في الجسم من تفاعلات كيميائية وحيوية . للدلالة على هذا الاسلوب نسوق الى القارىء ما قاله الدكتور هملتون عندما تتبع سير الصوديوم المشع اشعاعاً مستحدثاً في الجسم . حوّل اولاً حفنة من الملح العادي الى ملح مشع بتوجيه تيار من الدوترونات اليها ثم حلها في الماء . الا ان اطلاق الدوترونات على الملح ولّد صوديوماً مشعاً وكلوريناً مشعًا (لأن الملح العادي هو كلوريد الصوديوم) ولكن الكلورين المشع قصير العمر . فترك الدكتور هملتون محلوله نصف يوم قبل استعماله حتى فقد اكثر الكلورين المشع قدرته على الاشعاع فبقي المحلول محلول ملح ولكن الصوديوم الذي فيه كان يحتوي على ذرات قليلة نسبيًا من الصوديوم المشع وبعد ذلك شرب احدهم هذا المحلول وهو واضع يده على عدّاد جيجر Geiger فلم تنقض دقيقتان حتى بدأ العدّاد ينبّئ عن وجود اشعاعات في اصابع الامه وهذا يعني انهُ في خلال الدقيقتين امتصّ الدم قدراً كافياً من جزيئات الملح المحتوية على صوديوم مشع فجرى في تياره حتى بلغ الانامل . وظلّ النشاط الاشعاعي في الانامل يزيد حتى بلغ اقصاهُ بعد ثلاث ساعات . ثبت من هذه التجربة ان انتشار جزيئات الملح في الجسم انتشاراً متساوياً يحدث بعد انقضاء ثلاث ساعات على شرب المحلول المالح .

الاقزام البيض

سرّ مادة عجيبة

تفوق كثافتها كثافة الرصاص ٣٥٠٠ ضعف

ان العلماء لا يطلقون لفظي «الاقزام البيض» على سلالة خاصة عجيبة من الناس تعيش في أحد مجاهل البرازيل أو غيرها من البلاد التي لم يُكتشفها الرواد على أتم وجه . وانما يطلقونها على طائفة عجيبة من النجوم . وفي هذا المقال وصف لأشهر ما تتصف به وتفسير لذلك

لا يخفى أن الذهب من أثقل العناصر . فاذا أخذنا كرة من الذهب في حجم الجوزة المتوسطة وجدنا وزنها يبلغ رطلاً ونصف رطل تقريباً . ولكن تصور ايها القارىء الكريم كرة بحجم الجوزة المتوسطة مصنوعة من مادة تجعل وزن تلك الكرة ١٤٦٠ طنًّا ! اي ان وزن تلك الكرة يعدل وزن ما يحمله ثلاثون قطاراً من القمح على اعتبار ان القطار الواحد يحمل نحو ٥٠ طنًّا واذا وضعت كرة من هذا القبيل على سطح طريق مرصوف بالاسمنت غرزت فيه واخترقت طبقات الارض التي تحته لثقلها ولشدة جذب الارض لها كما يسقط حجر في ماء بحيرة الى قعرها

قد يبدو لك ايها القارىء الكريم ان هذا التصوُّر قائم على الوهم والخيال . والواقع انهُ لو ذهب أحد العلماء من خمس عشرة سنة الى ان هناك ضرباً من المادة يبلغ هذه الدرجة من الكثافة لوصف قولهُ بالوهم . ولكن تبلغ منتهى الدهشة والعجب اذا قلنا ان هذه المادة ليست مادة جامدة بل هي مادة غازية

ومع ذلك كله فالعلم الحديث يذهب ، على ما يبيّن الدكتور شرلتن — احد علماء الفلك بمرصد بركنز الاميركي التابعة لجامعة شيكاغو — الى ان هذه المادة العجيبة هي قوام النجوم المعروفة بالأقزام البيض

ما الاقزام البيض ؟ وأين نجدها ؟

من أشهر النجوم التي تألق في القبة الزرقاء النجم المعروف بالشعرى اليمانية وهي علاوة على ذلك من اقرب النجوم الينا اذ لا يزيد بعدها عنا على خمسين مليون مليون ميل اي ٨٫٨ سنة ضوئية . والشعرى من طبقة النجوم المألوفة في رحاب الفضاء مرتفعة الحرارة متألقة الضياء . ولكن الشعرى لها رفيق عجيب وهذا الرفيق من طبقة الاقزام البيض . أي ان الشعرى ورفيقها نجم

مزدوج [illegible] النجوم المزدوجة ليست نادرة في الفضاء بل هي كثيرة جداً. ترتبط بين النجمين قوى جاذبية عظيمة فتحركهما حول نقطة مشتركة

وعلماء الفلك [illegible] يلبثوا كتلة النجم المزدوج حتى مرة واحدة حركة النجمين حتى ظهر ان كتلتي النجمين درجة واحدة فالغالب ان يكون [illegible] واحدة كتلة ولكن الاقزام البيض تخترع على بلوح النواميس التي [illegible] كتلة الشعرى لا تزيد على كتلة رفيقها الا مرة ونصف مرة ومع ذلك فاشراقها يفوق اشراقها عشرة آلاف مرة. ولما كان لون الضوء الشع من سطحهما واحداً او يكاد يكون واحداً وجب ان تكون حرارة سطح النجم الواحد قريبة من حرارة سطح النجم الآخر

وعلماء الفلك يعلمون انهُ اذا تساوت أحوال نجمين واختلفا فقط في حرارتهما فأشدهما حرارة ألمعهما ضياء ولذلك يعنون باستطلاع حرارة سطح النجم ليستخرجوا منهُ بالأساليب الفلكية والطبيعية الرياضية مقدار ما تشعُّ كل قدم مربعة من الصفحة من ضوء ومقدار ما يشعُّ من الطاقة من مساحة قدم مربعة وعرف مجموع الاشراق استطاع العلماء ان يستخرجوا مساحة سطح النجم ومنهُ يتوصلون الى معرفة قطره

هذا النوع من البحث في رفيق الشعرى أفضى من سنوات الى حقائق تبعث على الدهشة ذلك أنهم وجدوا ان كتلتهُ قريبة من كتلة الشمس ، ولكن هذه الكتلة العظيمة محشودة في نطاق ضيق لا يزيد على أربعة أجزاء من مائة الف جزء من حجم الشمس ($\frac{4}{100000}$) فلما وصلوا الى هذه النتيجة شعروا بالحزن أولاً لا بالدهشة . لأنهم ظنوا ان النتيجة التي وصلوا اليها تنطوي على خطأ أساسي لان النتيجة كما هي لا يمكن ان تمثل الحقيقة ! فأعادوا الكرة على الارصاد والحسابات فلم يجدوا خطأ ما . ومع ذلك فالنتيجة التي وصلوا اليها تحتم عليهم ان تكون مادة ذلك النجم شديدة الكثافة تفوق كثافة الرصاص ٣٥٠ ضعفاً ولو أخذ منها ما حجمهُ بوصة مكعبة وجيء به الى الارض لبلغ وزنهُ ١٤٠٠ رطل

كان هذا النجم العجيب لغزاً محيراً لافهام الفلكيين منذ ما كشفه . في نحو قرن كان الفلكي الالماني بسل Bessel معنيًّا بتعيين مواقع طائفة منتخبة من النجوم وتحديد افلاكها على وجه متقن في التدقيق . وكان غرضهُ ان يستعين بذلك على برهنة ما يأتي بعدهُ من العلماء ، على قياس مواقع وافلاك النجوم الأخرى بالقياس اليها . فجعل يرصد هذه النجوم عند اجتيازها خط الهاجرة يوماً بعد يوم وليلة أثر ليلة

وفي سنة ١٨٤٤ جمع ارصادهُ ليضع تقريرهُ النهائي . وكان يتوقع ان يرى أرصاده تدل على ان هذه النجوم تجتاز خط الهاجرة في اوقات معيَّنة دقيقة . وصحَّ ما توقعهُ على جميع النجوم

التي رصدها إلاّ ان الشعرى شذت عن هذه القاعدة . فكانت في بعض السنوات تجتاز خط الهاجرة متقدمة عن ميعادها المضروب وفي البعض الآخر متأخرة عنهُ . فكان طريقها في الفضاء طريقاً غير منتظم

فسر بسل هذا الاضطراب في حركتها بأن لها رفيقاً : وكذلك اضاف اسم الشعرى الى كشف النجوم المزدوجة . ولكن الفلكيين عجزوا عن رؤية رفيق الشعرى بالمراقب الا انهم سلموا بوجوده ويظن السر آرثر ادنتن انهُ ان كوكب خفيّ عن الابصار سلم العلماء بوجوده . وسلموا كذلك بأنهُ مظلم فسكانهُ شمس قد خبا نورها واتخذوا ذلك دليلاً على ان في الفضاء شموساً مظلمة علاوة على النجوم المشرقة التي نرى

ومع ذلك لم تنقض ثماني عشرة سنة على فرض وجوده حتى رآه الاميركي الفن كلارك صانع عدسات المراقب المشهور . والرواية ان كلارك كان يرصد الشعرى لا لشدة عنايته بها ولكن ليضبط بها صقل العدسة الكبيرة التي كان في سبيل صنعها . ولعله تأسف عندما رأى نقطة من الضوء قرب الشعرى حاسباً ان ذلك دليل على خطإ او خلل في صقل العدسة . فأعاد الكرة على عدسته مدققاً في صقلها ولكن النقطة من الضوء لم تزل من حقل النظر فروى ذلك لفريق من اصدقائه المهتمين بشؤون الفلك فأثبتوا انها تمثل رفيق الشعرى المنشود

وانقضى نصف قرن آخر صنعت فيه المراقب الكبيرة وصارت رؤية رفيق الشعرى ميسورة فرصد النجم المزدوج رصداً مدققاً . وعرفت حركات التجمين ونسبة اشراق كل منهما الى الآخر ولكن احداً لم يرَ في كل ذلك شيئاً خاصًّا يستوقف النظر ويسترعي العناية او يبعث على الدهش . ذلك ان علماء الفلك كانوا يعلمون ان هنا نجوماً شديدة الحرارة بيضاء مزرقة في لون ضوئها تطلق قدراً كبيراً من الضوء وان هناك اخرى حرارتها منخفضة ولون ضوئها حمار واشراقها ضعيف . وكان من المتعذر تبين لون ضوء الرفيق لشدة اشراق الشعرى نفسها ولكن كل احد تقريباً ظنَّ ان رفيق الشعرى نجم صغير احمر (قزم احمر petit devant)

الاّ ان أدمن وجد في سنة ١٩١٤ وهو يبحث في هذا الموضوع في مرصد جبل ولسن ان ضوء رفيق الشعرى ليس حماراً بل هو ابيض مزرق . وذلك بعد تحليله بالمطياف . واذن فهو ليس بقزم أحمر بل هو قزم أبيض . هنا غلبت الدهشة والحيرة بعلماء على أذهان العلماء . أن لون ضوئه يدل على ان درجة حرارته من رتبة حرارة الشعرى نفسها . فلماذا يزيد اشراق الشعرى على اشراقه بعشرة آلاف ضعف ؟

وانقضى عدد من السنين قبلما فهم السر

في خلال هذه السنوات اكتشفت نجوم بيض أخرى . أحدها رفيق الشعرى الشامية او السيقاء

Proxima . وأثبت باحث يدعى كرين ... ان هناك طاقة كبيرة من النجوم الغائرة في الحفيرة التي كانت تظل قريبة من النظام الشمسي وانها بستة نجوماً خبت فيها النيران فبردت نسبيًّا واستحال لونها الى الاحمر بل هي في سنة ... من هذه الاقزام نجم اشراقهُ ... من اشراق أخفى النجوم التي تتيسر للمراصد . ... ان كتلتهُ فضعف كتلة الشمس ... ان كان حجمهُ لا يزيد على حجم الزهرة . فلو وضع انك اذا حشكت مادة تفوق مادة الشمس ضغطين في حيز لا يزيد على حجم الزهرة فلا بدَّ ان تكون هذه المادة كثيفة جدًّا . والواقع ان علماء الفلك يقولون ان بوصة مكعبة من مادة هذا النجم تزن ٦٢٠ طنًا

فاذا ذهب رجل يلغ وزنهُ على سطح الارض ١٥ رطلاً الى سطح هذا النجم وقطع النظر عن شدة حرارته — على سطحه فانه يزن يلغ ٢٥٠ الف طن ، ويلغ من شدة جذب مادة النجم لها أن يضغط بسطحهُ كلهُ واقع تحت البواخر الثلاث الكبرى — النورماندي وكون ماري وكون اليزابث — مجتمعة

فكيف تفسر هذه الاتوال ؟

تنو الذرات للضغط لان الفراغ بين ذرة وأخرى وجزيء وآخر كبير جدًّا ، ومعنى هذا تنفخ الهواء في عجلة سيارة لا تضغط جزيئات الهواء نفسها وانما تقلل المسافة التي تفصل بينها ولكن اذا مضينا في ضغط الهواء تحول سائلاً وعندئذٍ تعجز زيادة الضغط عن تقصير حجم السائل تقصاً يذكر

أما السوائل والجوامد فالذرات والجزيئات فيها قريب بعضها من بعض حتى تكاد تلاشي المسافات بينها . ومن هنا صعوبة ضغطها وتقص حجمها . ولذلك قيل من عشرين سنة ان تحت المادة بحيث تصبح كثيفة كثافة مادة رفيق الشعرى وهم او خرافة . فالعلماء حينئذٍ كانوا لا يعرفون طريقاً الى فهم انحناك مادي من هذا النوع

ولكننا نعلم الآن ان الذرات نفسها تراغ على الاكثر فمعظم كتلة الذرة مركزة في نواتها . والكهربات واقعة في نطاق سمكهُ حول النواة وعلى ابعاد كبيرة جدًّا بالقياس الى حجم النواة والكهربات نفسها . حتى ان بلغ مساحة الكهربات في بعض الذرات الوقاً من اضعاف حجم النواة نفسها . وقد أثبت ادنغتون ان مادة الذرة اذا بلغت الحرارة في باطن نجم من النحو ٧٥ مليون درجة فارنهيت تجردت الذرات من كهربائها فلا يبقى الا النوى المجردة . وهذه النوى تشغل حيزاً صغيراً جدًّا بالقياس الى حجم الذرة فعندئذٍ يصبح حشك نوى الذرات مستطاعاً وهذا يولد مادة كثيفة جدًّا وثقيلة جدًّا وبهذا يفسر سرُّ الاقزام البيض

البحث العلمي

وتأثيره في الصناعات الحربية

لمعالي صابا حبشي بك
وزير التجارة والصناعة(١)

في حديث للعلامة وليم جيمس — أستاذ علم النفس الأسبق في جامعة هارفرد — وجهه الى مدرسي علم النفس قال ، ان كلامه فيها مثال على سلطان العادة لأنه على قوله « حاضر في موضوع العادة وطبع فصلاً عنه في كتاب ثم قرأه بعد طبعه فوجد ان لسانه على الرغم منه يجري عليه عباراته القديمة وأنه يكرر غالباً ما سبق ان قاله نبلا تحريفه»

ومن أسابيع قليلة ألقيت محاضرة في حفل آخر في البحث العلمي بمناسبة اعلان المرسوم الملكي بانشاء « مجلس أهلي للبحوث » تخليداً لذكرى صديق العلم العظيم المغفور له الملك فؤاد الأول . بيد اني أرجو أن أتغلب على سلطان العادة واعترفها فلا أكرر ولا أعيد ماسبق ان قلته . وشعوري يؤكد لي أن لساني سوف لا يجري عليه بسهولة عباراته القديمة لأنها كانت فرنسية النطق ! . وفضلاً عن ذلك فاني سأحصر انتباهكم في مدى محدود من حقل التجارب العلمية الواسع فتجتازه مستعرضين المشاهد العلمية من حيث هي عامل في التقدم الصناعي

أما العلم النظري والبحوث الأساسية فهي خارجة عن نطاق موضوعنا الحالي وهذا ما يدركه كثير من المستمعين الذين يستمعون الي الآن ومع أوفر ثقة مني ان أحاديثهم فيها . وانما يعنيني هنا تطبيق المكتشفات العلمية على حل المشكلات الصناعية « بتحويل علم المعادلات الى علم الاشياء» وذلك على حد تعبير شارلز كترج (Kettering) مدير معامل الأبحاث في شركة جنرال موتورز ونائب رئيسها

ولي عظيم الشرف ان أعبر عن شكري القلبي للاتحاد الانكليزي المصري ما أتاحهُ لي من فرصة لأحاضركم في البحوث العلمية في الصناعات الحديثة وهو موضوع يلائم الاتحاد الذي يرمي الى تعزيز الصداقة والتفاهم الروحي بين مملكتينا المتحالفتين . لان في ميدان الكشف عن

(١) القيت هذه المحاضرة النفيسة في الاتحاد الانكليزي المصري بدعوة من مجلس ادارته في مساء ١٧ فبراير فرحبنا على أن نسجل في المقتطف نصها الكامل بعد نقلها من الانكليزية بتصرف يسير وهذا نصها الاول

منابع الثروة المصرية ما كانت أغنى عظمة بفضل التعاون العلمي بين مصر وبلجيكا. ولكن لا يزال هناك أعمال كثيرة تتطلب التحقيق ... وذلك على حد تعبير سعيد رمزي

***

في كتاب قديم من كتبنا المدرسية اسمه (خمسون واقعة حاسمة في التاريخ) كان الفار الذي يكلل جباه من كسبوا الوقائع كافياً لأشباع حيثنا الى عادة البطولة. واطلب حماسة شبابنا. ولكن صوت التفكير الناضج الذي نحرزه بمرور الايام يهتف بنا ان هذه الوقائع لم تكن وحدها المراحل الحاسمة في تحويل مجرى حياة الجنس البشري. دفار للسلام انتصارات ليست دون انتصارات الحرب شهرة ومجداً

وفي كثير من الأحايين كانت الحروب الظالمة التي غامرت بها الأمم الباغية، ذات أثر قليل في أخلاق الناس وطبائعهم. ولكنها كانت تفصل في أمر الذين يخوضون بحارها الدموية الى عروشهم ويظفون بأيديهم أبواب الرحمة في وجه الجنس البشري ويحجبون عنه عدل السماء

وفي آلاف السنين من التاريخ المدوّن. ذوت أكاليل الورد المعفرة على رؤوس هؤلاء الفاتحين الذين ساروا في الارض، وعبروا جسرها بين الخيلاء والاعتياج ثم تلاشت أصواتهم كأنهم لم يوجدوا. ان قصصهم ملأى بالصخب والاحتدام دون ان تدل على شيء خلاف ذلك. حالة ان مخترع المحرات للمصور الاسم كان ينبش الارض ويصل في صمت وخفاء. بكان طيفه ماثل الى جنب كل حارث أرضه الى يومنا هذا. وهأنذا أعيد على مسامعكم سد القول القديم في أمير حديث. ولكن المثال المحرك الذاتي في السيارة مستشهداً بمخترعه (شارلز كترنج Ketering) ومعاونيه من الباحثين الذين تتم ذكرهم. ففي اي لحظة تضغط فيها بأصبعك على زرّ بسيط تتحرك دواع خفية فيدور المحرّك ويتطلق بالسيارة الى الجري والاندفاع. انهم بهذا العمل يقدّمون الى نتاج أدمغتهم وهو يغني عن بذل المجهود الجسماني المضني. ولولا هذا النتاج لتحمّلنا كثيراً من المشاق في سبيل الوصول الى هذه الاغراض. فالمجهود العقلي ليس اقلّ انتاجاً من العمل اليدوي

***

والانسانية مدينة بزيادتها الى البحوث الدؤوبة التي قام بها أولئك الذين أنفقوا لهم الصبر التام عن اسرارها فأقدموا على غزو قواها وتطويعها للاستعمال. وانه صادق من قال ان الثورة الحقيقية في شؤون البشر تتهيأ في معامل البحث لا حول موائد المؤتمرات السياسية. وليس ثمة عجب في ان العصور السابقة للتاريخ كانت تنسب الى مادة أثر مادة كانت تكتشف وتستعمل في صنع الادوات المختلفة. فبدأ الانسان حياته بأستعمال أدوات من الحجر ثم جاء عصر البرونز فعصر

الحديد وقد حفظت لنا السجلات القديمة أسماء بعض صناع [illegible] والأساطير الرومانية تسند الى ڤولكان انه النار انشاءه اول كور للحديد [illegible]

فلنحصر نظرتنا في العصور الحديثة وهي ترتد الى حدث خطير كان غير الأثر بحيث لنا ان نصفه بأنه كان مرحلة انتقال في تاريخ الجنس البشري [illegible] باسم « الثورة الصناعية ». ولكن اذا شئنا ان ندعو الاشياء بواعثها العميقة بدلاً من وصفها بآثارها البادية جاز لنا ان نطلق عليه وصف « الثورة العلمية ». تقدم ذلك الحدث اختراع المحرك البخاري على يدي جيمس وط صانع الاجهزة الرياضية وكان ذلك في سنة ١٧٦٩ ثم تلاه [illegible] قاطرة جورج ستيفنسن. وما اخترعت القاطرة حتى سارت الحضارة حثيثاً في طريق الارتقاء [illegible] بملايين الاقربون يخورون بحاجب بصرهم. فارتقاء الاساليب وتوالي المخترعات كمازل وكربط وتول جاكار مهدا السبيل للانتاج الواسع النطاق ولنظام المصانع. وتفاعل أثر [illegible] والتلغراف والتلفون في نواحي الحياة الفردية والاجتماعية فقلبها رأساً على عقب، فتغيرت الاحوال الاقتصادية والسياسية في قالب جديد فأمّحت المسافات وأزيلت الحواجز الفاصلة بين البشر. وقد انقضى العجب الذي نقابل به ما يسفر عنه البحث العلمي الشؤوب الآن، حين لكل [illegible] في عناقنا من دين الى جورج ستيفنسن وصموئيل مورس والكسندر جراهم بل [illegible] ان مخترعاتهم في متناولنا ومعرفتنا بها جعلت لنا شيئاً من الاحتقار. فلنقف موقف الناس الذين ظلموا أولاً ولنحاول ان نصف شعورهم وبحاله

إن فتح السودان على أيدي القوات المصرية البريطانية في أواخر القرن الماضي صحبهُ مدُّ سكة الحديد من وادي حلفا الى الخرطوم. وهذه السكة كانت ضرورية كل الشأن في خطة التورد كتشتر الحربية لتأمين أسباب المواصلات والتموين. عندما وصلت القوات المصرية البريطانية بالسكة الى احدى القرى جاء أحد المشايخ لاستقبالها الجيش الظافر، فرأى قطاراً واقفاً في المحطة. فلما بدأ القطار يتحرك ولى الشيخ الأدبار وتصدّع [illegible] فصحبه قصته العجيبة التي شاهدها قال: رأيت قرية متعددة البيوت مرصرصة في [illegible] واحترتُ اذا بالقرية تتحرك فجأة كأن جنّاً مجوباً يحركها

من المشهور عن نابليون وقواده أنهم تفوقوا على من سبقهم من القائدين في سرعة تحريك جيوشهم. وعيّن سيرا صير نابليون ملكاً على إيطاليا وكان يشرف على [illegible] في عصره. ويروى انهُ اجتاز المسافة بين روما وباريس على جواده في ثلاثة ايام وذلك لحضور الاحتفال بزواج نابليون من الاميرة النمسوية ماري لويز ولا يُعلم أن أحداً فاق هذه السرعة في الانتقال من بلد الى آخر قبل ذلك. أما الاميرة فاستغرقت رحلتها من فينا [illegible] سبعة أيام. وقد كانت

المركبة التي ركبها معروضة في قصر شوبرون بفينا وهي مجهزة بالوسائل اللازمة للسفر في الليل فهي اخرى خطوة اولى من مركبات « بولمان » الحديثة

وفي سنة ١٨٢٩ كان احد الطلبة مسافراً من روما الى باريس ليؤدي امتحاناً . فجلس الى مائدة الطعام الحافلة في مركبة الاكل الملحقة بالقطار امام صديق قاستاذا في اثناء الحديث رحلة مورا وتساءلا ترى ماذا يقول تيوليون لو بعث حيًّا الآن ورأى أكثر الناس يسافرون بسرعة مائة كيلو متر في الساعة . ومما يحضرني في هذا الصدد حادثة وقعت عندما ألقيت نظام للمخاطبات التلفونية في بلدة قريبة . فشيوخ البلد امتنعوا عن استعمال هذا الجهاز عندما سمعوا أصواتاً تتحدث في سماعته ، ظنًّا منهم انهُ مسكون لان الشيطان وحده يستطيع ان يجتاز متخطيًّا هذا الفضاء الواسع ويسمع صوتهُ في طرف السلك

ومن غرائب الاجتماع البشري ان كل جيل من الناس يتوهم انهُ أدرك أقصى ما يبدعهُ العقل والذكاء وحقق أقصى ما يمكن تحقيقهُ من اليسر والرخاء . ويغرقون في الوهم فيظنون انهُ اذا مضى جيلهم حل بعدهم الطوفان . وليس بالنادر ان يتطرق الى أذهاننا ان الحدود قد تحيت وان الصناعات آخذة في سبيل البطء وان المخترعات الجديدة لا بد ان تكون متعذرة او نادرة . إن مذهباً كهذا المذهب قائم على خطإٍ في الرأي علاوة على انهُ شبط للهمم . قد يصح القول بأن الزيادة الجغرافية انتهت الى حدودها . وليس أمام رواد الفذ « عوالم جديدة » للاستكشاف . ولكن هناك مجاهل أخرى كثيرة للعقول الجائعة المغامرة . قيل عندما أقيم المرقب العاكس العظيم في مرصد جبل ولسن — وهو المرقب الذي ينتظر ان يزيد نظرنا نفاذاً الى رحاب الفضاء — ان علماء الفلك سيبلغون قرارة الكون بعضهم في بناء مراقب يفوق كلٌّ لاحق منها كلَّ سابق . ولكن تاريخ علم الفلك أثبت انهُ كلما زادت قوة المراقب زادت العوالم المكتشفة ، تفصل بينها ألوف وألوف من سني الضوء ، فالكون لا حدَّ لهُ ولا قرار ، وهو عظيم كنشه العظيم . في وسع مخيلتنا ان تحضر أميالاً وأميالاً وراء حدود حواسنا فيقع « وراء ذلك أميال وأميال من الفضاء » . ظن آباؤنا ان القرن التاسع عشر سيبرز في التاريخ منزلة عصر الاكتشاف والاختراع الفذ . فالمحرك البخاري كان في نظرهم أتم وأكمل ما يبدعهُ العلم لاشباع حاجة الانسان . وقد قدر بعضهم ان قوة حصان واحد تعدل القوة العضلية في واحد وعشرين رجلاً . ونحن في مصر لنحمل قوة ٤٥٠ الف حصان لدفع الماء في حقولنا وتوليد الطاقة المحركة لصناعتنا واضاءة بيوتنا فكأنا نستعمل طاقة عضلية يتيحها لنا ستة ملايين عامل ميكانيكي حتى . فاذا حولنا نظرنا الى انكلترا وجدنا ان انتاج صناعة المنسوجات القطنية فيها زاد ثلاثة اضعاف في نصف قرن فبلغ ١١٫٥٥٠ مليون متر في سنة ١٩٠٥ وفي السنة نفسها تضاعفت أجور العمال بالقياس الى

ماكانت عليه سنة ١٨٥٦ وزاد عدد العمال ٣٧ في المائة في المدة نفسها

وفي الولايات المتحدة زاد معدل الانتاج على اساس واحد من السكان ٤٠ في المائة وزاد كذلك الدخل الفردي ٤٠ في المائة وذلك في الفترة الواقعة بين ١٩٠٠ و ١٩٣٠ ونقصت ساعات العمل بين ١٨٧٠ و ١٩٣٦ نحو ٣٠ في المائة في الاسبوع . ومع ذلك زادت مقادير المصنوعات وزاد دخل العمال » . وسبق هذا ان البحث العلمي أفضى الى الاتقان الصناعي وزيادة الانتاج اربعة اضعاف

ومع ذلك ظنّ الجيل الذي سبقنا ان عصر الآلة قد بلغ غايتهُ وانهُ وزن بميزان فوجد ناقصاً. واليهِ يسندون الازمات الاقتصادية وما يلي به النظام الاجتماعي الاقتصادي من تعطل العمل وضرورة الرفد الحكومي للمتعطلين. ففي منتصف القرن التاسع عشر ذهب الرأي الى ارجاء الرخاء الناشيء عن تقدم العلم والصناعة قد انقضى وان التقدم الصناعي قد استنفد قدرتهُ على زيادة اليُسر تاركاً عدد السكان في ازدياد فطفت موجة من التشاؤم واعرب دزرائيلي في سنة ١٨٤٩ عن الاعتقاد السائد حينئذٍ قال: «ليس ثمة أملٌ ما في الصناعة والتجارة والزراعة». وقال دوق ولنغتن قبيل وفاته في سنة ١٨٥٤ « أحمد ربي أني وقيت مشاهدة الدمار الذي يتهيأ حولي » . ولكن موطن الخطإ لم يكن في البحث العلمي ولا في الاختراع الميكانيكي فالآلات لا تحل محلّ العمال . وانما تنقل العمال من ناحية في نظام الانتاج الى اخرى. بل ان البحوث العلمية والآلات تفتح أبواباً جديدة للعمل . والتبعة في ذلك التشاؤم لا تقع على الانتاج بل على التوزيع . فأساليب التوزيع الاقتصادي لم تتحول وفقاً للتقدم الصناعي ووفرة الانتاج . وانظم الأدبية لم تجار العلوم الطبيعية في ارتقائها . ولذلك تجيء أحيان ينقلق فيها توزيع العمل فتحدث الأزمات والضائقات ويخيم على الناس روح القنوط . ولكن لا يلبث جسم المجتمع البشري حتى يلائم نفسهُ للاحوال الجديدة وتعود الآلة الاقتصادية بعد اضطراب وقتي الى العمل عملاً منتظماً

أما القول بان عباقرة القرن التاسع عشر لم يتركوا باباً الاّ طرقوهُ ولا حجراً الاّ قلبوهُ باحثين منقبين، وان مكتشفاتهم ومخترعاتهم لم تترك شيئاً يكشف او جهازاً يخترع لمن يجيء بعدهم، فيحرك فينا الآن بسمة ساخرة . ان الارتقاء لا يعرف حدّاً . فملايين على اتقان الآلات التي اخترعوها نملك الآن السيارة والترين ومحرك ديزل والطائرة والراديو ومحركهم البخاري . هو موطن نظارهم يكاد يكون كالغزم جنب المارد اذا قيس بمحركنا

من الاقوال المأثورة عن جوسناف لوبون انهُ «لا تنقضي عشرون سنة حتى يجد المحرك البخاري طريقهُ الى متاحفنا بين الادوات الظرائبة التي استعملها أسلافنا الاقدمون». وليس من ريب في ان كفاءتهُ يسيرة على اعتبار انهُ جهاز مولد للطاقة لانهُ لا يستعمل في توليد الطاقة الاّ ١٠ في

الثانية من حرب [illegible] التي يحرق في حملاته يوجه [illegible] الفاخر بإسبانيا وفوداً سائلاً قلب الملاحة [illegible] ركب خارطة العالم الاقتصادية [illegible] وكان هذا المنافس الضيف للفحم [illegible] فقالت لا [illegible] في سبيل [illegible]

وفي أوائل [illegible] جيوشها بنا للاصباغ والفحم في بلجيكا. فكتبت تحوي مئات الالوف من أطنان الفحم زيوتاً وفوداً سائلاً. وهذا الفحم نتيجة بحث علمي أثبت أن حرق الفحم [illegible] كفاءة لأن جانباً كبيراً من طاقته يضيع بالحرق

***

ثم استمعوا لي أن أوجه نظركم الى احدى نهايات الفحم وما لها من أثر في الاصباغ الزاهية التي نراها حولنا. فمن هذه النهايات استخرجت اصباغ «الايلين» وهي نتيجة بحث دقيق دؤوب استغرق خمس عشرة سنة وكلف نحو مليون من الجنيهات. لكن الجنى الصناعي التجاري الذي أضفى اليه ذو النعمة الاصلية مئات بل ألوف الأضعاف

وأعجب من الاصباغ المستخرجة من قطران الفحم الحجري قصة النسيج الدقيق المصنوع من مادة الزجاج دقيقة تحويلها الى خيوط تضاهي الحرير، واستغنى العالم بها عن دودة القز

ونكتفي هنا بذكر الحرير الصناعي والنايلون الصناعي سواء أدعوتموه «رايونا» أو «نيوبرين» [illegible] أحدث مادة في هذا الصدد. فلك أنه من المحتمل ان تمكن ملايين من السعدات قبل نهاية هذه السنة من لبس جوارب مصنوعة من الفحم والماء والهواء. والمادة المستخرجة من هذه المواد تعرف باسم «نايلون» [illegible] وهي نتيجة بحث كيماوي دقيق في معامل «دوبون دي نمور» وعرضت في معرض نيويورك سنة ١٩٣٩ وقد بدأوا الآن في صنعها على اساس تجاري. وينتظر ان تباع الجوارب المصنوعة منها في ابريل القادم. وخيط هذه المادة أيضاً أشد متانة من الحرير والصوف والقطن والكتان والحرير الصناعي [illegible] ولا ينتظر أن يقتصر استعمالها على صنع الجوارب. بل من المحتم ان تتعدد فوائدها وقد [illegible] خاص لها في قدرته انتاج ٤٠٠٠٠٠٠ رطل من النايلون في السنة تستعمل في صنع [illegible] بالنظر ان تستعمل فيه هذه المادة الجديدة، مسموحات للملابس وخيوط للجراحة [illegible] الخيط الطبي أو الحريري المستعمل في خياطة الملابس وغير ذلك. وبالاختصار [illegible] بحاجة الى خيط متين مرن. وينتظر ان تكون الجوارب المصنوعة من النايلون أمتن من [illegible] ورخص بمقدار ٢ الى ٣ في المائة

وقد اذيعت [illegible] بوقت انها ستنتهي قريباً من انشاء مصنع آخر وفي هذين المصنعين مجال واسع لتكثير [illegible] العمال المتعطلين عن العمل

شفشاون

للأمير الريحاني (١)

صروح مديدة منخفضة ، ظاهرها ابداً جديد ، صروح بيض كزهر السوسن ، ناعمة كفجر الربيع ، مزخرفة منمنمة ، صروح كقصور الجن ، بنات الخيال وقصص المحال ، يسُد كفتيات الحور ، بأقواس كالنونات ، خطها قلم ساحر ، فمكنها يد عابثة ، صروح بتيجان انثنت من اعالي الحصون ، لتوح فوقها الحمائم ، وتغرد الحساسين ، صروح لفنانين موهوبين ، فروا من حقائق الوجود الى حقيقة الحياة الخالدة — من الاشكال المتآخية الى الوئام والتجانس في وحدة الجمال ، صروح خفيفة الظل فوق أرض قاسية ، تحت سماء كلها بهاء وحنان ، صروح كالعلب لاطفال الارباب ، وما هي باللعب ، ولا هي للاعبين

ولمن الصروح ؟ ألحيارة الحديد وعبيد البخار ؟ أللطامثين الوادعين الصالحين الناشئين من ذرية مباركة لا ، انسية ولا جنية ؟ أللحيوان والانسان ، للذابح والحارس من الناس ، وللناهبة المسافات ؟

حصّن فؤادك واستمع . ان هذا الصرح لسكة الحديد في محطها ، وذاك العرج لمجرر تطوان ، والآخر على الهضبة الخضراء هو مخفر عسكري

هي القنون والسل بها ذوقاً ومنفعة . هي الفنون والروح العربية الاسبانية المتزاوجة المثمرة . هي الهندسة الساحرة ، الاندلسية الغرناطية ، وقد تجسمت فيها الامنية القصوى ، الناشئة من فنون الشرق والغرب ، ومن تشوقات القلوب المتعلقة بآثار الماضي المجيدة وبخرائبه الثمانة — بروح الماضي وذكراه

هي هي صروح الروح الخالدة ، وقد شيدت بيد الحمراء والزهراء ، للحديد المحدود ، وللفحم الموقود . وشيدت للجزارين يجازون الانام على الطاعة والوداعة والخير . وشيدت لحماة الامن والنظام

الصروح البيض المتوجة بتيجان الحصون ، المحصّن فيها الفن الغربي الاسباني ، تودعنا ونحن خارجون من تطوان

(١) من كتاب يؤلفه في المغرب الاقصى وقد يكون عنوانه رحلة في منطقة الحماية الاسبانية

والطريق الاسحم الصقيل ينساب بين الروابي الخضر ، المتألق ظلُّها في روض الصباح : الراقص زهرها للشمس الشارقة — ينساب ذلك الاسحم الصقيل بين تلك الروابي ، في سفوحها وثناياها ، وعلى صدرها المجلود ، وفوق جبينها الصامد لسهام الشارقة الغازية

الطريق وابناء الطريق وزينات الطريق ، يحدجها الفجر ، ذلك الصابد في سمائه ، بعين الحب الفتية ، ويلحفها بسمائه الساطرة ، ويدخل على قلبها نور محرابه الدُّرِّي

الطريق وابناء الطريق — رجال البوادي يسوقون الدواب المثقلة بأحمال الارض الجوّادة — يسوقونها الى المدينة بما تنبت الارض وتثمر ، بالحطب والقمح والبقول والحبوب . وبنات البوادي يراتيطهنّ الشبيهة بالمظلات ، تتناعس تحتها العيون النجْل ، في سمرة الخدود ، وهنّ ممتطيات ظهور الأُتن الوديعة الآذان ، الطائعة الصابرة المكدودة

الطريق والحركة والسكون في الطريق — سكون الفجر الوفي الازلي ، وحركة الشعوب المتقلبة الزائلة ، جيلاً بعد جيل ، منذ وطأت هذه الارض أرجل الفينيقيين ، ثم الرومان ، ثم البزنطيين ، ثم القوط والعرب والفرنجة اللاتين الى زماننا ، فرأت عين الفينيقي منذ ثلاثة آلاف سنة ما نراه نحن اليوم — هذه الوجوه السمر الجافة الاهاب ، وهذه العيون السود الناعسة ، وهذه الشمال والبرانس والشاربق ، وهذا السكون في الوجوه والعيون الحاجب للعزم والشدة والاستعزاز

بوادي المغرب من عرب وبربر ، صلة الخير بين المدينة والارياف ، بين معدة جشعة ، وقلب خاشع رشائم ، بين شهوة لا تزول ورحمة لا تحول ، بين فم يردد دوماً : هات هات ، وايد تلبي يوماً بعد يوم ، مبسوطةً غير مقبوضة ، لا تكل ولا تمل

الطريق وزينات الطريق . ومنها سيارات هذا الزمان الطامعة بالمسافات تنهبها وتخفيها ، وهي تمزج انفاسها النازية بانفاس الطبيعة الشذية ، تثير بالحقول والمروج ، وبالزهور والرياحين ، كأنها من الطريق اليابس العابس العقيم ، لا تستحق ونفة ولا نظرة ، ولا نشقةً عابرة

الطريق ، طريقنا الى شفشاونَ ، بعد حبس في المدينة يومه شهرٌ وشهره دهرٌ ، حياكَ الله حياك ، وجعل الحجارة المرصوفة والأنفس المخصوفة ، فداك

الطريق والربيع الزاهي الى جانبي الطريق ، وتوقٍ على رؤوس الربى ، وتحت في الوادي الريّان ، بجوار النهر ، نهر مرتيل النائم الكسيل . أو هو نهر ورع متقشف لا تهزه نشوة الربيع ، فيسير ويدور على هواه ، هادئاً ساكناً بطيئاً ، سيرَ الخير في العالم ، ويتقبل الجزية التي تؤديها له الرين والجال — ساقيةً هنا وسلسبيلاً هناك — يد صفراء ناحلة

الربيع وهو واحد في المغرب وفي لبنان ، طرّق هذا الشاطىء الافريقي الاسيوي ، هو واحد في فيضه واشكاله وزمانه ويحيي البلدين على اليوم — على الساعة — في التقويم ،

لا يبطيء ولا يسرع ، لا يتقدم ولا يتأخر ، فيُسمع صوت الحصون ، وتُشهد طلعة الشمس في آن واحد هنا وهناك

وهي ذي النباتات الثنائية ذوات الأريج الكامن والمنتشر — الصعتر والفصعين والقندول الزاهر . وهناك الدفلى البيضاء والحمراء تتهايل على ضفتي النهر . وقد شاهدنا في بعض الأماكن شقائق النعمان ، والأصفر من الأقحوان

وهوذا العلم يغزو حتى هذه الأصقاع المغربية القصية . تلك الأبراج من الحديد والعمد من الخشب ، هذه لأسلاك البرق ، والأخرى لأسلاك الكهرباء ، تسير جنباً الى جنب بين أشجار الزيتون البرية ، والخرنوب : عجبت لزيتونهم فلا يلقحونهُ فيثمر ويفي ، ولخرنوبهم ، فيطعمونهُ للمواشي ولا يدبّسون

وهوذا مختفر آخر من مختفر القبائل ، ومنها بجوار تطوان بنو قُرّش ؟ قرّش أم هل هي قريش ؟ يجب ان تُردَّ هذه الأسماء الى أصلها العربي . ولكن المغاربة لا يبالون بما يحل بالأصول . وان هم داووها فبالاهمال ، فيطول يومها ، ولا يحول اعتلالها

وقد يخترعون أصولاً غريبة في الدين والتفسير فيتكثر التوحيد لاهنة ، او ينقع بقناع الصوفية ، ويؤثر الزوايا على المساجد ، والمرابطين على العلماء . هي الفتوحات والاقانيم القاهرة . وهي العقائد في قلوب الفاتحين ، تنتقل الى حقائبهم ، تتأثر بالمناخ والمحيط ، وبتقاليد المغلوبين انفسهم . بعُدَ الاسلام عن مهده ، فسادت في أندلسيه الفلسفة ، وكادت تتغلب عليه ، وسادت في مغربه روح القبائل البربر ، فتح أبوابه لتقاليدهم وخرافاتهم الوثنية — لأوهامهم وسحرهم وتعاويذهم — بعد ان أخفق في مقاومتها وعجز عن التغلب عليها

هذه الكلمة جرّها مختفر بني قُرّش — قريش ؟ — ونحن ندنو من مدينة هي معقل الدين والعلوم الدينية ، او كانت . فقد قيل لنا انها نجيب المغرب . وانها لبيب آخر نابلوس المغرب . وقد يكون التشبيه مثل الاسماء المشوهة بالتحريف ، فتبحث في نجيب المغرب عن المرادية والمدارس فيها فلا تجدها — وقد تجد في نابلوس المغرب بعض اليهود . فالتشويه في التشبيه مستفيض كما هو في الاسماء ، ومثل كذلك

ولكن في الاسماء الكثير من الفصيح السليم ، وفيها ما يسوّغهُ الاصل البربري . فقد ذكرت المختفر وهو في اصطلاحهم مرتّب . وترب المرتب المدشر اي القرية . فالمرتب مقبول مكرّم في قواميسنا العربية ، والمدشر مرفوض مجهول ، الاّ في القواميس البربرية ، وهي غير موجودة . ولا أحد من اهل البلاد العرب او البربر ، يستطيع ان يرد اللفظة الى أصلها اللغوي فيكتشف سرّها

اذن نقول المدشر وقد مررنا بعشرات عدة ، وما شاهدنا غير نموذج منها ، كوخ او كوخين

بجوار المرقب ، والنموذج طبق الاصل ، مبني من القش والطين مشكل هرمي . اما المنبر فهو مختبىء في الوادي او في ثنايا الروابي

وهناك شفشاون مجموعة ظلال على الافق المشرق . وهناك النهر في ناحية غير تلك التي كان رفيقنا فيها . فسألت الرفيق الفريد البناني ، الذي تعلم جغرافية المنطقة بالاسفار المكررة في الوادي والحواضر : كيف انتقل النهر من يميننا الى يسارنا ، وسبقنا فأصبح أمامنا ؟ فعلمت ان نهر مرتيل لا يزال مكانه وراءنا ، وقد اختفى في أحد الاودية المنحدرة من منبعه . أما هذا الذي أمامنا فهو نهر سيبُّف اللاو ، والسيف ساحل للوادي — في القاموس كما هو للبحر

اننا اذن في رأس وادي اللاو ، وقد كتب لنا التعرف اليه ، من رأسه الى قدميه. وسنشهد هناك العجائب المبهجة — وستشهدها معنا ، ايها القارىء الصبور ، ان ثبتَّ في الصبر والنهار. فهوذا الآن سيب اللاو ، وهوذا نهر السيف ، المنحدر من جبل شفشاون في احد فرعيه ، ومن جبل باب تازي في الفرع الآخر . فجبل شفشاون أمامنا هناك ، على الأفق الشرقي ، ولا يزال الثلج أثر في اعاليه . والى جانبه جبل القلعة ، ووراءه وراء ذلك الافق المشرق ، باب تازي وجاهها

ان نهر السيف لأنشط من نهر مرتيل : فيُرى انهُ يجري وانهُ يسرع في جريه ، ويفهقه في انحداره . ترى ضحكته الفضية وتسمع . وان لهُ مرحلة يجتازها من نبعه ، فيقف القرعان متحدين طوعاً للعلم ، وقد شيد لها مركزاً قريباً من شفشاون ، وفيه الادوات والمحركات لاستثمار تواها . نهر السيف ، وقد حشدت قواه لتوليد الكهرباء . فرأينا أبراجها في الطريق ، وهي تحمل النور الى المدن — الى شفشاون وتطوان والعرائش ، والى القصر الكبير والقصر الصغير حتى والى سبتة وطنجة

دنونا من البساتين ، وقد نورت اشجارها ، وفاح طيبها ، وعدنا الى الصروح ، الصروح البيض المتوجة بتيجان الحصون ، الحاملة خارجاً وداخلاً رسالة الحمراء في الهندسة الفرناطية شكلاً ومعنىً — جمعاً وتفصيلاً — في النقش والتلوين ، وفي التلحين ، وفي الغناء ، وان أجمل الالحان في هذا الزخرف ، وفي هذه الألوان . هي الصروح العربية الاسبانية ، الفرناطية المغربية . هذا تكنة للجيش — وهذا — في وسط جنينة زاهرة بالقرنفل والورد والنرجس والياسمين — مركز المراقبة ، وذلك الى جانبه مركز الخزن الشريف . تحيا في الاول اسبانية وقد أقامت للحماية مراقبات يديرها ابناء حكومتها من عسكريين ومدنيين . وهذا مرتب الناحية ، ندخل فاذا نحن في شبه «حمراء» صغيرة منشئة . فتبدو المكاتب فيها كوائد الصيارفة في المعابد . وهذا المراقب الضابط الشاب ، في جزمة لامعة وثوب أصفر عسكري ، انهُ لمن المتناقضات

ولكنَّ في شفشاون صرحاً اندلسيًّا واحداً لا تناقض فيه — هو النزل الجديد . فان

كنت من جابوا الاقطار القاصية والدانية ، وشاهدوا في المدن الحالة والبادية كل عجيب طريف ، فصحت يابس الشعور ، لا يهيج يهجك ، ولا عجيب يعجبك ، فطو هذه الصفحة ودونك غيرها . وان كان لا يزال لوح نفسك طريًا تطبع فيه الآيات الطبيعية والفنية ، فتزيدك علماً وحبوراً ، فواصل ما انت فيه الآن ، ولا تخش الخيبة أو الملل

ما هذا المنزل القائم بين الجبال ، على هامش المدينة ، بزل ضخم فخم عظيم ، ولا هو في ظاهره على شيء من النادر والممتاز في الجمال . ولكن في داخله السحر الساحر ينتقل بلحظة عين الى الاندلس — اندلس العرب . ذلك السحر هو في روعة الاستقبال — في النقش والزخرف والالوان ، على الجدران والسُّدد ، وفي السقف ، وتحت قدميك . هات القهوة يا غلام

ان كتاب هذا السحر لمن « حزام » بني الاحمر الخالدة — يلمحتسر — بلهجة المغرب. وأدوات السحر من عامل البلاط الزليجي بأشبيلية ، وأستاذ السحر من هذه البلاد المغربية والسحر الحلال ، حاكهُ في هذه الرسوم الهندسية بخطوطها الخضر والصفر والحمر ، وفي هذه الفسيفساء — الارابسكيه — السوداء الزرقاء البنيه ، تتجلى في السقف ، وترقص على الجدران ، وحول السد ، وعند قدميك ! — هات الحمر يا ولد

أنا في غرناطة ، في المضيف السلطاني بالقصبة !

هو السحر القديم . وفي الطابق الثاني السحر الحديث الجديد . في الطابق الثاني ننتقل انتقالاً آخر سحريًا . من غرناطة الى باريس او نيويورك — من الفن الساحر المتعب للاعصاب الى الصناعة الموفورة الراحة والرقاء — من الترف الذهني والباطني الى الترف الجسماني — من الكرسي الخشب المطعّم القاسي الى الكرسي المتجدد الوثير — من الالوان المثيرة للافراح والاشجان ، الى اللون الواحد الساكن المسكن ، الممزوج بماء الحياة والاطمئنان

والى جانب كل غرفة من غرف النوم لهيم هذه الدنيا — حمّام مجهّز بجميع أسباب الرفاه والبهجة ، بأحواضه الكبيرة والصغيرة ، بزليجه الاشبيلي ، بأنواره الكهربائية ، بمواسيره الخفية الحاملة اليك الماءين الحار والبارد ... يا غلام ، أين المدلكة ؟

أيها القارىء العزيز ، ان كنت ممن شاهدوا عجائب الدنيا في الشرق والغرب ، وما زلت تهتز دهشاً وطرباً لكل مشهد غريب عجيب ، وعند كل مظهر من مظاهر الجمال والاناقة ، فانك لمن الفائزين ، وانك لغني السعيد

وقفنا في طنف من أطناف النزل نمتع النظر بالمشهد الطبيعي المتمم للجمال الهندسي والفني . فسألت معاون المراقب الذي كان رفيقنا ودليلنا ، عن بيت يبرز على رأس احدى المضبات في الجانب الآخر من الوادي ، فقال : هو مسجد . — ومن يقصده للصلاة وهو بعيد عن

المدينة ؟ — قلما يُقتصد . — وماذا بي هناك ؟ — بناء احد المراقبين ليزين به تلك الربوة

الزينة والزخرف — الجمال اللطيف في الهندسة والصناعة والفن ، وفي الحياة العاطفية ! ان الانسان لأشد نزعة اليها ، وأبلغ شغفاً بها ، من العرب . بل هي الصلة المتينة بين الشعبين — تنحصر اليوم في الفن الهندسي والنقافة ، وستشمل غداً — دع انتبؤ للانبياء

خرجنا من النزل نمشي الى الساحة الكبرى ، فاذا هي تغص بالناس من المدينة والمداشر المجاورة لها . هو يوم السوق التي تقام فيها كل اسبوع ، فتحتلها النساء والرجال للمتاجرة ، فتتربع المرأة على الارض ، ويجلس الرجل القرفصاء الى جانب ما هو معروض للبيع من البقول والثمار والحبوب ، ومن الأقمشة والأحذية والبرانس ، ومن مواعين الفخار والنحاس — من الدبُّوس — كما يقول « العطار » اللبناني — الى جهاز العروس — سوق عامرة بالجماهير من بدو وحضر ، وبما فيها مبعثر على الارض للبيع والشراء فتم الصفقات — وهذا ما أدهشني — باليسير من الكلام ، بالصوت الخافت — لا صياح ، ولا ضوضاء ، ولا ازدحام

قومٌ متمدنون ، يجلسون على الارض ويتاجرون . فمن هم ياترى ؟ هل هم العرب ؟ هل هم البربر ؟ ام هل هم من الجنسين وقد تخالطا وتشابها ، فتحسب العربي بربريًّا والبربري من العرب العرباء . انهم ابيض الوجوه ، يغلب في النساء الحسن ، وفي الرجال الهيبة وشدة البأس

وهذه اللهجة العربية لهجتهم ، لقد أدهشتني الدهشة الكبرى ، فأثارت بي كوامن الذكرى . انها لألفة الأذن بسرعتها ووقفاتها وغناتها ، وبما فيها من مَحْت وادماج وتسكين لا يجيزه احد من النحويين الملتحين أو المرد ، المحافظين أو المجددين . حيّا كلّه = حياك الله . لاسْتَلِيك = لا بأس عليك

اللهجة والوجوه ، نقلتني النقلة السريعة البعيدة — نقلتني الى اليمن . هنالك في الأعالي في برع وذمار وصنعاء — رأيت أمثال هذه السحن البيض ، وهنالك سمعت مثل هذه اللهجة الغناء ذات النقرات والوثبات والوقفات والمدات

وهذه السوق بقناطرها الواطئة ومخازنها الصغيرة ، وقد تربع التجار في دكاتها على حصير أو فراش أو سجادة ، هذه السوق بدرجاتها ومنعرجاتها ، وبروائحها الشبيهة بالبخور الهندي والبهار والكمون ، وقد سحقت في الفهر الواحد ومزجت بنية من بوقفة العطار — هذه السوق بجوها وروائحها تنقلني الى اليمن

وهذه البيوت ، لولا قرميد سطوحها ، بناية . وهذه المدرسة لصبيان القرآن ، يتلقون قراءته بالالواح المكتوبة لا بالكتاب المطبوع — اليمن . وهذه الأنوال — اليمن . وهذا الترقُّص الشفشاوني — اليمن

أقف عند هذا ، فلا تطلنا التشابيه والاستعارات . ان لشفشاون ، على ما ذكرت صفاتها الخاصة ، رأسها النظافة في ساحاتها ، وفي أسواقها المدرَّجة ، وفي أهلها ، وفي بيوتها

وقف بنا الرفيق الدليل أمام مدرسة دينية عالية — هي مدرسة شفشاون لتعليم القرآن والفقه ، فدخلنا ، فاذا نحن في صحن فارغ نظيف كقلب البادية ، لولا شجرة الليمون والنشاذروان العامت ، لا ماء فيه . وحول الصحن المدرسة بطابقين فيهما غرف التدريس والاكل والنوم لكل طالب غرفة صغيرة فيها سرير وخزانة وطاولة للكتابة . كل ما فيها بحالة ، وكل ما فيها نظيف

ولكن الرفيق وبخ المدير لان الرواق أمام الباب لم يكنس في ذلك اليوم — فاعتذر المدير وراح ينادي الخادم

ثم قال رفيقنا : الحكومة تقوم بنفقات هذه المدرسة وتدفع رواتب المعلمين والخدم . نطلب أن نطالبهم بالواجب عليهم

ليس في اليمن مثل هذه المواظبة على النظافة ، وليست أنوال اليمن كأنوال شفشاون وان كانت في البلدين يدوية . فتلك شبيهة بأنوال لبنان الضيقة ، عرض نسيجها لا يتجاوز الذراع الواحدة ، فيشغل كل عامل نولاً واحداً

أما أنوال شفشاون ففي عريضة وسع نسيجها متر ونصف متر ، فيشغل النولَ الواحد عاملان ، كلاهما يمكوكين . الخيط في الواحد مفتول وفي الآخر محلول ، فيجيء النسيج متيناً خشناً مزغاباً . ولا يصبغ كما في اليمن . بل ينسج من صوف الغنم ويستعمل بلونه الطبيعي للمشالح والبرانس . وأمام بيت الحائك تينة أو مشمشة ، وعلى سطحه عريشة من عرائش العنب — لبنان

خرجنا من المدينة ونحن نواصل السير في بقعة من الارض جبلية لغاية . وهذا نبع النهر نهر سيف اللاّو — وقل نهر الكلب عند نبعه ، أو نهر ادونيس في مجده بأفقه — يتدفق من بين الصخور في ضفتين زانته الطبيعة بشجيرات من الزيتون البري والبطم والسنديان والى جوانب المياه تتزاحم الدفلى الزاهرة

لا بدَّ للدليل من قصة يقصها عليك — فقد اخبرنا أن السلطان الحسن ، والد السلاطين الثلاثة ، عبد العزيز وعبد الحفيظ ويوسف ، زار هذا المكان ونصب خيامه حيث كنا واقفين وان الشمس تشرق في ايام الجمع والاعياد على سرب من النساء يقصدن النبع للنزهة ، فيلمعنَ ويتسلينَ في هذه المياه بين الصخور

عدنا من النبع في طريق آخر بين البساتين المسيجة بالصبر ، المزدانة جوانبها بأقمار البلسان ، فكنا نسمع خرير الماء ، ولا نرى غير بريق متهُ هنا وهناك بين اشجار اللوز والتين ثم يظهر شلالاً عند طاحون ، او ساقية في بستان ، فيذكرنا دوماً بلبنان . هي ساعة في بقعة

من الارض طيبة مثمرة — وألذ ثمارها الذكرى والخيال . فمن النزل الى المدينة الى النبع انتقلنا ثلاثة انتقالات

شفشاون[1] بلدة حديثة العهد ، أسست سنة ١٤٧٠ ، عند سفح الجبل الحامل اليوم اسمها على حضبات هي كالدرج الى رأس النبع . وفي هذا الدرج الطبيعي الاسواق المبددة ، والادراج المرصوفة بالحجارة . وقد صقلتها ارجل الناس فأمست مثل لعالم المسحاء الملساء ، مزلقة للاحذية الفرنجية . وفي شفشاون مزالق اخرى — لا للفرنجة بل للعلماء من ابنائها . فهم يذكرون الماضي، يوم كانت مثل التجنب مدينة العلوم والاسرار الدينية، فيطعمون بالتمم الخالدة ، ولا يتقون ، فيقعون بالزائل منها — يزلقون . ولكنهم لا يؤلفون الكتب ليسوّغوا المزالق ويشرحوها . وهذه من حسناتهم . ومنها انهم يزدرون الجهل وأهله حتى الاهمال ، فيسمون الاساطير تردد ولا يبالون

فمن ذا الذي أشرف على بناء شفشاون ؟ هو ولي من الاولياء يدعى علي بن راشد = راشد (يلفظ الشفشاوني الراء كما يلفظها ابن باجيس = باريس) ولولا ان راشد مزار عند مدخل المدينة ، وكرامات في الحياة وفي الممات . فهو الذي امتشق حسامه وضرب به الصخرة في سفح الجبل فتفجرت منها مياه النهر

وفي شفشاون اليوم ثمانية آلاف نفس نزح أجداد اكثرهم من الاندلس قبل سقوط غرناطة وبعده . ومن هذه الثمانية الآلاف الفٌ او مائةٌ او عشرةٌ — لست أعلم بالتحقيق — يتكّون في كرامات الولي المذكور وينكرون أعجوبة سيفه المتحدر من سلالة عصا موسى

وفي شفشاون مزالق لليهود . فيوم دخلت عساكر اسبانية المدينة سنة ١٩٢٠ ، رحبت بهم الجالية الاسرائيلية ، فابيضت وجوه واسودت وجوه . وما كان المبيّضون مفلحين فعددهم اليوم أقل مما كان منذ عشرين سنة . وقد تصير شفشاون شبيهةً كل الشبه بنابلوس

اما حسنة حسناتها بعد النظافة والانوار ومعمل الزاربي والمدارس المدنية والدينية، حسنة هذه الحسنات مدرسة البنات ومديرتها السيدة رحمة المدني حرم عبد السلام الاندلسي . والسيدة رحمة الريفية المولد ، المتعلمة بطنجة ، المحسنة اللغتين الإنكليزية والفرنسية ، هي اول امرأة تعلم وتكتب في هذه المنطقة من المغرب الاقصى . وقد تصير وليّةً — طال عمرها — فتدفن الى جنب مولى شفشاون علي بن راشد

تقسم هذه البلدة القدسية الى خمس حومات اي احياء هي حومة رأس الماء ، القريبة من

(١) وتختصر فيقال شاون وتكتب بالاسبانية Xauen وهي على مسافة خمسة وخمسين كيلومتراً من تطوان وتسعمائة متر من سطح البحر

التبع ، وحومة الخرازين (الاسكافيين) وحومة ريف الاندلس التي سكنها النازحون من اسبانيا ، وحومة سيدي بنه كانت تقام سوق بها قديماً ، وحومة ريف الصباغين اي الصباغين

سألت الدليل : وفي أية الحومات يسكن اليهود ؟ فأجاب : في البقعة حفنة منهم منثورة على حواشي الحومات

ليس في شفشاون من الآثار التاريخية غير القلعة التي بناها البرتغاليون . القائمة في الناحية الجنوبية الشرقية من الساحة الكبرى . في هذه القلعة تحصن الريسوني يوم كان يحارب الاسبان ، وقد ركبته المأثورة يخاطب القبائل : هذه بلادي وأنتم أهلي ، فلا خوف على البلاد ما دمت حيًّا ، ولكنها ذاهبة بعد موتي

وكانت هذه القلعة مركزاً لعبد الكريم بعد الريسوني ، فحدث بين الاثنين ما سنذكره مفصلاً في موضعه . وما كان القدر ليرحم المجاهد الاول ولا المجاهد الثاني . قال بطل الريف ، البطل الشريف : تعال شاركنا في الجهاد . فأبى وكان الشريف يومئذ مريضاً في بيته بتزروت ، ومتحركاً مع ذلك في سياسته بين القبائل المتقلبة ، والدسائس المتقلبة . ومن رجال عبد الكريم الذين حملوا غصن الزيتون يومئذ الى الشريف الريسوني ، ثم السيف عليه ، السي يزيد بن صالح قائد قبيلة بني بوزين ، وباشا شفشاون الحالي

زرنا الباشا في بيته ، فاستزريت اللقب لما شاهدت صاحبه . وما محل الباشاوية من هذه الطلعة البدوية الرائعة ؟ لقد خط الدهر في وجه ابن صالح سفر المثابرات والغزوات والشدات فأجاد ، وأيدته بخية سوداء بيضاء كأن غبار المعارك لا يزال لاصقاً بها . وأبدت الدهر عينان غائرتان لا تزال النار بادية في رمادها . وأيد الدهر فمٌ في سكوته هول ، وفي ابتسامه أمن واطمئنان

الباشا يزيد ! حاشا وكلاّ . السي يزيد ! بئست الالقاب المدنية والحزنية . متى كان الـ«باشا» من تراب هذا المغرب ؟ وهل لبني عثمان اثر غير هنا وهناك في شرقنا العربي ؟ أريد الجواب من تجيل باشا الباور . أريد الجواب من عجم باشا سيد . لا يا اخي . لا تضيع الوقت في السؤال والجواب . ان هذه الالقاب وأعطيتها — سعادة ، فخامة ، معالي — لمن متكرات الدولة البائدة . ولو كانت من غير المتكرات فانها تستتبع حينما تضاف الى عجيل او عجم او فهد او هزلول او يزيد . أما السامي — نصف سيد أو أقل — فهو أقبح وأنكر . اذن نقول الشيخ وليس أشرف منهُ لقباً في البوادي والحواضر

زرنا الشيخ يزيد بن صالح — أرأيت كيف تتجانس الاسماء والالقاب ؟ — زرنا الشيخ يزيد في بيته فاستقبلنا في الباب ، وصعد أمامنا في درج ضيق عالي الدرجات — ذكرني باليمن — الى ردهة الاستقبال ، المشرفة بألوان فرشها ، على الأرض والدواوين والجدران ، اشراق ،

ابتسامه . وكان في اكرامه لنا عربيًّا فحًّا ، خُلُقاً وتقليداً . فجاء الخادم ، عملوق من سود السودان ، بقماقم خضر وصفر قدم قنةً لكل زائر ، فصبَّ منه الزهر على الرؤوس والأيدي فسحت الوجوه وسُبِّح بحمد الله . ثم جاء العبد الآخر بمبخرة حُرق فيها عود الند ، فنشقنا منها وبخرنا الصدور ، وسبحنا بحمد الله

ثم جاء الخادمان بالد « أتاي المتنع » وبأطباق عليها اهرام من الحلوى ، فشربنا الشاي في كؤوس من الزجاج كأننا في الحجاز ، وأكلنا من تلك المقرنات والمربعات المسلة ، وما سبحنا بحمد الله ، وهو هاهنا أولى بالتسبيح . ان لتقاليد تقاليد تقيدها

وكنا قد علمنا ان مضيفنا ممن حجوا في العام السابق ، فسألناه رأيه في ابن سعود فقال بأسلوبه الوجيز : عربي كريم وحاكم عادل . ثم اخبرنا انهُ دعي لمأدبة أقامها الملك لبعض الحجاج وانهُ يحتفظ ببرقية الدعوة

وفي مساء ذلك اليوم بتطوان ، في بيت عبد الخالق الطريس ، اجتمعنا بغيره ممن حجوا في ذلك العام فأثنوا على عبد العزيز « العربي الكبير» و«الياسي القدير» و «الحاكم العادل » وما تعرضوا بخير او شرٍّ لمذهبه . انما في المغرب السني الشافعي . ولكن المذاهب لا تحول في هذه الايام دون الاقرار بالفضل ، ولا تتنافى في المروءة

طال الحديث ، وحانت فيه المفارقة . فلنختمه بشيء منها يخص البيوت ، وهي اجمالاً على شكلين بيت الشيخ يزيد بن صالح مثال الشكل الواحد ، والبيوت الحديثة في تطوان من الشكل الآخر . الاول — واكثر بيوت تطوان القديمة منه — عربي مبنىً ومعنىً ، عربي النطق والمزاج ، بيت صغير متواضع ، يتوارى ولا يتعالى . وبيت الاستاذ الطريس مثلاً هو عربي مغربي ، عربي الشكل مغربي المزاج منفسح منشرح وراء جداره العالي الأصمّ فيقوم بطابقيه حول صحن رحب ، مفروشة ارضه ، ومصفحةٌ جدرانه ، بالبلاط الزليجي . وفيه كما في بيت الاستاذ محمد بنونه الذي نزل به الامير شكيب ارسلان يوم زار تطوان ردهة استقبال مفروشة بالفرش الاوربي ، مغرقة في التقليد ، واخرى وطنية ، مغربية الشكل والذوق ، مغربية الروح والمظهر . وهي على الاجمال في الطابق الاول ، في صدر الصحن ، طويلة ضيقة ، مشطور طولها شطرين ، يفصل بينهما عُمُدٌ بأقواس ، وتدرجة ترفع الارض الواحدة عن مستوى الاخرى

وفي صدر هذه الردهة ديوان منخفض عريض طويل ، مدى الحائط ، حافل بالفُرش الوثيرة . المغطاة بالسجاد وبالوسائد الباهرة الالوان — مزاج المغرب . والى جانبي هذا الديوان في طرفي الردهة اي زاويتها ، سريران عاليان . اوسدتان . او عرشان . قد يستطيع الرياضي الحاذق الجوائز في القفز ان يقفز من الارض الى ذلك العرش قفزةً واحدة . ولا يستطيع

أمثالنا — أستغفر قارئي الرياضي — ان يدرك ذلك المزاج درج بصدده

كثيراً ما فكرت . قبل ان اقدمت على السؤال . في هذا الشيء المفخّم المتحشّم بالفخامة . المكدّس بالفُرش المصفّف بالوسائد المرفّه بالاطلس والحرير . البادي بكتلة المزركشة كالعروس المجلوة . كثيراً ما فكرت في ماهيته — مهته — سبب وجوده . فهل هو من الاثاث ام من توافله . هل هو للزينة ام للاستعمال ؟

وهل يجوز في الحالين ، لغير العروسين ... اذن هو سرير الليلة الاولى . فكرت ، أقول، ثم فكرت. وقد يُستعمل بضع ليالٍ بعدها ، وقد يُسخر لشهر العسل ، بأجمعه ، ثم يترك هناك لعسل الذكرى ، وان حامت عليه الذباب . فكرت ففكرت ، ثم تشجعت فسألت ، فعلمت انهُ لأهل البيت في الايام العادية ، وللضيف في الاعياد

فشرحها رب البيت قائلاً : ويوم الضيافة عندنا عيدٌ . وكما انهم يستعملون هذه السدة الملكية للنوم ، فهم يستعملون الزدعة الفخمة للمآدب ، فيكرمون فيها الضيف أكرامين في مأكله ومنامه

جلسنا حلقة حول طبق من النحاس، على طريقتنا البدائية في القرن الماضي، وزلطحنا الزاد بالايدي ، على الطريقة العربية في شبه الجزيرة اليوم . غير ان الضيف لا يشارك ضيوفه في الاكل بل يخدمهم وهو واقف يشرف على الخدم

وكان الخدم تلك الليلة من شبان كتائب حزب الاصلاح في أثوابهم — قمصانهم — الرسمية وكان الحديث في تطوان وتاريخها . فأخبرني جاري ان العلامة المفضال الحاج احمد الرهوني — الرئيس السابق لمجلس التعليم الاسلامي الاعلى — كتب تاريخ تطوان في عشرة مجلدات — غير مطبوعة — طبعاً . وقد أهدى النسخة الخطية الى الاستاذ الطريس يوم زفافه

تاريخ تطوان في عشرة مجلدات ! يا ساتر يا معين ! فكيف السبيل الى الانتفاع بعلم الشيخ الرهوني ؟ خطر لي خاطر اذكره الآن ، وأسجل في ختام هذا الفصل شوقي وشكواي

اني أشكو مضيفي الكريم صاحب النسخة الخطية . لا لانه طمعت بها فأمسكت — لا والله — فقد أعربت عن رغبتي بنشر نموذج منها ، فتعلم دوائر الادب العربي بالكنز التاريخي ، فتأبى ان يبقى كنزاً دفيناً، وهدية عرس . بل رغبت في نشر تاريخ تطوان بالشكل الملائم ليعد قراء هذا الزمان الضنين . فسألت عبد الخالق أن يأمر أحد كتابه بتلخيص كل مجلد في صفحة واحدة ، فأضعها أنا في بوتقتي وأغليها ، ثم اقدم لقراء هذا الكتاب خلاصة الخلاصة . فأجاب بالايجاب . أي انهُ وعد بأن يفعل

وكررت الطلب فكرر الوعد . وتكرر الوعد فتكرر الطلب . فعلمت وتيقنت ان الوعود في المغرب مثلها في هذا الشرق العربي ، وانا والمغاربة أخوان ، حقاً أخوان

ثروتنا الزراعية

وكيف نثمرها

لمعالي محمد ترفيق الخشاوى بك
وزير الزراعة

س ١ — هل تعتقدون معاليكم ان أرض مصر الزراعية قد بلغت من القدرة على الانتاج أقصى درجة ممكنة ؟ واذا لم تكن قد بلغت هذه الدرجة فما هي الوسائل التي تؤدي اليها ؟

ج ١ — بالرغم من أننا قد بلغنا في انتاج القطن والذرة حدًّا لم تبلغهُ أمة زراعية أخرى فأنني أعتقد ان مجال انتاج ارض مصر من هذه المحصولات وغيرها ما زال يسمح بالزيادة

أما الوسيلة التي تؤدي الى زيادة غلة الارض فقد تتعلق بالارض نفسها او بما يتبع في زراعتها

ففيما يختص بالارض لم يعد خافياً ان تحسين الصرف في مقدمة العوامل التي تزيد من خصبها وقد لمس زراع المناطق الشمالية الفارق العظيم في غلات أراضيهم بعد اتمام الشبكة الكهربائية ومثل هذا سيحدث بالطبع عند اتمام مشروعات الصرف والري واصلاح ما يحتاج منها الى اصلاح

واما عن الزراعة فان استنباط البذور الجيدة الوافرة الغلة أسهل وأجدى طريقة لرفع المستوى العام لاقتصاد بلد من البلاد ووزارة الزراعة تعنى بذلك الى أقصى ما تسمح به ميزانيتها

غير ان من ضروريات النجاح في الاصناف المستجدة العناية بأساليب الزراعة والخدمة والتسميد ومقاومة الآفات وغير ذلك وهناك عقبتان في هذا السبيل

أمثالنا — أستغفر قارئي الرياضي — أن يدرك ذلك العز بغير درج بصعده

كثيراً ما فكرت . قبل ان اقدمت على السؤال . في هذا الشيء المفخَّم المتخَّم بالفخامة . المكدَّس بالفُرش المنضَّد بالوسائد المرفَّه بالاطلس والحرير . البادي بكتلته المزركشة كالعروس المجلوة . كثيراً ما فكرت في ماهيته — مهنته — سبب وجوده . فهل هو من الاثاث ام من توافه . هل هو للزينة ام للاستعمال ؟

وهل يجوز في الحالين ، لغير العروسين ... اذن هو سرير الليلة الاولى . فكرت ، أقول ، ثم فكرت . وقد يُستعمل بضع ليالٍ بعدها ، وقد يُستحضر لشهر العسل ، يأجمعه ، ثم يترك هناك لعسل الذكرى ، وان حامت عليه الذباب . فكرت فكرت ، ثم تشجعت فسألت ، فعلمت انهُ لأهل البيت في الايام العادية ، وللضيف في الاعياد

فشرحها رب البيت قائلاً : ويوم الضيافة عندنا عيدٌ . وكانهم يستعملون هذه السدة الملكية لليوم ، فهم يستعملون الردعة الفخمة للمآدب ، فيكرمون فيها الضيف اكرامين في مأكله ومنامه

جلسنا حلقة حول طبق من النحاس ، على طريقتنا البدائية في القرن الماضي ، وزطحنا الزاد بالايدي ، على الطريقة العربية في شبه الجزيرة اليوم . غير ان المضيف لا يشارك ضيوفه في الاكل بل يخدمهم وهو واقف يشرف على الخدم

وكان الخدم تلك الليلة من شبان كتائب حزب الاصلاح في أنوابهم — قمصانهم — الرسمية

وكان الحديث في تطوان وتاريخها . فأخبرني جاري أن العلامة المفضال الحاج احمد الرهوني — الرئيس السابق لمجلس التعليم الاسلامي الاعلى — كتب تاريخ تطوان في عشرة مجلدات — غير مطبوعة — طبعاً . وقد أهدى النسخة الخطية الى الاستاذ الطريس يوم زفافه

تاريخ تطوان في عشرة مجلدات ! يا ساتر يا معين ! فكيف السبيل الى الانتفاع بعلم الشيخ الرهوني ؟ خطر لي خاطر اذكره الآن ، وأسجل في ختام هذا الفصل شوقي وشكواي

اني أشكو مضيفي الكريم صاحب النسخة الخطية . لا لانه ضنت بها فأمسك — لا والله — فقد أعربت عن رغبتي بنشر نموذج منها ، فعلم دوائر الادب العربي بالكنز التاريخي ، فأبى ان يبقى كنزاً دفيناً ، وهدية عرس . بل رغبت في نشر تاريخ تطوان بالشكل الملائم لهذا قراء هذا الزمان الضيقة . فسألت عبد الخالق أن يأمر أحد كتابه بتلخيص كل مجلد في صفحة واحدة ، فأضمها أنا في بوتقتي وأغليها ، ثم اقدم لقراء هذا الكتاب خلاصة الخلاصة . فأجاب بالايجاب . أي انهُ وعد بأن يفعل

وكررت الطلب فكرر الوعد . وتكرر الوعد فتكرر الطلب . فعلمت وتيقنت ان الوعود في المغرب مثلها في هذا الشرق العربي ، وانا والمغاربة اخوان ، حقًّا اخوان

ثروتنا الزراعية

وكيف ننميها

لمعالي محمد توفيق الحفناوي بك
وزير الزراعة

س ١ — هل تعتقدون معاليكم ان أرض مصر الزراعية قد بلغت من القدرة على الانتاج أقصى درجة ممكنة ؟ واذا لم تكن قد بلغت هذه الدرجة فما هي الوسائل التي تؤدي اليها ؟

ج ١ — بالرغم من أننا قد بلغنا في انتاج القطن والذرة حدًّا لم تبلغهُ أمة زراعية أخرى فأني أعتقد ان مجال انتاج ارض مصر من هذه المحصولات وغيرها ما زال يسمح بالزيادة

أما الوسيلة التي تؤدي الى زيادة غلة الارض فقد تتعلق بالارض نفسها او بما يتبع في زراعتها

ففيما يختص بالارض لم يعد خافياً ان تحسين الصرف في مقدمة العوامل التي تزيد من خصبها وقد لمس زراع المناطق الشمالية الفارق العظيم في غلات أراضيهم بعد اتمام الشبكة الكهربائية ومثل هذا سيحدث بالطبع عند اتمام مشروعات الصرف والري واصلاح ما يحتاج منها الى اصلاح

واما عن الزراعة فان استنباط البذور الجيدة الوافرة الغلة أسهل وأجدى طريقة لرفع المستوى العام لاقتصاد بلد من البلاد ووزارة الزراعة تعنى بذلك الى أقصى ما تسمح به ميزانيتها

غير ان من ضروريات النجاح في الاصناف المستجدة العناية بأساليب الزراعة والخدمة والتسميد ومقاومة الآفات وغير ذلك وهناك عقبتان في هذا السبيل

— الاولى تمسك فريق من الفلاحين بنظم الفلاحة القديمة وعلاج ذلك نشر الثقافة الزراعية واتباع مختلف أساليب الدعاية الاساليب الحديثة — الثانية تعجز فريق من الزراع عن العناية بزراعته العناية الواجبة بسبب ديونه أو عدم توافر المال اللازم لخدمة زراعته. ولا يخفى ما تبذله الحكومة من هذه الناحية ونرجو ان يعنى الزراع من جهتهم بالتعاون لانه من خير الانظمة لتسهيل الاقتراض والعمل على الادخار

س ٢ — ألا ترون معاليكم ان العمل على ابلاغ الارض المزروعة (وهي الأرض المأهولة بالسكان الآن) أقصى حد من القدرة على الانتاج، أجدى من العمل على اصلاح الأرض البور، لانا بذلك نرفع مستوى الفلاح الاجتماعي بزيادة ثروته من ارضه المزروعة، بدل العمل على احياء أرض موات تحتاج الى كثير من النفقة والجهد والزمن؟

ج — ٢ في اصلاح الارض الباثرة زيادة ثروة البلاد وعلاج مشكلة ازدحام الاهالي في بعض مناطق القطر وتيسير الملكيات المتوسطة المساحة التي تعد من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية أفضل انواع الملكيات

ولايخفى ان سكان القطر يزداد عددهم باطراد وتتناقص تبعاً لذلك المساحة الزراعية التي تخص الفرد الواحد منهم وتبلغ هذه المساحة الآن ثلث فدان وهي مساحة قليلة لا يسمح محصولها برفع مستوى المعيشة الى الحد الواجب. وفيما يلي الارقام التي تؤيد ما تقدم

تاريخ الاحصاء	جملة السكان	الزيادة بين احصاء وآخر	مساحة الارض المزروعة بالفدان	يخص الفرد من المساحة المزروعة بالفدان
١٨٩٧	٩ر٧١٤ر٠٠٠	—	٥ر٠٨٧ر٨٨٧	٠ر٥٢
١٩٠٧	١١ر٢٨٧ر٠٠٠	٠/٠١٦ر١	٥ر٤٠٢ر٧١٩	٠ر٤٨
١٩١٧	١٢ر٧٥١ر٠٠٠	٠/٠١٣ر٠	٥ر٣١٩ر١٤٨	٠ر٤٢
١٩٢٧	١٤ر٢١٨ر٠٠٠	٠/٠١١ر٥	٥ر٥٤٤ر٣٦١	٠ر٣٩
١٩٣٧	١٥ر٩٠٥ر٠٠٠	٠/٠١١ر٨	٥ر٢٨٠ر٦٩٧	٠ر٣٣

ولاتعارض بين اصلاح الارض الباثرة والعمل على بلوغ أقصى مراتب الانتاج

للاراضي المزروعة فالايدي العاملة متوافرة للقيام بكيها واصلاح الاراضي البائرة محدود في كل منطقة بما يسمح به الفائض من الماء

س ٣ — ما هي الوسيلة العملية الى زيادة عدد الملكيات الصغيرة من الأرض بحيث تصبح الثروة الزراعية موزعة توزيعاً أنسب من توزيعها الحالي ؟

س ٤ — ألا ترون معاليكم أن العمل على توزيع الثروة الزراعية توزيعاً يُراعى فيه الاكثار من الملكيات الصغيرة عامل ذو شأن في زيادة الغلة الزراعة وفي تثبيت النظام الرأسمالي

ج ٣ و ٤ — يميل الاقتصاديون الى تشجيع الملكيات الواسعة التي يمكن ان تتبع فيها أحدث أساليب الزراعة وتسخر لها الأموال التي ترفع مستوى انتاجها بخلاف رجال السياسة والاجتماع فانهم أميل الى تشجيع الملكيات الصغيرة و . لان الزراعة ليست مجرد استغلال اقتصادي بل هي وضع من أوضاع الحياة وعم النظام الاجتماعي للدولة

وفي مصر تزداد الملكيات الصغيرة سنة بعد اخرى بتأثير نظام التوريث عندنا فلا داعي الى التدخل لزيادة هذه الملكيات غير ان الملكيات المتاخمة في الصغر لا تبيح لمالكيها ان يعيشوا في مستوى مناسب ولهذا فان الحكومة تعنى بتقسيم الاراضي الحديثة الاستصلاح الى ملكيات متوسطة المساحة وفرضت نظاماً يقضي بانتقال ملكية هذه الاقطاعيات الى الابن الاكبر حتى تحول دون تجزئتها الى مساحات صغيرة غير مرغوب فيها

س ٥ — ما رأي معاليكم في اباحة ملكية الاراضي الزراعية لغير المصريين

ج ٥ — كانت المساحة التي يملكها الاجانب نحو ٧٠٠٫٠٠٠ فدان في سنة ١٩١٨ فنقصت الى ٤٤٠٫٠٠ فدان في سنة ١٩٣٨ وذلك لان الاجانب بصفة عامة لا يرغبون في استثمار أموالهم في شراء الاراضي الزراعية

وأني من الوجهة الزراعية أرى ان الشركات الاجنبية أدت خدمات جليلة بما استصلحته من الأراضي وقد آلت ملكية مساحات كثيرة من ذلك الى المصريين. والمزارع التي يملكها أجانب تعد في حالات كثيرة مثالا يحتذى في حسن الادارة وكفاية الاستغلال وتطبيق أساليب الزراعة الحديثة

— الاولى تمسك فريق من الفلاحين بنظم الفلاحة القديمة وعلاجهم بالثقافة الزراعية واتباع مختلف أساليب العناية الاساليب الفنية — الثانية عجز فريق من الزراع عن العناية بزراعته العناية الواجبة بسبب ديونه او عدم توافر المال اللازم لخدمة زراعته. ولا يخفى ما تبذله الحكومة من هذه الناحية وترجو ان يعنى الزراع من جهتهم بالتعاون لانه من خير الانظمة لتسهيل الاقتراض والعمل على الادخار

س ٢ — ألا ترون معاليكم ان العمل على ابلاغ الارض المزروعة (وهي الأرض المأهولة بالسكان الآن) أقصى حد من القدرة على الانتاج ، أجدى من العمل على اصلاح الأرض البور ، لانا بذلك نرفع مستوى الفلاح الاجتماعي بزيادة ثروته من ارضه المزروعة ، بدل العمل على احياء أرض موات تحتاج الى كثير من النفقة والجهد والزمن ؟

ج — ٢ في اصلاح الارض البائرة زيادة ثروة البلاد وعلاج مشكلة ازدحام الاهالي في بعض مناطق القطر وتيسير الملكيات المتوسطة المساحة التي تعد من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية أفضل انواع الملكيات

ولا يخفى ان سكان القطر يزداد عددهم باطراد وتتناقص تبعاً لذلك المساحة الزراعية التي تخص الفرد الواحد منهم وتبلغ هذه المساحة الآن ثلث فدان وهي مساحة قليلة لا يسمح محصولها برفع مستوى المعيشة الى الحد الواجب . وفيما يلي الارقام التي تؤيد ما تقدم

تاريخ الاحصاء	جملة السكان	الزيادة بين احصاء وآخر	مساحة الارض المزروعة بالفدان	يخص الفرد من المساحة المزروعة بالفدان
١٨٩٧	٩ر٧١٤ر٠٠٠	—	٥ر٠٨٧ر٨٨٧	٠ر٥٢
١٩٠٧	١١ر٢٨٧ر٠٠٠	١ر٠١٦ ٪	٥ر٤٠٢ر٢١٦	٠ر٤٨
١٩١٧	١٢ر٧٥١ر٠٠٠	٠ر٠١٣ ٪	٥ر٣١٩ر١٤٨	٠ر٤٢
١٩٢٧	١٤ر٢١٨ر٠٠٠	٥ر٠١١ ٪	٥ر٥٤٤ر٣٦١	٠ر٣٩
١٩٣٧	١٥ر٩٠٥ر٠٠٠	٨ر٠١١ ٪	٥ر٢٨٠ر٦٩٧	٠ر٣٣

ولا تعارض بين اصلاح الارض البائرة والعمل على بلوغ أقصى مراتب الانتاج

للاراضي المزروعة فلا يبقى العاملة متوافرة للقيام بكليهما واصلاح الاراضي البائرة محدود في كل منطقة بما يسمح به الفائض من الماء

س ٣ — ما هي الوسيلة العملية الى زيادة عدد الملكيات الصغيرة من الارض بحيث تصبح الثروة الزراعية موزعة توزيعاً أنسب من توزيعها الحالي ؟

س ٤ — ألا ترون معاليكم أن العمل على توزيع الثروة الزراعية توزيعاً يُراعى فيه الاكثار من الملكيات الصغيرة عامل ذو شأن في زيادة الغلة الزراعة وفي تثبيت النظام الرأسمالي

ج ٣ و ٤ — يميل الاقتصاديون الى تشجيع الملكيات الواسعة التي يمكن ان تتبع فيها أحدث أساليب الزراعة وتسخر لها الأموال التي ترفع مستوى انتاجها بخلاف رجال السياسة والاجتماع فانهم أميل الى تشجيع الملكيات الصغيرة وذلك لان الزراعة ليست مجرد استغلال اقتصادي بل هي وضع من اوضاع الحياة وعماد النظام الاجتماعي للدولة

وفي مصر تزداد الملكيات الصغيرة سنة بعد اخرى بتأثير نظام التوريث عندنا فلا داعي الى التدخل لزيادة هذه الملكيات غير ان الملكيات المتناهية في الصغر لا تتيح لمالكيها ان يعيشوا في مستوى مناسب ولهذا فان الحكومة تعنى بتقسيم الاراضي الحديثة الاستصلاح الى ملكيات متوسطة المساحة وفرضت نظاماً يقضي بانتقال ملكية هذه الاقطاعيات الى الابن الاكبر حتى تحول دون تجزئتها الى مساحات صغيرة غير مرغوب فيها

س ٥ — ما رأي معاليكم في اباحة ملكية الارض الزراعية لغير المصريين

ج ٥ — كانت المساحة التي يملكها الاجانب نحو ٧٠٠٫٠٠٠ فدان في سنة ١٩١٨ فنقصت الى ٤٤٠٫٠٠ فدان في سنة ١٩٣٨ وذلك لان الاجانب بصفة عامة لا يرغبون في استثمار أموالهم في شراء الارض الزراعية

واني من الوجهة الزراعية أرى ان الشركات الاجنبية أدت خدمات جليلة بما استصلحته من الأراضي وقد آلت ملكية مساحات كثيرة من ذلك الى المصريين. والمزارع التي يمتلكها أجانب تعد في حالات كثيرة مثالاً يحتذى في حسن الادارة وكفاية الاستغلال وتطبيق أساليب الزراعة الحديثة

فضل العرب[1]

على المدنية الحديثة

نقل حسن السلمان

مدير منطقة معارف البصرة

الى العصر الذهبي

دام العصر الذهبي للثقافة العربية زهاء خمسة قرون . فقد بزغ فجره في اوائل القرن التاسع وأفل نجمه بنهاية القرن الثالث عشر للميلاد . وأضاء نور هذا العصر جميع ما افتتحه العرب من بلاد ومن أمصار . فكانت الثقافة العربية تهيمن على بلاد فارس شرقاً حتى ساحل الاطلنطيق غرباً، وكان المسلم يتكلم العربية سواء أفي تركستان كان ام في بلاد الاسبان . وهذه الثقافة وان كانت عربية في لغتها الا انها لم تكن عربية في أصولها ذلك لان العرب عندما كانوا يستوطنون صحارى الجزيرة وبواديها لم يكونوا على شيء من الثقافة والعلم ولم تكن آدابهم من السمو والرفعة كما كانت عليه في العصور الاسلامية . الا ان ابن البادية على جهله العلمي وفقره الثقافي كان شجاعاً مقداماً لا يخشى الموت ولا يفزعه الهلاك ولا يرتضي عيشاً بذل . يندفع الى الغزو ويمتاز على غيره بفروسيته وغيرها من فنون الحرب . وكان شعر العرب في جاهليتهم مقتصراً على وصف الطبيعة والحياة البسيطة والفروسية والقشيب والنسيب ولذلك كان لزاماً على العربي ان يرتاد بلاد العراق والشام كي ينال نصيباً من الثقافة العامة والتمدن

لقد خرج العرب زمن جاهليتهم من بطاح الجزيرة الى اودية الرافدين وبردى . وأسسوا دويلات صغيرة متاخمة لصحاري بلادهم الاصلية . الا انهم لم يتمكنوا من التوسع والتوغل في البلاد المجاورة لبلادهم . ويعزى السبب في ذلك الى عاملين اساسيين . احدهما ان العرب ما كانوا يشعرون شعوراً وطنياً موحداً . والآخر انهُ لم يكن هناك وازع يدفعهم الى الفتح والى التوسع . ولقد أوجد النبي العظيم صلى الله عليه وسلم بعد ذلك للعرب هذين الدافعين — الشعور بضرورة الالفة والاتحاد والشعور بلزوم الفتح والتوسع . ووفق النبي العربي الى لمّ شعث القبائل العربية المتشتة المتنازعة والى التأليف بين قلوبهم المتنافرة فما أن أكمل تبليغ الرسالة التي كان يحملها اليهم والى

(١) للاستاذ شارلي لين بول استاذ اللغة العربية بجامعة دبلن سابقاً ومؤلف كتاب « الفن العربي بمصر » وكتاب « المجتمع العربي في القرون الوسطى »

العالم بأسره حتى اندفعوا اندفاع السهم لتحقيق الاهداف التي وضعها لهم

وابن الصحراء وان كان شاكي السلاح غليظ القلب ، ضيق التفكير ، لا يكترث للعاديّ من الأشياء الا ان الاسلام ببساطة تعاليمه وبلغ تأثيره ، وبما وعد به الصابرين من اتباعه من جزاء ، أثار الشوق في عليه والحماسة في نفسه ، فما ان سمع المنادي ينادي « الله اكبر » حتى اندفع الى الجهاد في سبيل الله وابتغاء اعلاء كلمة الاسلام دون أن يخشى موتاً أو هلاكاً . ولقد كان لنداء « الله أكبر » في قلوب العرب المجاهدين وقعٌ دونهُ وقع أعظم موسيقى في نفوس الجيوش المحاربة . ومهما يقل في الدوافع للفتح الاسلامي فان منادي، الدين الجديد وتعاليمه كانت أقوى الدوافع وأشدها تأثيراً في نفوس أتباعه

وهناك دافع آخر لا يقل عن الدافع الديني تأثيراً ذلك هو الرغبة في القضاء على سيطرة الروم والفرس ، واستلاك ما كانا يكنزانه من ذهب ومن مال . فقد شعر العرب بما أصاب كلاً من مملكتي الفرس والروم من وهن ومن ضعف ، وبعظم ما كانت تحتويه هاتان المملكتان من ثروة ومن غنى . فلم يمض عشرون عاماً على بدء فكرة الجهاد والتوسع الاسلامي حتى وجد العرب انفسهم سادة في مملكتي قيصر وكسرى تدين لهم ثقافات غير مماثلة مستمدة من فلسفات اليونان ومن شرائع الرومان بينما العرب لا يتكلمون الا العربية وليس لهم الا كتاب واحد يستمدون منهُ علمهم وثقافتهم وشرائعهم . فقلب العرب الكبرياء وملأت زهوة النصر قلوبهم فصاروا ينظرون الى الاقوام التي دانت لهم نظرات احتقار وازدراء غير عالمين ان هؤلاء الذين استعبدوهم بسرعة سيتغلبون عليهم بعلمهم وبفلسفتهم بسرعة كذلك

ومضى شطر كبير من القرن الأول على الفتح الاسلامي والعرب لم يغيروا ما بأنفسهم فلم يتغير ما في البلاد التي كانوا يحكمونها . الا ان الأمويين بعد ما نقلوا مركز حكمهم من المدينة المنوّرة الى دمشق الشام أخذت نظراتهم الى الحياة تتبدّل رويداً رويداً . فأدركوا ان اجبار غير المسلمين على الدخول في حوزة الاسلام يؤدي الى قلة واردات بيت المال والذلك تركوا الطوائف غير المسلمة وشأنها تتبع ما تشاء من الأديان وتقيم الشعائر التي اعتادت أن تقيمها قبل الفتح والمسلمون لا يعترضونهم في شيء ما دام هؤلاء يدفعون ما عليهم لبيت المال . وبلغ بالخلفاء التسامح أن أجازوا لغير المسلمين اعادة فتح مدارسهم القديمة ومحاكمهم كما كان شأنها قبل الفتح الاسلامي ذلك لأن الخلفاء وجدوا ان الاحكام المستمدة من القرآن وحده لا تكفي لحسم القضايا المتنوعة بين الناس — المسلمين منهم وغير المسلمين ، فلم يجدوا بدًّا من الرجوع الى الشرائع الرومانية يستمدون منها ما يمكنهم من وضع حدود لما ينشأ من خلاف بين ابناء البلاد الاصليين انفسهم وبينهم وبين المسلمين[1]

(١) المقتطف وهو لا يتحملان تبعة الآراء المطرحة في هذه الفقرة من المقال وانما هي تعرض منا على أنها رأي يجب ذكره

بهذه الكيفية مهد الخلفاء الأمويون السبيل الى العصر الذهبي الذي أخذ نجمه يتألق في أفق سماء الاسلام . ففتحوا أبواب قصورهم للشعراء والندماء . وأسرف بعضهم فلم يتورع عن معاقرة الخمر — التي حرَّم الله شربها بالسر والعلانية وجمعوا حولهم اهل الطرب والانس وجاؤا بالقيان والغانيات من بلاد فارس وبلاد الروم . وسمحوا لاهل البلاد الاصليين ان ينصرفوا الى دراسة العلوم والفلسفة واستخدموا اولي المعرفة منهم في التدوين والكتابة والحساب وفي جميع أعمال الدولة . وقد ارتضوا في بادىء امرهم ان يستعمل هؤلاء لغتهم الاصلية في الكتابة وفي التدوين ، وان يتداول الناس النقود الرومانية القديمة . ولكن لم يمض طويل وقت على ذلك حتى حلت اللغة العربية محل اللغات الاجنبية في دواوين الحكومة وضربت النقود باسماء الخلفاء مما اضطر اهل البلاد الاصليين لتعلم اللغة العربية — لغة حكام البلاد — لكي يتسنى لهم في وظائفهم او لكي يحافظوا على مراكزهم لدى الخلفاء وفي المجتمع . ولقد دخل معظم هؤلاء الدين الاسلامي اما مخلصاً من الجزية او ليكونوا والمسلمين على صعيد واحد . وما ان انتهى القرن الاول للفتح الاسلامي حتى كانت الاكثرية الساحقة من المسلمين مزيجاً من أقوام غير عربية بينهم المصري والسوري واليوناني والبربري والاسباني وقد صهرت هذه الاقوام جميعاً في بوتقة واحدة هي بوتقة الاسلام

تأثير القرآن

ولما كان الحكام والامراء من أبناء اولئك الذين ارتحلوا من صحارى الجزيرة وبطاح الحجاز تعذر عليهم التخلص مما تأصل في نفوسهم من عادات بدوية ونزعات جاهلية . فقد ظل العرب يميزون انفسهم من غيرهم من المسلمين بعراقة اصلهم ونبل منحدرهم وبأصيل شرفهم . وهذا ما حدا ببعض المسلمين من غير العرب الى حفظ القرآن ودراسة تعاليم الاسلام دراسة وافية والى حفظ اشعار العرب من الجاهليين ، غيرهم حتى بلغ بهم الاندفاع أن اتخذوا لانفسهم اسماء عربية فادعى بعضهم انحداره من اصل عربي نزح عن الجزيرة قبل الفتح الاسلامي بكثير . ولا ينكر ان الفضل في تنقل الروح العربية في نفوس المسلمين يرجع الى حفظهم القرآن والى تلاوته في اثناء الصلوات الخمس وفي غيرها من الاوقات . فاللغة العربية بشد القرآن أزرها ألفت بين ابناء آسيا وافريقيا واسبانيا الا ان هذا التأليف على حسناته أضعف شوكة العرب ومكَّن الشعوب الاجنبية من مزاحمة حكام البلاد في ادارة دفة المملكة . فالذين دخلوا في الاسلام وحفظوا القرآن وتفقهوا في اصول الدين صارت لهم مكانة في المجتمع لا تقل عن مكانة العرب انفسهم . وان الدين بعدم تفريقه بين العرب وبين غيرهم من المسلمين فسح المجال امام غير العرب لمنازعة حكام البلاد في سلطانهم . ومما زاد في شكيمة المسلمين غير العرب أن تعاليم اليونان

وفلسفتهم وجدت منفذاً الى الاسلام عن طريق فارس والاسكندرية وكان تأثير هذه التعاليم في المسلمين سحريًّا

لم تستطع بزانطية القضاء على تقاليد اليونان وتعاليمهم التي ورثها عنهم الرومان عندما اكتسحهم روما . فقد ظلت تعاليم اليونان مستقرة في مصر وفي سوريا وفي بلاد فارس خاصة ثم ان ملوك فارس فتحوا ابوابهم للساطرة الفارين من عذاب بزانطية وشجعوا لهم بتأسيس مدرسة جنديسابور حيث كانت تدرس فيها فلسفة اليونان وتعاليمهم جنباً الى جنب مع فلسفة الهنود وعلومهم الطبية . وكان الخلاف اللاهوتي الذي أدى الى انقسام الكنيسة الى شرقية وغربية ، عاملاً هامًّا في دراسة الفلسفة اليونانية ولا سيما فلسفة ارسطو للاستعانة بها في المناجلات المذهبية وفي المناقشات الدينية . وكانت مدارس سوريا تهتم بترجمة تعاليم ارسطو الى اللغة السريانية بما كانت مدارس الاسكندرية معنية بدراسة الفلسفة الافلاطونية الجديدة

العرب في فارس

ولما كانت دمشق الشام ، عاصمة العرب ، بعيدة عن بلاد فارس لم يستفد العرب من الثقافة الفارسية بادىء ذي بدء الا ان انتقال الحكم من ايدي بني امية الى أيدي بني العباس . واتخاذ بغداد عاصمة للمملكة أدّى الى اقتراب العرب من الفرس والى تسرب الثقافة الفارسية الى اللغة العربية . ففي عام ٧٥٠ للميلاد تغلب العباسيون على أعدائهم من بني امية ففازوا بالحكم وبعد ذلك باثني عشر عاماً شيد المنصور مدينة بغداد لتكون عاصمة للمملكة . ومنذ ذلك الحين أخذت الثقافة العربية تتغير تغيراً سريعاً . ومما زاد في سرعة هذا التغير ان سمح الخلفاء لابناء فارس بتولي وظائف الدولة فاعتلوا بها حتى وصلوا الى كرسي الوزارة فالصدارة . وأشهر من تولى هذا المنصب البرامكة الذين كانوا عاملاً هامًّا في خلق عصر هارون الرشيد الذهبي

ولا يعزى الفضل في تطور الثقافة العربية وفي رقيها الى هارون الرشيد وحده بل الى ولده المأمون كذلك . ويعتقد بعض المؤرخين ان حب المأمون للعلم يعود الى ان والدته من اصل فارسي وان نشأته الاولى كانت فارسية . لهذا شبَّ وهو توّاق لدراسة العلم وللكشف عن اسرار المعرفة . وأعظم ما نهض به هذا الخليفة الخالد انهُ شجع دراسة الفلسفة اليونانية والعلوم الفارسية وأهتم اهتماماً كبيراً بامر ترجمة علوم اليونان الى اللغة العربية فكان من أثر ذلك ان نبتت علوم الكلام على أسس الفلسفة اليونانية

ولم يكن قصر المأمون بمكتبته الواسعة ومرصده الكبير وحده معهداً للعلم وموطناً للفلسفة ومركزاً للمعرفة . فقد كانت جميع قصور الامراء معاهد للنقاش العلمي وللمجادلات الكلامية . ومن المؤسف حقًّا ان هذا المجد العلمي العظيم لم يدم طويلاً فلم تمض بضع سنين على وفاة

المأمون حتى دب الخلاف بين الخلفاء وبين الولاة والامراء في المملكة وأخذ كل يسعى الى القضاء على الآخر فاضمحلت المملكة فريسة بين أيدي الاتراك الذين لم يكن لهم نصيب من العلم والثقافة . وهذا العصر الذهبي وان كان قصير الأمد الا ان أثره في العالم الاسلامي كان عظيماً جداً . فقد خلق مدنية فاقت ما تقدمها من مدنيات . ومن محاسن الاتفاق ان هذه المدنية العربية أسست دعائمها على ضفاف نهر عظيم يتصل بالبحر فيسهل الاتجار مع بلاد الشرق والغرب . فكان خزف الصين وعطور الهند وفراء بلاد الروس وجلود بلاد اوربا تباع في أسواق بغداد، وكانت نقود الخلفاء تتداولها أيدي الناس في بلاد غير المسلمين . ومما يدل على سعة انتشار التجارة العربية في العصر الذهبي ان بعض الأثريين اكتشف مؤخراً طائفة من النقود العربية المضروبة في بغداد المكتوبة بالخط الكوفي ، مطمورة في احدى الخرائب في اسكندناوه . وان رحلات السندباد البحري وان كانت خرافة لا يصح الاعتماد عليها الا انها تصور شغف العرب بالاسفار وبالتجارة

ولم تكن بغداد في زمن عزها مركزاً للرخاء المادي فحسب بل كانت ينبوعاً للعلم ومورداً للثقافة العربية . فتاريخ الحضارات لا يعرف حركة ثقافية أشد وأعظم من تلك التي نشأت في البلاد الاسلامية زمن عصرها الذهبي . واقبال المسلمين ، خلفائهم وأمرائهم ، خاصتهم وعامتهم على تعلم العلم والفلسفة لم يكن له مثيل من قبل في التاريخ . فقد كان تهافت طلاب العلم في جميع انحاء البلاد الاسلامية على بغداد وغيرها من مراكز التعليم أشد وأكثر من تهافت طلاب العلم على جامعات اوربا واميركا في هذه الايام . ففي المساجد وهي جامعات المسلمين وكلياتهم كان يجتمع عدد عظيم ممن سحر عقولهم التعليم وجذبهم التثقيف فجاءوا ليستمعوا لمحاضرات الاساتذة في الفقه وفي التشريع والفلسفة وفي الطب والرياضيات . وكان الاساتذة يتوافدون الى مراكز التعليم من مختلف الاقطار التي تتكلم العربية لاطمعاً في مغنم ولا جرياً وراء جطام وانما حبًّا في نشر افكارهم وتلقين معارفهم . ولهذا فقد كانوا أحراراً في القاء محاضراتهم لا يتقيدون برضا أمير ولا يخشون بطش جائر . وكان التزاحم بين الاساتذة على أشده فأقدرهم وأفقههم من جمع حوله اكبر عدد ممكن من المستمعين وكانوا يرحبون بالطلاب على اختلاف مللهم ونحلهم حتى ولو كانوا من الفقراء المعدمين الذين يعيشون على احسان المحسنين واكرام الباذلين

وكان القرآن أساساً لجميع ما كان يعلم في حلقات التعليم سواء أصرفاً ونحواً كان ما يعلم ام منطقاً ام عروضاً ام اي علم من علوم اللغة والكلام . ولا ريب ان اختلاف الاساتذة وتباين طرق تدريسهم وتشعب مادة الدراسة وعدم التفريق بين استاذ وآخر من حيث الجنسية أدى الى ايقاد شعلة الفكر في أدمغة كثيرين ممن كانوا يرتادون تلك المساجد . فقد كان الطلاب لا يترددون في الانتقال الى أستاذ من نيسابور ، ثم ينتقلون الى استاذ من سمرقند بعد ان

يأخذوا من الآن ما يريدون أخذه من دون ان يجد الطلاب والاساتذة عضاضة في عملهم هذا ما دام جميعهم يتكلمون لغة واحدة ويبحثون في موضوع واحد ويشعرون شعوراً واحداً

فلسفة الاسلام

كانت علاقة القرآن بالفلسفة العربية كما كانت علاقة الانجيل بما كان يدرس في مدارس اوربا في خلال القرون الوسطى، فهو ركنها وعنه تستمد قوتها. والفلسفة العربية لم تكتف بالاعتماد على القرآن بل رجعت كذلك الى تعاليم ارسطو تستمد منها مادة الجدل والمناقشة الدينية. وكان تأثير هذه التعاليم في فلاسفة المسلمين كبيراً جداً حتى ان ابن رشد ضمن اكثر تعاليم ارسطو في «كلياته». وكان يغالي فيها حتى اعتبرها بمنزلة التعاليم الروحية. واذا كان اساطين الفلسفة الاسلامية الذين بحثوا في ارسطو وبطلميوس وجالينوس وأبقراط وعن الذين كانت تعاليمهم مستمدة من الافلاطونية الجديدة لم يكتفوا الستار عن كنهه تكوّن النظريات اليونانية وعن تشوهها الا انهم عرفوا على الاقل كنهها ونقلوا فحواها الى العربية — لغة العلم والدرس يوم ذاك — حتى ذاع امرها بين طلاب المعرفة في مشارق البلاد الاسلامية ومغاربها وان جامعاتنا اليوم وان كانت لا تكترث لتعاليم الكندي والفارابي والفرغاني وابن الهيثم وابن سينا والرازي والباطني وابن باجة واليهودي وأبي معشر وابن رشد الا ان جامعات اوربا خلال القرون الوسطى كجامعات باريس وبادوا وناپولي وبولونا ما كان يدرس اساتذتها غير تعاليم هؤلاء وغيرهم من الفلاسفة المسلمين. ولكي تصبغهم بالصبغة اللاتينية تسهل تداول أسمائهم على ألسنة الاساتذة والطلاب اتحلتهم اسماء لاتينية. وان ما فعلته اوربا في خلال تلك القرون من فلسفة ورياضيات وطب وكيمياء وفلك لم يكن الا من كتب نزحت عن العربية وقد ظلت تعاليم فلاسفة العرب مهيمنة على الجامعات الاوربية حتى اواخر القرن السابع عشر

لقد أدخل العرب على العلوم الرياضية الترقيم الهندي. واستعملوا الرموز بدل الارقام فابتدعوا بذلك علم الجبر ووضعوا المثلثات، كما انهم استعملوا الجيب عوضاً عن الوتر. ولا يتسع المجال هنا لايراد جميع ما أدخله العرب على العلوم الرياضية ويكفي ان نشير الى بحوثهم في هذا الميدان ما زالت على جانب عظيم من خطر الشأن. أما في الفلك فلهم بحوث ونظريات تشهد بمدى اهتمامهم بهذا العلم. وما زالت المصطلحات العربية مستعملة في علم الفلك الحديث. والعرب وان كانوا يمزجون بين علمي الفلك والتنجيم الا انهم أكسبوه صبغة علمية ووضعوه موضعاً رفيعاً بين العلوم. أما الكيمياء فقد انحدرت اليهم من مدارس الاسكندرية فأحاطوا بها كثيراً من مادتها واستعملوها في الطب والصيدلة وما زالنا نستعمل في لغتنا الكيميائية كثيراً من الكلمات العربية. وانا وان نظرنا نظرة استخفاف الى ما كان يسمى اليوم الكيميائي العربي

من البحث وراء حجر الفلاسفة لتحويل المعادن الخسيسة الى ذهب خالص فان البحث العلمي الحديث أثبت امكان ذلك وان كانت الطريقة في ذلك غير الطريقة القديمة

وساعدت فكرة الارتياد عند رجال العلم جنباً الى جنب مع فكرة البحث العلمي فكان اكثر الأساتذة والعلماء رواداً يرتحلون البلاد طلباً للعلم وللمعرفة . ولا تعزى كثرة ارتياد العرب الى التوسع التجاري فقط بل الى حبهم للعلم والتثقيف كذلك فقد كان الاساتذة مضطرين الى الارتحال من بلد الى آخر للتدريس وللاستفادة . ويجب ألاَّ ينكر ان اللغة العربية بجمال لفظها وبكونها لغة القرآن كانت أقوى عامل في اجتذاب طلاب المعرفة من أقصى البلاد الاسلامية الى المراكز العلمية . ولم يكن يوم ذاك مركز أعظم شأناً وأرفع مقاماً من بغداد عاصمة الامبراطورية الاسلامية التي قامت بشهرتها العلمية كلاً من البصرة والكوفة المركزين الرئيسيين لعلوم الكلام وكان أهل العلم يتوافدون على بغداد حتى ولو كانوا يجهلون لغة القرآن . فقد نزح الفارابي من مدينة أورار المسماة قديماً فاراب من بلاد تركستان طلباً للعلم ، وكان يوم ارتحاله من البلد الذي ولد فيه لا يفقه من العربية شيئاً . فظل في مدينة حران يدرس في مدرستها الفلسفة اليونانية بمختلف مذاهبها على يد المعلم الصابئي المشهور بالباطي . ثم ارتحل منها الى بغداد حيث وقف حياته على دراسة ارسطو وسافر أخيراً الى الشام فبقي فيها يعلم بجامعها الكبير حتى وافاه الاجل عام ٩٥٠م

قصور الامراء مراكز للتثقيف

وبعد ما صفت شأن العباسيين وأصبح الخلفاء الدمية في أيدي مواليهم الترك ، انتقلت مراكز العلم من بغداد الى دمشق وحلب . فاجتذبت هذه المراكز الجديدة عدداً كبيراً من قادة الفكر ومن فلاسفة الاسلام وفي مقدمتهم الفارابي وابن سينا . وكان حذاق أشهر من درّس ارسطو ونقل الى العربية تعاليمه واشتهر ابن سينا أيضاً بنقله « القانون » أشهر كتب الطب القديم الى العربية وكانت المكتبة العربية غنية جداً بكتب الاسفار وبمصنفات الرحلات وبمعاجم الجغرافيا وأشهر هذه الكتب معجم البلدان لياقوت الحموي الذي كان مولداً يونانياً ثم أسلم فتعلم في بغداد ، ورحلة الادريسي ورحلة البكري ورحلة ابن جبير وغيرها من الاسفار . وقد لقب المسعودي أشهر مؤرخي العرب بهيرودوتس الشرق لكثرة أسفاره وارتحالاته

وما يسترعي النظر ان مصر التي اشتهرت بمدرسة الاسكندرية العظيمة ، كانت دون البلاد الاسلامية الاخرى علماً وثقافة . ويظن ان السبب في ذلك اهتمام ولاة مصر بجمع الخراج وبارساله الى بيت المال دون انفاق ولو جانب يسير منه على البلاد ارضاء للخليفة . اكتساباً لعطفه ولتقديره . فلما تمكنت الاحوال لابن طولون الاستقلال في مصر جمع اليه اهل العلم ورجال الادب

وأخذ بهذه الحركة العلمية بكثير من ماله الخاص ومن جهده . ولم تكن مصر قبل ابن طولون على شيء من العلم والفن وكانت أولى البدائع الفنية التي ظهرت في مصر المسجد الذي بناه ابن طولون قرب القاهرة فكان في نظر المصريين تحفة نادرة مثال زخارفه وبأفنانه . والظنون ان المهندس الذي وضع تصميم المسجد وأشرف على بنائه قبطي الاصل لاستعماله الزخرفة في بناء المسجد . ومما يحقق ذلك ان جميع الابنية الاسلامية ولاسيما المساجد التي بنيت قبل هذا التاريخ كانت خالية من الزخرفة

والفن الاسلامي لم يبزغ فجره الا في القرن العاشر عند ما تأسست دولة الفاطميين بمصر وشجعت فيه العمارة كل التشجيع فنشأ من ذلك فن للعمارة اسلامي الطابع بلغ أقصى حدود الابداع في أبنية قرطبة وغرناطة وأشبيلية وفي غيرها من حواضر الاندلس

ومما امتاز به الفاطميون انهم نظروا الى النحت ولا سيما نحت التماثيل والهياكل البشرية نظرة تسامح ورضا وتشجيع حتى ان احد وزرائهم سمح ان تنقش صورة غادة رائعة على جدران قصره . والمتاحف الاوربية ملأى بالآثار الفاطمية التي تنطق ببلوغ تقدمهم في فني الرسم والنقش . وهذه الروح الفنية قللت كثيراً من تعصبهم الديني وأثارت في نفوسهم الميل الى الترف والبذخ فقد أجاز الامراء لنسائهم ارتداء الملابس المطرزة والموشاة بالذهب . ومما لاشك فيه ان قصور الخلفاء في العهد الفاطمي كانت مزدانة بالغالي والنادر من التحف الفنية . وان المخلفات التي تركها آخر خلفائهم — الخليفة المستعصر — والتي عثر بها جند الترك المحتلون للبلاد لأعظم دليل على عظم ثروة الفاطميين المادية والفنية

لقد باع الجند المائت بمحتويات قصر الخليفة مقادير كبيرة من الاحجار الكريمة قدر وزنها بما يزيد على مائة كيلوغرام ، وعدداً ليس بالقليل من الأواني الزجاجية والذهبية المطعمة بالميناء وكذلك كمية من الجواهر الذهب والفضة والعاج . كما انهم باعوا حشية موشاة بالذهب قيل ان الخليفة المأمون كان ينام عليها . واقتسموا جميع الهدايا التي قدمها أباطرة الرومان الى الخلفاء وعدداً ليس بالقليل من المرايا القولاذية ومن ألواح الشطرنج المغطاة بالحرير الموشى بالذهب ومن قطع الشطرنج المصنوعة من الذهب والفضة والعاج والأبنوس . ومما نهبوا عدد عظيم من زهريات الرخيص والنفيس المصنوعة من الذهب الخالص والخزف . وأغلى ما فرطوا فيه عمامة الخليفة التي كانت مزدانة بالاحجار الكريمة البالغ وزنها ثمانية كيلوغرامات . وكان في قصر الخليفة طاووس مصنوع من الذهب الخالص صيغت عيناه من الياقوت التي طعم ريشه بمختلف الاحجار الكريمة وكذلك كان فيه غزال من ذهب غطي جيده بعقود اللؤلؤ الغالي وشجرة نخل صيغت من الذهب صنعت عنقودها من الجواهر الكريمة . وكان للخليفة مائة وثلاثون زورقاً يستخدمها لتزهاته في النيل وكان اكبر امراء القصر مفروشاً بسجادة كبيرة نسجت في بلاد فارس ورصعت

عليها خريطة بلاد العالم . وكانت جدران ذلك البهو مغطاة بقطعة كبيرة من الدمقس رسمت عليها بالذهب صورة حديقة غناء احتوت عدداً من الفيلة

ومما يبدو الجيش الذي مجموعة فاخرة من الاسلحة والسيوف والخناجر المرصعة مقابضها بالجواهر والاحجار الكريمة ، وكان لبعض تلك الأسلحة قيمة تاريخية كبيرة جداً فمن بينها درع الحسين بن علي (رضي الله عنه) ودرع لحمزة عم النبي وسيف للامام علي (كرم الله وجهه) عرف بذي الفقار . وكان للخليفة مجموعة فاخرة من الخيام الحرير المطرزة بالذهب قدر ثمن احداها بثلاثين الف دينار وكانت تعلو عن الارض عند اقامتها خمساً وستين ذراعاً ولا تحمل الا على مائة بعير

مصر في عصر الفاطميين

ولم يهتم الفاطميون بالناحية مادية من الحياة الاجتماعية فحسب بل وجهوا عناية كبيرة الى رفع مستوى الناحية العلمية كذلك فقد أسس الخليفة الحاكم بأمر الله داراً للعلم عام ١٠٠٥ للميلاد بمدينة القاهرة ليفسح المجال لدراسة جميع ما كتبه علماء الامامية وكانت تدرس فيها علاوة على ذلك علوم الكلام والعروض والقانون والطب والفلك — واسس فيها مكتبة واسعة جداً غنية بالمؤلفات النادرة وكانت هذه المدرسة كعبة لطلاب العلم في بلاد مصر وفي سائر الاقطار الاسلامية . وكثيراً ما اعتاد الخليفة الحاكم بأمر الله دعوة المدرسين في المدرسة لقصره للمباحثة والمناقشة بحضرته ولا يصرفهم الا بعد أن يتصدق عليهم العطايا والهبات

رفع الخلفاء الفاطميون مقام مصر بين البلاد الاسلامية حتى احتلت محلاً رفيعاً بينها فصارت كلها هي العليا في البحر المتوسط . وكان لابن طولون اسطول صغير قوامه مائة سفينة الا ان هذا الاسطول الصغير ازداد وكبر حتى بلغ عدد سفنه في عهد المعز ثمانمائة سفينة كبيرة في استطاعتها ان تجوب البحار وترتاد الامصار وتنقل تجارة الشرق الى الغرب . وبفضل هذا الاسطول استطاع الخليفة بمصر مشاطرة خليفة قرطبة سلطته بحر الروم . ومما اشتهر به المعز انه ازال الفروق الدينية بين الرعية فكان يعامل جميع الملل بالعدل والاحسان . وهو اول من سمح لغير المسلمين بتولي المناصب العليا في الدولة حتى انه استوزر يهودياً ومما يلاحظ ان معظم الخلفاء الفاطميين قرب اليه غير العرب من الرعية وفتحوا ابواب قصورهم لاهل الفرس والروم والقبط فألفوا بذلك بين المسلمين وبين غيرهم من الرعية . ومما لاشك فيه ان تقدم الدولة الفاطمية هذا التقدم السريع وبلوغها الذروة الرفيعة من المجد كان له أثر بعيد في الحياة الاوربية . وكيف لا يكون ذلك والاساطيل الاسلامية التجارية كانت تنقل كثيراً مما تنتجه البلاد الاسلامية ومما يصنعه المهرة من ابناء مصر والاندلس لبلاد الغرب . والصلة التجارية أولى دواعي التمدن

ولم يقتصر تأثير العرب بالبحر المتوسط على شواطئه فقط بل عمَّ الجزائر العامة فيه. فقد دامت سطوة العرب على جزيرة مالطة زهاء قرنين — من منذ القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر — وما زالت اللغة المالطية حتى الآن تشهد بعظم تأثير اللغة العربية في أبناء تلك الجزيرة. ودامت للعرب كذلك جزيرتا ساردينيا وصقلية ودام حكمهم في هاتين الجزيرتين حتى أواخر القرن العاشر. وكان لفن الأندلسي في العمارة أثر بين في قصور صقلية وفي آثارها.

ولقد ظلَّ العرب يعلمون العالم الأوربي ثقافته وعلومه طوال القرن العاشر والقرن الحادي عشر، حتى إن ابنة الفرنسي سيلفستر الثاني لم يستمد ثقافته العالية الا من معلمين عرب ومن كتب اسلامية، وإن ملوك صقلية فتحوا أبواب قصورهم للمسلمين ليستفيدوا من علومهم وليستمدوا من معارفهم. وإن نفس لا تسأم كيف أن روجر الثاني استقدم الادريسي، أعظم رجال العرب شهرة، الى بلاطه، وأسكنه قصره تقديراً لعلمه واعجاباً بشهرته

الثقافة العربية في صقلية

واشتهر فريدريك الثاني، من أسرة هوهنستوفن ومن أعظم ملوك صقلية، بأنهُ أعلم أهل عصره وأعلاهم ثقافة. ومما عمَّه هذا الملك العالم انهُ أقبل على تعلم العلوم العربية والفلسفة الاسلامية اقبالاً منقطع النظير. حتى ظنهُ أهل بلاده مرتدًّا عن المسيحية ومعتنقاً الاسلام. وعندما ارتحل الى بلاد بيت المقدس لمساعدة الصليبيين في حروبهم المشهورة استبدل بأراقة الدماء معاهدة صداقة مع ابن أخي صلاح الدين متخذاً له أصحاباً واخواناً من اعلام المسلمين في بيت المقدس. وكان تأثير الثقافة العربية في نفس الامبراطور فريدريك عميقاً جدًّا حتى انهُ أنف اللغة العربية وصار لا يتحدث الا بها وارتدى الزي العربي واستبدل بعادات بلاده العادات العربية وكتب رسائل متعددة باللغة العربية الى الفيلسوف العربي ابن سبعين وناقشهُ أفكاره في ما وراء الطبيعة. واذا ما ذكر المؤرخون فريدريك الثاني فانهم يذكرون كذلك جامعة نابولي تلك التي أسسها ليكون ينبوعاً للعلوم العربية في إيطاليا. ومن أجل أعماله انهُ أرسل ميخائيل سكوت الى طليطلة لنقل حاشية ابن رشد على أرسطو الى اللغة الايطالية كما انهُ بذل جهوداً كبيرة لمساعدة جامعتي سيلارنو وبولونا حيث كانت تدرس العلوم الطبية العربية

على هذا النحو انتشرت الثقافة العربية في أكثر البلاد الأوربية وكذلك عمَّت العلوم العربية على جامعاتها. عمَّت المصنوعات الفنية الحريرية والزجاجية كما عمَّت التجارات الاسلامية أكثر المدن الايطالية. فكان المسافر لا يمر بمرفأ إيطالي الا وجد فيه فندقاً خاصًّا بالتجار العرب وبالفادمين من البلاد الاسلامية. وما زال أثر الثقافة العربية ظاهراً حتى اليوم في بعض المقاطعات الفرنسية المجاورة لبلاد أسبانيا، فان شارل مارتل وان وانماء الحظ لصد العرب

الى ما وراء جبال البرنيه فقد خانهُ في منع تسرب ثقافتهم الى بلاد الفرنسيس . والاغاني الشعبية لتلك المقاطعات ما زالت تشهد بأنها مستمدة من الالحان العربية القديمه

ولا نستطيع ان ننتقل من هذه الناحية من البحث ما لم نقل كلمتنا في العصر الذهبي الأندلسي فقد فاق هذا العصر سابقه عصر بغداد بسعة انتشار الروح العلمية وبلوغ مقام الفن الأندلسي . ويعزى العصر الذهبي الأندلسي الى انصهار شعوب مختلفة وتبلور شعب واحد منها يحمل ثقافات متعددة . والعنصر العربي وان كان أظهر العناصر الفعالة في العصر الذهبي ببغداد الا انهُ كان عنصراً ثانويًا في العصر الاندلسي . فكان الاندلسيون خليطاً من بربر افريقيا وقوط أوربا ويهود أسبانيا . ومن الغريب ان الأمويين في الشام لم يكترثوا للناحية العلمية والفلسفية من المدنية بقدر ما اكترث لها حفدتهم في الاندلس عندما أحلوا العلم والفلسفة والآداب المقام السامي بين نواحي التمدن الاخرى

أرسطو يعود الى أوربا

كانت المدة بين العصر الذي عاش فيه أرسطو وبين ذلك الذي عاش فيه ابن رشد تزيد على خمسة عشر قرناً ، ولذا يصح لنا ان نقول ان فلسفة أرسطو استغرقت في سيرها من أثينا الى الاندلس مدة طويلة كما انها اجتازت مسالك وعرة كادت تقضي عليها لو لم يتيحها المسلمون . وكما ان المنطق كان الاداة التي اتخذها أرسطو لتفهم فلسفته كذلك كانت اللغة العربية الوسيط الذي نقل تلك الاداة من الامبراطورية الرومانية في الشرق الى باكتريا — تلك التي افتتحها من قبل اسكندر العظيم تلميذ أرسطو . وانتقلت تعاليم أرسطو مرة ثانية الى بلاد الغرب على يد ذلك الوسيط بعد ما خبت نار العلم فيه فأذكتها من جديد . وكان طبيعيًا ان تصطبغ فلسفة أرسطو بصبغات ثلاث هي اليونانية فالمسيحية فالاسلامية ، وان تدوّن بلغات عدة هي السريانية فالعربية فاللاتينية ، وان تضم اليها كثيراً مما كان يدين به المصريون والفرس والهنود . الا ان اللغة العربية استطاعت ان تحتفظ بالأصل فتنقله بأمانة وبإخلاص الى أبناء أوربا مرة ثانية . ولا يخفى ان وحدة اللغة ووحدة الدين كانتا أكبر عوامل في حفظ تراث اليونان والرومان ونقله من الغرب وردّه ثانية اليه

ان اللغة العربية ، بآدابها العالية التي تحببها الى نفوس الباحثين والتي ستبقيها دائماً في مستوى اللغات الحية الاخرى ، أسدت أعظم خدمة الى البشرية عندما احتفظت بالتراث العلمي القديم في زمن كان فيه الغرب في ظلام دامس من الجهل ومن الأمية . وان سحر اللغة العربية وتشبع أبنائها بالروح العلمية كانا أعظم أسباب البعث العلمي الحديث

قنابل الطائرات

أصنافها وأوصافها وفعلها

العلم مطبقاً في أمتع صوره

أصبح القاء القنابل من الطائرات علماً عسكرياً له قواعد وأصول في صنع القنابل نفسها وتخير الأهداف وقذف القنابل التي تصلح لكل هدف . وهذه ناحية جديدة في الحرب الحديثة لأن الطائرات في الحرب العالمية الماضية لم تبلغ من اتقان الصنع مبلغاً يمكن القيادات العليا من استعمالها أداة سهلة للهجوم على الأهداف العسكرية وغيرها ، فغدت الآن امتداداً المدافع الضخمة لأنها تتخطى الحواجز والحوائل الطبيعية والصناعية

هو ذا الطائرات القاذفات المتعددة المحركات تحمي بالالوف وفي وسع بعضها ان يحمل قذائف ضخمة يبلغ وزن القذيفة منها طناً أو اكثر فتلقيها — اذا أتاحت لها وسائل الدفاع من مطاردات ومدافع مقاومة للطائرات وغيرها ذلك — على الاهداف العسكرية وغير العسكرية الثابتة والمتحركة على البر وفي البحر

وهذه القنابل اصناف منها النافذ المنفجر ومنها المنفجر المنتشر ومنها المحرق ومنها المحتوي على مواد كيمائية سائلة او غازية او عضوية كالجراثيم

فلننظر اولاً في القنابل المنفجرة وأشهرها صنفان . إنّ قنبلة الصنف الاول تشبه البيضة المستطيلة لها رأس مستدق من الصلب وقشرة رقيقة . وداخل القشرة المادة المنفجرة وجهاز دقيق جداً لتفجيرها . والصفة الخاصة التي تتميز بها هذه القنابل أن رأسها المستدق يمكنها من ان تخترق ما تسقط عليه من الاجسام ولا تنفجر الاّ بعد اصطدامها بذلك الجسم واختراقها اياه . فاذا قذفت قنبلة من هذا الصنف من طائرة على ارتفاع عشرة آلاف قدم فانها تصيب الجسم الذي تصطدم به على سطح الارض وهي سائرة بسرعة ٨٠٠ قدم في الثانية او بسرعة ٥٠٠ ميل في الساعة . ولكنها لا تنفجر عند الاصطدام تواً . فاذا كان الجسم بناية من البنايات الحديثة اخترقت القنبلة برأسها المستدق الصلب سطح البناية وثلاثاً او اربعاً من طبقاتها وعندئذ تنفجر فتدمر البناية وتفتك بمعظم سكانها . اي ان هنيهة تنقضي بين اصطدام القنبلة وانفجارها ولكنها هنيهة كافية لاختراق القنبلة مسافة ٤٠ او ٥٠ قدماً من البناية وفقاً لطراز بنائها وهل هي مبنية

بالسنت المسلّح او بالحجارة . وهذه القنابل من أصلح ما يكون لاختراق الارض الى الخنادق المعدة التي انشئت تحت سطحها

وهناك صنف آخر من القنابل المتفجرة وهو الذي ينفجر حالاً عند الاصطدام بجسم صلب. ان قنابل هذا الصنف لا تختلف عن قنابل الصنف الآخر شكلاً . فالقنبلة تشبه البيضة المستطيلة ولكن رأسها مدبب بدلاً من ان يكون مستدقاً . وقشرتها كثيفة . ولكنها تنفجر حال اصطدامها بجسم صلب تتطاير أجزاء قشرتها الكثيفة في كل ناحية . ولما كانت هذه القنبلة تنفجر حال اصطدامها بجسم صلب فانها تحفر حفرة كبيرة في الارض بل ان حفرتها قد لا يزيد عمقها على قدمين على المعدل اذا كان وزن القنبلة مائة رطل . وهذه القنابل نوعان . ففي الواحد يكون الكباس في الرأس فلا يزيد عمق الحفرة على قدمين على المعدل . وفي الآخر يكون الكباس في الذيل فيبلغ عمق الحفرة خمس أقدام او ستًّا

أما المادة المتفجرة التي تحشى بها هذه القنابل فهي مادة الترايتروطولوين (T. N. T) وهي مادة ليست بشديدة التأثر بالاصطدام ولذلك تضاف الى القنبلة مادة اخرى مثل نترات الأمونيا وهي مادة متفجرة بذاتها . وقد يضاف الى التزيج قدر يسير من مسحوق الالومنيوم. وبعد ذلك يجب ان تشتمل مادة متفجرة أخرى لان هذه المواد لا تنفجر بذاتها حتى ولو سقطت القنبلة من ارتفاع كبير . وهذه المادة المتفجرة هي الزئبق المفرقع fulminate of mercury (وهو ملح الزئبق من الحامض الفلمنيك) ومع ذلك فقد لا تكفي هذه المادة لتفجير حشوة القنبلة فتوضع مادة اخرى وسط في سرعة تفجرها بين الزئبق المفرقع والحشوة . والغالب أن تكون مادة « التريل » Tetryl (واسمها الكيمائي Tetra-nitro-methyl-aniline) وهي من منتجات مصانع الاصباغ

***

أما القنابل المحرقة فتحشى بالتزميت Thermit وهو مزيج من مسحوق الالومنيوم واكسيد الحديد المفحط . فاذا اشعلت هذه المادة بواسطة لهب شريط من المغنيسيوم تولدت حرارة تتباين من درجة ٢٣٠٠ الى ٢٥٠٠ درجة مئوية . وهذه الحرارة كافية لصهر الصلب . ومن مزايا التزميت انهُ لا يحتاج الى الهواء للاشتعال لان الاكسجين الذي في اكسيد الحديد يكفيه فيتحد الاكسجين اتحاداً سريعاً بمسحوق الالومنيوم ويولد حرارة عالية . بل ان هذا التزيج الجهنمي يحترق تحت الماء فيغلي الماء ويفور كأنهُ منبثق من نبع فوار . واذن فالماء لا يفيد في مقاومة هذه النيران المتأججة اذ تحولها بخاراً ساطعاً (تحط الجدي تف صوفهُ بالماء الحار) وخير الوسائل لمكافحتها هو الرمل فيحد من مدى انتشارها

اما القنابل المحرقة الحديثة صغيرة الحجم (تتصدر على الغالب من بوصات طولاً وثلاثة ارباع البوصة قطراً ولكل منها رأس من الحديد كثيف مسدق . وتوضع مئات من هذه القنابل في اوعية كبيرة فتقذف الطائرات الاوعية في الفضاء فتتفكك في اثناء سقوطها وتسقط القنابل منتشرة فوق منطقة واسعة فتشب فيها مئات من الحرائق الصغيرة القوية فيصعب على فرق المطافىء السيطرة عليها جميعاً لكثرتها . فاذا تبع القاء القنابل المحرقة حملة من القاذفات القنابل المتفجرة والغازية فالغالب ان تعجز قوات الدفاع المدني عن القيام بجميع الاعمال اللازمة لاطفاء الحرائق وتنظيف الشوارع من آثار الغازات واعانة المصابين

وأشدُّ القنابل الغازية فتكاً هي القنابل المحشوة بغاز الخردل . وهو سائل على ما تعلم . فاذا انفجرت القنبلة انتشر السائل ورسب الى سطح الارض حيث يلصق بها ويبقى فعالاً بعد انقضاء الحملة بضعة أيام . فاذا ارتفعت حرارة الجو قليلاً ، تصعدت منهُ أبخرة قد تتغلغل في الخلايا الحية وتؤثر في العينين والرئتين . وهذه الابخرة لا رائحة لها ولذلك فقد يظن بعضهم ان الخطر زال بزوال الحملة الجوية وانقضاء يوم على ذلك فيرفعون الاقنعة الواقية فيستنشقون هذه الابخرة وهم لا يدرون ، ثم لا تنقضي ساعات حتى تظهر اعراض الاصابة وهي كما وصفها الدكتور علي توفيق شوشه بك في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٣٥ قال : «هذا الغاز لا يؤثر في المرء على الفور فلا يحس من يتعرَّض لهُ بحكة او حرق في جلده ولكنهُ يتغلغل الجلد في خلال ثلث ساعة ، وانما يتوقف اختراقهُ للجلد على نائه التشريحي فجلد العنق والابط والذراع والصفن أسرع تأثراً به من جلد الكفين والقدمين . ويظهر على الجلد عند تأثره بهذا الغاز بقع حمر لا تلبث ان تتخذ شكل الفاطات الناشئة عن الحرق بالنار . واذا استنشق المرء ١٢ ملليغراماً منهُ في الدقيقة أفضى ذلك الى تلف الرئتين . . . . وتأثر العينان بهذا الغاز فتنفجران وتلف ملتحمتها وقرنيتها . بل تتلف العين كلها . واذا كان مقدار الغاز في متر مكعب من الهواء يختلف من عشر سنتمتر مكعب الى خمس سنتمتر مكعب أثر في الانسجة المخاطية فاذا أبلغ المقدار من سنتمتر واحد مكعب الى ثلاثة سنتمترات مكعبة في متر مكعب من الهواء كان استنشاق هذا الهواء مميتاً »

فاذا مضت الحرب في سبيلها وطالت فليس في وسع الذهن ان يتخيل صور التدمير والتنكيل التي تنشأ عن المضي في الاستعانة بعلوم الطبيعة والكيمياء لزيادة هول القنابل التي تقذف من الجو ، والاتوال في ذلك كثيرة تتفاوت من استعمال مادة سلولوسية منسوبة في الاكسجين السائل فتتعدو شديدة التفجر الى اطلاق الطاقة الذرية بفلق ذرات الأورانيوم (راجع صدر مقتطف دسمبر ١٩٣٩) وتقذف قنابل من الجو حاملة بجراثيم الامراض الوبائية الحاصدة

من اسرار العربية

تعليل بناء الكلمات الفصيحة

بالنحت والزيادة

لاسماعيل مظهر

يحملني على متابعة البحث في هذا الباب حاجة اللغة العربية في الطور الشوكي الذي تجتازه الآن الى مجاراة اللغات الاخرى في صوغ الالفاظ العلمية وأسماء طبقات الحيوان والنبات. فقد دلتني التجربة الطويلة وطول الاكباب والتبصر على ان الاشتقاق القياسي وحده لا يواتينا بالعُدة التي نستكن بها من صوغ كل ما نحتاج اليه من الأسماء، كما دلتني على ان هذا الاشتقاق القياسي نفسه لم يوات العرب في عصر ازدهارهم وفي عصر جاهليتهم، بالمادة التي تمكنهم في صوغ الالفاظ الدالة على مختلف المعاني التي أرادوا التعبير عنها بكلمات عربية قياسية البناء، فلجأوا الى أساليب منها ما سميتهُ أسلوب « الاقتباس » (أنظر محاضرتي في المؤتمر التاسع للمجمع المصري للثقافة العلمية) ومنها التعريب، ومنها زيادة الحروف على الأصول، ومنها النحت. وقد فصلت ذلك جيداً في محاضرتي السالفة بعنوان « اللغة العربية لغة علمية: قدرة اللغة العربية على صوغ الاسماء والمصطلحات العلمية عامة وتصنيف عالم الحيوان خاصة ». فلا حاجة بي الى تكرار ما سبق ان فصلتهُ في موضع آخر. وانما أريد ان أقول ان جميع الذين بحثوا في النحت قد لزموا في بحوثهم ما ورد في كتب القدماء وأخصها ما جمع السيوطي في كتابه « المزهر ». أما بحثي هذا فطريف إذ أحاول ان أثبت فيه رأي ابن فارس في ان النحت كثير في اللغة العربية، وهو الرأي السديد الذي أنكره عليه الجامدون، وذهبوا الى القول بأن اللغة العربية لغة اشتقاق لا لغة نحت، بدون تبصر في أسرار هذه اللغة الكبرى. وسأتتبع البحث في كلمات فصيحة لأثبت أنها منحوتة او أنها مصوغة بطريق زيادة الحروف على الأصول لافادة معنى يزيد في معنى اللفظ قبل الزيادة عليه. فاذا ثبت ذلك كان لنا ان نجري على ما جرى عليه العرب، فنفتح في العربية أبواباً مغلقة تطلعنا على آفاق لا نهاية الاتساع تجتليها اللغة العربية لذات العالم قاطبة

الخَيْتُورُ : لفظ منحوت من لفظين هما : خَتَعَ (١) خَتَرَ

خَتَعَ (ل ٤١٤ : ٩) المصدر الخَتْعُ والخَتَوع

(١) في الارض : ذهب وانطلق (٢) الدبر : سار بهم ثبت انطلقة على القصد (٣) رجل : خُتَعٌ وخَتِيعٌ وخَتُوعٌ : حاذق بالدلالة سير بها ، وخَتْعَةٌ وخُتَعٌ : السريع المشي ، الدليل ، (٤) الخَوْتَع : الدليل أيضاً (٥) استختع : في الارض ابتدأ (٦) خَتَعَ على القوم : هَجَمَ (٧) خَتَع : الفحل خلف الابل : اذا قارب في مشيه (٨) ختوع السراب : اضمحلالهُ (٩) الخوتع : ضرب من الذباب كبار (١٠) الخوتع : ذباب الكلب ، وذباب ازرق يكون في العشب (١١) الخَتْعَة : المرة الاتي (١٢) الخُتَع : من اسماء الضبع (١٣) الخَتِعة : حَتَّة من أدم يغشي بها الراعي ايهامه لرمي السهام (١٤) الخِتاع : الدسيانات: مثل ما يكون لأصحاب الزناة (١٥) الخَوتع : ولد الارنب

خَتَرَ (ل : ٣١٠ : ٥)

(١) الخَتْرُ : شبه بالغدر ، وقيل هو الخديعة ، وقيل هو أسوأ الغدر وأقبحه (٢) الغدر (٣) خيتور : خَتور : غادرٌ (٤) الفساد : يكون ذلك في الغدر وغيره (٥) خَثَرَ السراب : اذا فسد بنفسه وتركه مسترخياً (٦) الخَتْرُ : الحذر (٧) التخثر : التغير والاسترخاء (٨) خثرت نفسه : أي خبثت وتخثرت : خبثت أي استرخت

الخيتور (ل : ٣١١ : ٥)

(١) السراب ، وقيل هو ما يبقى من السراب ؛ ولا يلبث ان يضمحل ، هو ما يبقى من آخر السراب حين يتفرق فلا يلبث ان يضمحل (٢) خَثْثَرة : السراب اضمحلاله (٣) ما ينزل من الهواء في شدة الحر ابيض كالخيوط او كنسيج العنكبوت (٤) الغادر (٥) الدنيا : على المثل (٦) وقيل : الذئب : سمي بذلك لانهُ لا عهد لهُ ولا وفاء (٧) الغول : لتلونها (٨) امرأة خيتور : لا يدوم ودها : مشبهة بذلك (٩) كل شيء يتلون : لا يدوم على حال (١٠) السلطان (١١) دويبة سوداء تكون على وجه الماء لا تلبث ان توسع الا ريثما تطرف (١٢) الداهية (١٣) نوى خيتور : لا تدوم (١٤) كل من يضمحل ولا يدوم على حالة واحدة (١٥) او لا يكون له حقيقة : كالسراب ونحوه : والياء فيه زائدة

تبيان ذلك ان الخيتور :

١ — السراب ، ما تبقى من السراب لا يلبث أن يضمحل ، ما يبقى من آخر السراب حين يتفرق فلا يلبث ان يضمحل ، خثرة السراب : اضمحلاله ، وخَتَع : ختوع السراب : اضمحلاله ، وخَتَع في الارض : ذهب وانطلق : وهذه من صفات السراب) ، والدليل سار بهم

تحت الظلمة على القصد (والسراب ضرب من السير والتبدد) ، وخُتْع وخَتِيع وخَوْتَع : رجل حاذق بالدلالة ماهر بها ، خُتْتَعَةٌ وخُتَّع : السريع المشي الذليل (ومن صفات السراب المشي والتثاقل) ، الخوتع الذليل ، المختع في الارض أبعد (والسراب كما أقبلت عليه أبعد) ، خَتَع الفحل خلف الابل : اذا قارب في مشيه (والسراب كما لاح لك انهُ قريب قاربتَ في مشيك اليه ، اي جعلت خطاك متقاربة سريعة) ، ومن خَتَر : خَتَرهُ الشراب : اذا فسد بنفسه وتركه مسترخياً ، والختر: الحدر، والختر الفتر والاسترخاء (وجميع هذه المعاني فيها معنى الاضمحلال كاضمحلال السراب وختره)

٢ — ودوية سوداء تكون على وجه الماء لا تلبث في موضع الا ريثما تطرف ، ومن ختع : الخوتع ذباب الكلب ، وذباب أزرق يكون في العشب ، وضرب من الذباب كبار (وفي ذلك من تقارب الدلالة ما فيه)

٣ — والذئب سمي بذلك لانهُ لاعهد له ولا وفاء ، ومن خَتَع : الخَتَعة المرة الانثى ، والخَتَع من اسماء الضبع ، والخَوتع : ولد الأرنب (وفي ذلك من تقارب الدلالة ما فيه)

٤ — والغادر ، والدنيا (لان من صفاتها الغدر والتحول) وقيل الغول لتلونها ، امرأة لا يدوم ودها ، كل شيء يتلون ولا يدوم على حال ، السلطان (لان من صفاته التحول) ، نوى لا تستقيم ، كل من يضمحل ولا يدوم على حالة واحدة ، او لا يكون له حقيقة كالسراب ونحوه، ومن خَتَر : الخَتْر : شبه بالغدر وقيل هو الخديعة ، وقيل هو أسوأ الغدر وأقبحه، الغدر ، خَتِير وخَتور غادر ، الفساد : يكون ذلك في الغدر وغيره ، خترت نفسه: خبثت ، تخترت : استرخت (وفي هذا كله من صفات السراب شيء كثير ، فالخديعة والغدر والفساد هو تفرق السراب وتبدده ، والاسترخاء فيه من الاضمحلال مكان)

وتأويل ذلك : ان الختور لفظ منحوت من لفظين هما خَتَع وخَتَر ، أخذ منهما اولاً فعل رباعي هو « خَتْعر » اجتمعت في دلالته معان من اللفظين ، والبرهان على ذلك قوله « خترة السراب: اضمحلاله . والخترة مصدر رباعي كالدحرجة، فلا بد من ان يكون له فعل أُخذ منهُ، ثم قيل الخَتور وزان فَعول او خُتور وزان فُعول »، ثم زيدت الياء فكان الخيتور، أما الفعل خَتْعَرَ والاسم الخَتعور أو « الخُتور » فقد أميتا بالاغفال

***

صَلْخَدٌ : لفظ منحوت من لفظين هما : صَلْدٌ (و) صَخْدٌ

صلدٌ (ل ٢٤٤ : ٤)

(١) حجر صلد وصلود بين الصلادة والصلود : صلب أملس والجمع اصلادٌ (٢) حجر صلدٌ

وجبين صلد : أملس يابس (٣) الصيلد والصلداءة : الأرض الغليظة الصلبة (٤) أصلاد جبين الموضع الذي لا سمر عليه ، شبه بالحجر الأملس ، وجبين صلد ورأس صلد ورأس صلادم ، كصلد ، وحافر صلد وصلادم (٥) مكان صلد : لا ينبت ، صلب شديد (٦) امرأة صلود : قليلة الخير وقيل صلبة لا رحمة في فؤادها (٧) رجل صلد وصلود وأصلد : بخيل جداً (٨) مُر صلود : غلب جبلها فاستمت على حافرها (٩) فرس صلود بطيء الانضاح ، قليل الماء . وقيل هو البطيء العرق (١٠) أصلد : صوّت ولم يور ، وقدح فلان فأصلد (١١) حجر صلد وصلود لا يوري (١٢) صَلِيدَ الزند يصلَد صلوداً : اذا صوّت ولم يخرج ناراً (١٣) صَلَد المسؤول السائل اذا لم يعطه شيئاً (١٤) صَلَدَت أبا به فهي صالدة وصوالد : اذا سمع صوت صريفها (١٥) صَلَدَ الوصيل يصلد صلداً فهو صلود : ترقى في الجبل (١٦) صَلَدَ الرجل يديه : صفق (١٧) صلدت صلة الرجل : إذا رقت

صخدٌ (ل ٢٣١ : ٤)

(١) الصَّخْدُ : صوت الهام والصُّرَد (٢) الصُّيْخُدُ عين الشمس سميّ بها لشدة حرها (٣) حر صاخد شديد (٤) الاصخاد واصخدان شدة الحر . ويوم صاخد وصخود وصيخد وصخدان ، وليلة صخداء (٥) صَخَدَتْهُ الشمس تصخَده صخداً : أصابته وأحرقته او حميت عليه (٦) صَخَدان الحر وصخْدانه : شدته (٧) الصاخد الهاجرة ، وساجرة صيخود : متقدة (٨) أصخد أخرباء : تعلّى بحر الشمس (٩) صخرة صخود : صماء راسية شديدة (١٠) الصيخود : الصخرة الصماء الصلبة لا تحرك من مكانها ولا يعمل فيها الحديد ، والصخرة العظيمة التي لا يرفعها شيء ولا يأخذ فيها مِنقار ولا شيء ، وهي الصلبة التي يشتد حرها اذا حميت عليها الشمس ، والياء زائدة (١١) صَخَد فلان الى فلان يصخَد صخوداً : اذا استمع منه ومال اليه فهو صاخد

صَلْخَدٌ : الصَّلْخَدُ والصَّلْخَد والصُّلخد والصلاخدُ والصَّلخاد والصُّلخدى : كله الجمل المسن الشديد الطويل ، وقيل هو الماضي من الابل . صَلْخَدَّى (بالتنوين) الفحل الشديد والانثى صلخداة وصيلخود . الصَّلْخَيدُ المنتصب القائم . أصلخد اصلخداداً : اذا انتصب قائماً : الصلخدي : القوي الشديد مثل الصلخدم (الياء والميم زائدتان)

فأنت ترى ان جميع المعاني التي انحصرت في هذا اللفظ تدل على القوة والشدة والانتصاب والقيام وفيها من الشدة معان ومن القوة مناسبة . فاذا كان من معانيه (الجمل) فقد قيد بأنه المسن الطويل ، واذا كان من معانيه « الفحل » فقد نصّ على انه الشديد ، ويجب ان نعي ايضاً ان من صيغ هذا اللفظ ما يدل على القوة والشدة مثل الصلخدى والصلخدم اما اذا رجعت

الى معاني صلد وصخد فانت واقع في كليهما على ما يفيد الشدة كل الشدة والى القوة كل القوة :

وانت ترى ايضاً ان معاني الشدة والقوة واليأس والصلابة قد اجتمعت في مدلول الكلمات الثلاث؛ وهي تكاد تنطق بأن صلخد منحوت من صلد وصخد على ان العرب لم يقفوا عند ذلك، فان اللفظ وان كان منحوتاً ، فانهم لم يمتنعوا عن زيادة مبناه بزيادة مبناه فزادوا عليه الباء فقالوا صلخدي والميم فقالوا صلخدم ، والباء والواو فقالوا صلخود والالف فقالوا الصُّلاخد والصَّلخاد . وهذا منتهى ما تصل اليه لغة من المطاوعة في صياغة الالفاظ . وفي هذا لا تزال اللغة العربية لغة اخرى على الاطلاق

***

جَلْمَدٌ : جُلْمُودٌ : لفظ منحوت من لفظين هما جَلَدَ (و) جَمَدَ جلد (ل : ٩٦ : ٤)

الجلدُ : الغليظ من الارض ، والارض الصلبة وكذلك الأجلد ، وفي حديث الهجرة حتى اذا كنا بأرض جَلَدَةٍ أي صلبة ، ومنهُ حديث سُراقة وحلي فرسي وأني لفي ارض جَلَدَةٍ : صلبة مستوية المتن غليظة ، والجلادُ من النخل : الكبار الصلاب ، ناقة جلدة : الصلبة الشديدة الجليد : ما جمد من الماء وسقط على الارض من الصقيع فجمد ، والجَلَدُ من النعم والابل : التي لا اولاد لها

جمد (ل ١٠٣ : ٤)

وشاة جَمادٌ : لا لبن لها ، وسنة جمادٌ لا مطر فيها ، سنة جامدة لا كلأ فيها ولا خصب ولا مطر ، ناقة جماد : لا لبن لها ، ارض جماد يابسة ، لم يصبها مطر ولا شيء فيها ، الجُمْدُ والجُمُدُ والجَمَدُ ما ارتفع من الارض والجُمْدُ والجُمُدُ كان صلب مرتفع الجُمُد قارة ليست بطويلة في السماء وهي غليظة تغلظ مرة وتلين اخرى تنبت الشجر ، سميت جُمُداً من جمودها اي من يبسها ، والجُمُد أصغر الاكام

جُلْمُودٌ : جَلْمَدٌ (ل ١٠٢ : ٤)

(١) الصخر ، الصخرة (٢) أصغر من الجندل : قدر ما يرمي بالقذّاف (٣) الجلامد : كالجداول (٤) ارض جَلْمَدَةٌ : حَجِرَةٌ (٥) الجلمود : مثل رأس الجدي نحملهُ بيدك قابضاً على عرضه ولا يلتقي عليه كفاك جيداً ، يدقُّ به النوى (٦) الجِلْمِيدُ : اتان الضحل : وهي الصخرة التي تكون في الماء القليل (٧) رجل جَلْمَد وجُلْمد : شديد الصوت (٨) الجَلْمَدُ : القطيع الضخم من الابل ، والابل الكثيرة والبقر (٩) ضأن جَلْمَدٌ : تزيد على المائة (١٠) التي عليه جلاميده : أي نبقله (١١) الجَلْمَدَةُ : البقرة

وانت ترى ان معاني هذه الالفاظ الثلاثة قد بلغت من الاشتراك مبلغاً لا يترك مجالاً لريب في انها جميعاً ترتبط بأواصر ترجع الى اصولها ؛ فالجلد والجلد من ستة أحرف اربعة مشتركة واثنان نابيان ، والجلمد اربعة احرف يمكن ان تستخرج منها الاحرف الستة المكونة للفظين ، وما الجلمود الاّ الجلمد ، زيد اليه الواو . وفي ذلك من تقارب المعنى بتشارك الحروف ما فيه من دلالة على ان لهذه اللغة العربية سرًّا مكنوناً يمكننا ان نستخرج بعضه بطول الاكباب على درس تاريخ نشوء الكلمات بالنحت والزيادة

وأنت ترى فوق ذلك ان في جلمود وجلمد معنى الصخر والجندل والشدة والصلابة وفي الجلَد الارض الغليظة الصلبة ، والجلاَد من النخل الكبار الصلاب ، وفي الجَسَد ما ارتفع من الارض ، والجُسُد مكان صلب مرتفع . ثم عود الى الجلمد فتجده القطيع الضخم من الابل ، والبقر ، والضأن تزيد على المائة ، فدلت من الحيوان على كمية ، ونجد ان الجَلَد من الغنم والابل : التي لا اولاد لها والناقة الجَلَدة : الصلبة الشديدة فدلت من الحيوان على صفات ، وفي الجَسَد شاة جماد : لا لبن لها ، فدلت على صفة من الحيوان ، وسنة جماد لا مطر فيها : فدلت على صفة في الزمان ، بينها وبين الصفة التي دلت عليها في الحيوان آصرة وعلاقة . فهل كان جميع ذلك خبط عشواء وظهر الغيب . كلاّ وانما كان بالنحت . ولا نقصد بالنحت ان العربي كان يكتب اللفظين « جمد — جلد » ويصوغ منهما « جلمد وجلمود » ، وانما هي معاني اللفظين تنهالت في حفيظته مقرونة بهما ، فيجري على لسانه لفظ مصوغ منهما ، حاملاً من المعنى ما اريد به الدلالة عليه بحيث لا تغيب دلالة اللفظ المنحوت عن علاقة ما بدلالة الالفاظ الاصلية . ولهذا نقول آمنين الضار ان اللغة العربية في بنائها لغة نحت وزيادة ، كما هي لغة اشتقاق ، وان اتخاذ النحت والزيادة اصلين للوضع امر لا تغيب عنه خليقة اللغة ، ولا يدل الاّ على ان اللغة العربية اوسع اللغات موارد وأعظمها اصولاً وأقدرها على الوضع وأكثرها طواعية وأمرنها على التوسع والامتداد

***

خَتْلَع : لفظ منحوت من لفظين هما : خَتَعَ وتَلَعَ

خَتْلَعَ الرَّجل : خرج الى البدو

وختع : في الارض : ذهب وانطلق ، الدليل : سار بهم تحت الظلمة على القصد ، خَتَّع وخَتِيع وخوتع : رجل حاذق بالدلالة ماهر بها ، وخَتَعْتَعَة وخَتَّع : السريع المشي الدليل ، الخوتع الدليل ، اختع في الارض : أبعد

تلع : النهار وتلع ارتفع ، وتلعت الضحى انبسطت ، وتلع الظبي والثور من كناسه أخرج رأسه وسما بجيده ، وأتلع رأسه أطلعه ، وتلع الرجل رأسه أخرجها من شيء كان فيه ، أتلع رأسه اذا أطلع ، وتلع الرأس نفسه . تلع : مد عنقه للقيام . التلع التقدم

وتأويل ذلك :

ان تتلع فعل منحوت من لفظين هما تتع وتلع : فتع تلع كل معاني الخروج والبروز والتقدم نحو شيء او غرض ، وغاية التلع وهو مد العنق للقيام ، فيه معنى العزم والتحفز ، وفي تتع معنى الذهاب والانطلاق ومعنى السير تحت الظلمة بارشاد دليل ، والمربع المشي تتعة وتتع والاختباع في الارض : الابتعاد فيها . والختلة الخروج إلى البدو ، وهو عمل فيه كل المعاني المشتركة في تتع وتلع : فالخروج الى البدو لا يكون الا من حضر ، وهذا يقتضي التطلع وأعمال الفكر ، ثم التلع وهو مد العنق للقيام والتقدم ، ثم التتع او الختوع وهو الذهاب والانطلاق والسير تحت الظلمة او في وضح النهار ، والاختباع وهو الابتعاد في الارض

***

الجادلة : كلمة منحوتة بنص لسان العرب :

انظر مادة جمد : ل ١٠٤ : ٤ سطر ١٧ حيث يقول ويقال للبخيل جادلة أي ما زال « جامد الحال » : قال المتلمس

جادلها جمادِ ولا تقولن طوال الدهر ما ذكرت حمادِ

ومن ينظر في هذه العبارة لا يشك في ان لفظة « جادله » أي « البخيل » منحوتة من عبارة « جامد الحال » او الارجح ان يكون منحوتاً من عبارة « جاد الكف » ، في اللسان ١٠٤ : ٤ سطر ١٣ « ورجل جاد الكف : بخيل » اهـ . فهو جادله ، وليس وراء هذا بيان

***

ألست ترى ان النحت اصل من اصول نشأة اللغة ، وانه لا يقل أثراً في تطورها من الاشتقاق ؟ وان في معاجمنا اللغوية من الالفاظ التي يمكن التدليل على أنها منحوتة ما لا يقع تحت حصر . وسوف نوالي البحث في هذا الامر حتى نحقق بالبرهان القاطع ان النحت اصل صحيح قياسي في بناء اللغة العربية

الصحافة والطباعة

العربية فيه[1]

خليل ثابت بك
رئيس تحرير المقطم وعضو مجلس الشيوخ

كان لغوردون باشا مطبعة حجرية في الخرطوم فلما سقطت الخرطوم وخربت نقلت المطبعة الى أم درمان ولا تزال أدواتها أو ما سلم منها باقية في مخازن الحكومة هناك وكانت تطبع منشورات ونحوها وطبعت للمهدي والخليفة عبد الله مطبوعات دينية ومنشورات الخ . وفي عهد غوردون باشا كانت تطبع أوراق النقد التي كان غوردون باشا يتعامل بها (رجع) بسبب نفاد النقد المسكوك من ذهب وفضة

وبعد ما انشأنا مطبعة السودان في الخرطوم جاءنا رجل اسمه الحاج السيوفي وقال انه كان مجلداً في مطبعة غوردون وانتقل معها الى أم درمان وأرانا أمثلة من تجليده وهو التجليد الشرقي للصحف والكتب الدينة بالجلد الاحمر او الاسود المدموغ وعلب توضع فيها المجلدات فاستخدمناه في مطبعة السودان حيث تعلم التجليد المعروف بالافرنجي وكان أميناً في عمله مجتهداً ورقيقاً في عشرته ومهذباً في كلامه

أما جريدة السودان وهي أول جريدة نشرت في ذلك العهد جنوبي القاهرة فصدر العدد الاول منها في صيف ١٩٠٣ وشهد طبع اول عدد من أعدادها سيادة السيد علي المرغني باشا والميرالاي ستانتون بك مدير الخرطوم حينئذٍ وهو بطل الجنرال ستانتون قنصل بريطانيا العام الذي ابتاع في مصر أسهم المغفور له الخديوي اسماعيل في قناة السويس بأربعة ملايين جنيه لحساب الحكومة البريطانية فكانت صفقة من أربح الصفقات وقد لقيت الكولونل ستانتون بعد الحرب وكان محافظاً لحيفا والقسم الشمالي من فلسطين ثم اعتزل منصبه هذا احتجاجاً على كيفية تطبيق وعد بلفور . وكان معها المرحوم البكباشي مبروك فهمي (القواد في ما بعد) وكانوا يلقبونهُ بالجنرال

---

(١) من سلسلة مقالات في المقطم عن السودان من ٤٠ سنة لمناسبة رحلة رئيس الوزارة المصرية اليه

وكانت جريدة السودان تصدر في بدء الأمر في أربع صفحات بالعربية كمعظم صحف مصر في ذلك الحين ثم جعلت ست صفحات منها اثنتان بالانكليزية بطلب الحاكم العام لكي يطلع هو ورؤساء المصالح على ترجمة ما يكتب بالعربية من ملاحظات ونقد وقد وقف اصدارها منذ ما اضطررنا الى بيع مطبعة السودان لشركة انكليزية بطلب حكومة السودان

وهنا أقول ذكرى للحق والواقع ان الجنرال ونجت ومعظم معاونيه كانوا شديدي العناية برأي « الصحافة » في السودان

وجعل مكتب المخابرات في الخرطوم تلم مطبوعات لموافاة الجريدة بالاخبار الرسمية والرد على أسئلة التحرير ولم تكن ثمت رقابة ما على الجريدة ولا اعتراض على ما يكتب فيها ولو كان نقداً شديداً فاستطاعت ان توجه النظر الى اصلاحات شتى كالانتقال في ميناء الشلال في شهر النهار والنقل بسكة الحديد وكثير من الشؤون الاجتماعية والخاصة بالموظفين الخ

ومما لا ازال أذكره بهذا الصدد اني كنت ذاهباً يوماً ما الى قلم المطبوعات فرأيت في مورده (ميناء) الخرطوم براخر تشحن بها مدافع سريعة ومهمات وجنود فسألت مورانت بك رئيس المكتب فقال لي ان السردار أمره بأن لا يبوح لي بشيء وكان السردار عائداً من بحر الغزال بالنيل الابيض

وشق عليَّ هذا الكتمان وفي ذات اليوم كنت اقلب خارطة بحر الغزال واذا بصديق يدخل عليَّ. ولما رآني أحدق في الخارطة سألني فرويت له ما حدث فقال أتريد حقاً أن تعرف. فقلت نعم. فقال خذها من علم فلم أصدقهُ في بدء الأمر لأنهُ لم يكن ضابطاً ولا موظفاً. ثم سرد عليَّ حديثاً عن تجريد حملتين على بلاد النيام نيام ووصف طريقها وغايتها وقال ان العمل يدور سراً لكي لا يتصل خبره بالبلجيكيين في الانكلايف اللاسق لتلك البلاد

ونشرت الخبر مفصلاً في جريدة السودان وطالعهُ مكاتب الديلي مايل الندنية في القاهرة فأرسله بالتلغراف الى جريدته ونشرتهُ مفسوباً الى جريدة السودان. فلما اطلعت عليه وزارة الحربية في لندن هاج أقطابها وسألوا وزارة الخارجية كيف وصل الخبر الى الصحف فأرسلت هذه أن المورد كرومر وهذا ارسل تلغرافاً الى السر رجنلد ونجت يستفهم منه ولم يكن الحاكم العام قد قرأ الخبر في جريدة السودان لانه كان عند نشره لا يزال مسافراً بالنيل. فلما اطلع على الشكوى دهش واغتاظ وأرسل يدعوني بلسان مورانت بك فأبيت الذهاب اليه. وبعد ما كرر الدعوة مراراً قبلت بشرط ان لا يفاتحني بحكاية بحر الغزال هذه. ثم ذهبت فتلطف في المقابلة والحديث. وأخيراً حوَّل الحديث الى الموضوع الجوهري وأراد ان يعرف مصدر الخبر فابتسمت وقلت لهُ اني استغرب سؤالاً كهذا من مدير سابق للمخابرات وان أصول الصناعة

تقضي بعدم افشاء الاسرار علاوة على ان مصلحة الصحافي في الكتمان لئلا يكره ذو المعلومات ويجتنبوه . وأخيراً اتفقنا على ان لا تنشر اخبار عسكرية الا بعد اطلاعه عليها وقال لقد كلفنا نشرك لهذا الخبر ألوفاً من الجنيهات واضطررنا الى ارجاع الحلقة على غير جدوى

وقد قرأت في كتاب عربي صدر في مصر عن السودان ان حكومة كانت تمنح جريدة السودان اعانة مالية لهذا غير صحيح على الاطلاق وكل ما هنالك ان الحكومة اشتركت في نحو خمسين نسخة فيها وكانت تنشر فيها اعلاناتها لانها كانت الجريدة الوحيدة مع غازيتة حكومة السودان الرسمية . وقد كانت هذه الحقيقة مما مكّن جريدة السودان من الاحتفاظ بحريتها واستقلالها في ما كانت تعالج من شؤون البلاد

وكانت مطبعة السودان من أحدث المطابع في وادي النيل كله وقد جيء لها بأدوات وحروف من أحسن مصانع انكلترا وهي اول من أدخل نظام الحروف المعروف بنظام « الپوينت » القائم على القياس المتري . وكان السر رجلد وبحت يرسل شيوخ القبائل من زائري الخرطوم لمشاهدة مطبعة وكيفية العمل فيها

وفي ذات يوم جاءنا نخبة من المشايخ فطفنا بهم في أقسام المطبعة وكانت الجريدة تطبع . والظاهر ان واحداً منهم ارتاب في الأمر وظنّ ان الطبع ليس سوى مظاهرة وان الورق الذي يخرج مطبوعاً صفحتين من الجريدة مطبوع من قبل فصعد فجأة الى الدرجة التي يقف عليها عامل الطبع وقلب الورق الموضوع على خشب الآلة تحت يد العامل ولما تبين له ان هذا الورق ابيض غير مطبوع نزل وأشار الى زملائه بما يفسر بالايجاب !

وأول كتاب طبع في السودان بحروف معدنية كتاب « مسرات الحياة » للورد انبري الكاتب والمالي الانكليزي المعروف وقد ترجم الكتاب في قلم تحرير الجريدة ونشر فيها فصولاً ثم طبع على حدة وأهديت نسخة منهُ الى الحاكم العام فكتب عليها انها اول كتاب طبع في السودان وأمر بوضعها في مكاتب القصر

وبعد ذلك أخذت الصحف تنشر في الخرطوم بالعربية والانكليزية

وكان لرويتر مكاتب في الخرطوم اسمهُ المستر دافدسن وكان مدير البنك المصري فيها وللاجنشن غازيت مكاتب اسمهُ البرت سنجر وهو تاجر هنغاري

ولما زار الصحافيون المصريون السودان مع اللورد كرومر للاحتفال بفتح بور سودان وسكة حديد الاتبرة الى البحر الاحمر زاروا مطبعة السودان وأعجبوا بها . وقال المرحوم تادرس شنودة المنقادي بك صاحب جريدة مصر انها تضارع خيرة المطابع في مصر وكان هذا قبل ان يبنى لها بناؤها الحاص الكبير في ميدان عباس

الغـــذاء

بعد سن الاربعين

للدكتور حسين كمال

(١)—دلتنا كثرة الوفيات المبكرة بين سن الاربعين والستين على أنها نتيجة اجهاد الجسم في معترك الحياة وفشل أعضائه في هذا الكفاح . وإلى هذا السبب ترجع الاصابات بالامراض العصبية وارتفاع الضغط الدموي وتصلب الشرايين والفالج الخ . ومن أجله كذلك وجب اتخاذ الاحتياطات لدرء الموت المبكر وذلك برعاية أصول الصحة والتغذية الصحية منذ الطفولة بقصد الحصول على جسم سليم قادر على تحمل المشاق

وللوصول الى هذه الغاية بعد سن الاربعين يجب الاقتصار على الغذاء الضروري حتى لا يصاب الجسم بالسمنة وعسر الهضم كما يجب الاقتصاد في تناول اللحوم والاسلاح والتوابل والاهتمام بالرياضة البدنية والمعيشة في الهواء النقي . أما الرياضة الضارة كالعدو ولعب كرة القدم والملاكمة فيقلع عنها . وأما النافعة كالمشي والسباحة والصيد والتجذيف الخفيف والبلياردو فيكثر منها . ويجب علاوة على ذلك الاكثار من فترات النزهة والراحة ثم تنمية الصحة النفسية من حيث الاتزان ورباطة الجأش وتجنب كل ما يجهد النفس ويقلقها ويضايقها ويحرك فيها الانفعالات الشديدة — وهذا كله يخفف كثيراً من اعباء الحياة على الجسم الضعيف

(٢) ولما كانت الكهولة نتيجة حتمية للحياة الدنيوية اهتم الباحثون بأسبابها فاتضح أنها ليست دائماً نتيجة تقدم السن كما ظهر انه من المبكر ارجاؤها طويلاً بالغذاء الصحي والمعيشة الصحية . وكما ثبت أيضاً أن نقص التغذية وسوء المعيشة كثيراً ما يعجلان الكهولة المبكرة المشاهدة أحياناً في سن الاربعين وكأن صاحبها قد بلغ الثمانين . وتنشأ الكهولة طبيًا من نسيج خلوي يصيب الاحشاء كالكبد والكليتين والمخ والاعصاب والشرايين فيموتها عن القيام بوظائفها وينشأ هذا النسيج من اهمال الجسم وسوء تغذيته والحط من مستواه الصحي . ولذلك نجد أن كل محتفظ بشبابه هو صاحب العقل الوقاد والجسم الرياضي . لأن الركود والكسل يحدثان المرض ويستعجلان الكهولة بينما المعيشة الصحية والتغذية الصحيحة تبعدان الهم وتجلبان السرور وقديماً قالوا العقل السليم في الجسم السليم

روي أن اميراً ايطاليًا من البندقية يدعى كورنارو Cornaro (١٤٦٧—١٥٦٦ ميلادية) بلغ سن الاربعين تساءت صحته فخيره أطباؤه بين الموت المبكر أو اصلاح معيشته . ففضل

الاخير واقتصد في اكله وراعى فيه البساطة واتبع في حياته النظام وأصول الصحة فاسترجع صحته وبلغ المائة سنة ووضع كتاباً عن غذائه لما تعدى الثمانين طبع في باريس سنة ١٩٥٨

ما متشنيكوف العالم الروسي المشهور — وهو من رجال القرن الحاضر — فوجد ان البرطانيين بعض بلدان الشمال يتغذون بالالبان الرائبة ويطيلون من العمر عنيًّا. ولما كانت هذه الالبان نافعة للتحفن استعرى ارضى هذا العالم بتناول حامض اللبن للمحافظة على حيوية الجسم وإطالة العمر وفيما يلي نتيجة ما وصل اليه البحث العلمي في اسباب اطالة العمر وقصره : —

بعض أسباب اطالة العمر	بعض أسباب قصر العمر
(١) الغذاء السيء للقسم	(١) الغذاء الناقص
قليل المقدار	(٢) الغذاء الزاخر بالمواد الزلالية والحلوى والاملاح
قليل المواد الزلالية	(٣) الحياة غير المنظمة من حيث النوم والرياضة والراحة
غني بالاملاح المعدنية والفيتامين	(٤) ارهاق الاعضاء الضعيفة
جيد التحضير	(٥) التهيج الفكري او الجنساني
(٢) بعض الاعضاء الضعيفة	(٦) الامساك والخمرة المرية
(٣) تجنب أسباب قصر العمر	(٧) السن

٣ — والغذاء الضروري للانسان هي الزلالية والنشوية والدهنية والمعدنية والفيتامينية. وكما تتقدم الانسان في السن قلَّ غذاؤه ولا سيما فيما يتعلق بالمواد الزلالية فغذاء الشاب يحتوي نسبة ١٠ ٪ عند سن الثلاثين وبنسبة ٢٠ ٪ عند الستين و ٣٠ ٪ عند الثمانين

والارقام الآتية تزيد الموضوع ايضاحاً للعالمين بعلمي الكيمياء وتوليد الحرارة : —

يحتاج جسم الانسان المتوسط الوزن في الحقبة الاربعينية وهو مستلق على ١٨٤٠ كالوري كل يوم

» جسم نشيط » » » » » » الستينية » » » ١٦٥٠ » » »
» » » » » » » » الثمانينية » » » ١٤٧٥ » » »
» » » » » » » » التسعينية » » » ١٣٠٠ » » »

اما في سن الشباب فالجسم المتمثل صحة ونشاطاً يتطلب كل يوم مقداراً يتفاوت بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ كالوري

٤ — وكلما تقدم الانسان في السن قلت كفاءة اعضائه في تأدية وظائفها فالانسان تأخذ في التلف وهذا يحدث سوء الهضم وسوء الهضم يزيد المعدة جهداً. كما ان الامتناع بتاتاً عن الغذاء الصلب يؤدي الى الامساك. ثم ان نشاط الغدة الهضمية وافرازاتها المتباينة يضعف بتقدم السن كما يقلُّ نشاط الكبد والكليتين وسائر الغدد الاخرى فتضعف الانسجة ولا تنتفع بالمواد الغذائية ولا تفرز متخلفات هذه المواد اذا زادت عن حاجتها. جميع هذه الاسباب مجتمعة توجب الاقتصاد في الغذاء كلما تقدم السن. وقد ثبت ان الاكثار من الاملاح يثقل كاهل الكليتين ويرفع الضغط الدموي كما ان الغذاء الصلب السيء الهضم يهيج الامعاء

٥ — الغذاء بين سن الاربعين والستين : — يجب على كل شخص بين سن الخامسة والثلاثين والاربعين سنة ان يراقب وزنه ويحتفظ به عند الحد الطبيعي فلا يفرط في الطعام ولا في الحركة. فاذا ما تعدى الاربعين وبدت على الجسم قابلية السمنة من عدم النشاط وارتخاء

والعضلات وقلة مفرزات الغدد الناسلة والدرقية وغيرها زاد شأن الغذاء ووجبت مراعاته

المعروف ان الزيادة القليلة في الوزن تزيد الاعصاب وتزيد من مناعة الجسم ضد الامراض الا أن هذه الزيادة اذا بلغت عشرة أرطال او خمسة عشر رطلاً عن الحد الصحي فانها تختلف تأثيراً عكسيًّا سيئاً . ولما كانت السمنة تتفاقم مع كبر السن فالاجدر بكل شخص بلغ الاربعين ان يقلل من غذائه ويكثر من رياضته عندما يتبين ان جسمهُ بدأ يسمن وان لا يؤجل ذلك مطلقاً الى المستقبل . والمقدار الواجب اقتطاعهُ من الغذاء تبعاً السمنة يختلف باختلاف الاشخاص

وكلما قرب الانسان من الستين كان غذاء الطفولة أوفق له وأحسن كاللبن والبقول والبيض والخضر النضة . أما الافراط في الاغذية السمرة الهضم والاسوم والاملاح والتوابل والشاي والقهوة وغير ذلك من المنبهات فيضرّ به . واذا كان الضرر مزمناً استحالت إزالته ، والمعروف طبيًّا ان الحقبة بين سن الاربعين والستين سنة اذا لم يقيد الغذاء في خلالها فكثيراً ما تصحب عسر الهضم وارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين والآفات القلبية والبول السكري وامراض الكلى الخ . وامثال هؤلاء المرضى كثيرون وهم يستشيرون الاطباء في كل يوم طالبين شفاء عسيراً بعيد المنال وما كان أجدرهم باتباع نصيحة الاجداد بان درهم وقاية خير من قنطار علاج

٦ — الغذاء بعد الستين — : الغذاء الصالح لهذه السن هو الموافق لحاجات الجسم القليلة ونشاط الجسم الضعيف وذلك لابعاد الشيخوخة ما امكن . فاما موافقة الغذاء لحاجات الجسم ونشاطه فتتلخص في الاقلال من مقدار الغذاء عما كان عليه في سن الشباب وقصر الغذاء على المواد السهلة الهضم والابتعاد عن الحلوى والسكر والفطير والغذاء المستوي الخ . ولتكن الوجبات قليلة المقدار كثيرة العدد يدخلها اللبن مع بعض القهوة والحساء والفواكه ويفضل شرب الحساء قبل الوجبات لتنبيه الهضم . وكثيراً ما توصف كوبة اللبن الساخن او الحساء الساخن قبل النوم لمقاومة الأرق . ونظراً الى صعوبة تدفئة الجسم في الشيخوخة وضعف الهضم أيضاً تفضل الاغذية الدافئة على الباردة ، واذا تعذر مضغ الطعام لفقد الاسنان او لعدم وجود أسنان صناعية جيدة فليكن الغذاء سائلاً او شبه سائل ولتؤخذ الخبز الجاف مغموساً في اللبن او الحساء ، وتطرى الفواكه الصلبة بإغلائها بعد نزع قشرها وبذرها ويفرم اللحم عند الزوم . ولمقاومة الشيخوخة تقلل المواد الزلالية والدهنية التي في الطعام لان ذلك يسهل الهضم . واذا كان الغذاء مؤلفاً من اللبن والبيض والفواكه والخضر والبقول والاملاح والفيتامين فان التغذي النموي يغدو نادراً . وقد يفضل اعطاء الخضر مسلوقة ومصفاة . وعليه فأوفق غذاء بعد سن الستين هو غذاء الطفولة وتوامهُ اللبن والبيض والحبوب المسلوقة جيداً والخبز الجاف والفواكه والخضر المسلوقة والحساء ، والحلوى كالهلبية الخ . ويضاف الى ذلك قليل من القهوة والشاي

قال تعالى « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » صدق الله العظيم

العاطفة والفكرة

في الشعر ومنزلتهما في شعر مطران

للدكتور اسماعيل احمد ادهم

— ٢ —

العاطفة والفكرة

الخيال بطبيعته بارد وجامد . ودخول الانفعال (العاطفة) عليه وامتزاجه به هو الذي ينفخ فيه الحرارة ، ويبعث عنصر الحياة والشعور مترقرقاً في تضاعيفه . ويجعله قادراً على اثارة القارىء وتحريك مشاعره وعواطفه . ومطران تجري في شعره العاطفة . وهو في هذا يقول: « وليس اكثر شعري هذا بين الطرس والمداد الا مدامع ذرفتها وزفرات صعدتها وقطعاً من الحياة بددتها ، ثم نظمتها فتوهمت اني استعدتها » (الديوان — بيان موجز في التقدمة) غير ان العاطفة عند مطران ، وان كانت تجيء من العاطفة التي يحسها ويشعر بها ، الا انها غير موجودة لذاتها في نفس مطران . والخيال وحده هو الذي يثيرها ويحركها . ولا أدل على ذلك من أن مثل الحال هو الذي يستدعي عند مطران : الألم او الحزن ، والفرح او السرور ، والبغض او الكراهية ، والحب أو الميل ، الشفقة او الرحمة وما الى ذلك من سلسلة العواطف والانفعالات المعروفة ولما كان مثل الحال محتاجاً الى عنصر الخيال ، وكان الخيال هو مضرم العاطفة عند الخليل ، لذلك كان مجيء العاطفة عند مطران غير واحد فهو أحياناً بارز العاطفة ، وهو في بعض الأحيان الاخرى ينطوي على عاطفة خمدت جذوتها نتيجة تصفية الفكر لها ، فاستحال نارها نوراً وحرارتها ضوءاً . وهذا التباين في درجة العاطفة وشدتها عند مطران : راجع الى مقتضى الحال من جهة والى عمل الخيال وخلخلة الفكر لها من جهة اخرى . والعاطفة التي تثار عند مطران تبين انها في طبيعتها تجيء من مشاعر الحس الداخلية يضرمها عادة الخيال ، وينظمها الفكر . فهو في قصيدة « الماء » (الديوان ١١٩/١٢١) يقول :

٦ : داء ألم سببت فيه شقائي من سيوني فتضاعفت برحائي
٢ : يا تصيفين استبدا بي وما لي النظر مثل تحكم الصهباء
٣ : قلب أذابته الصبابة والجوى وغلالة رثت من الادواء
٤ : والروح بينهما نسيم تهب لي منه التصويب والصعداء
٥ : والنفس كالصباح يضحى نوره كدري ويضعفه ضباب دمائي
٦ : هذا الذي أبقيته يا منيتي من أسقمي وحشاشتي رذكائي
٧ : عمرين فيك أضعت لو أنصفتني لم يجدوا بتأسفي وبكائي
٨ : عمر الفتى الفاني وعمر خلده بيد فولاك في الاحياء
٩ : فعدوت لم أنعم كذي جهل ولم أشقم كذي ثقل ضعال بقاء

فأنت تلمس في هذه الأبيات عمل الخيال في اثارة العواطف ، وتداخل الفكر في تنظيم الشاعر فتجيء الأبيات مزيجة الخيال والعاطفة والفكرة . على ان توجيه النظر الى هذا الامتزاج ليس غرضنا الأول هنا ، لأن غرضنا ينصبُّ على بيان عاطفة الرجل ووجه مجيئها . ومن هنا بيانا عمل الخيال في اثارة العاطفة في هذه الابيات

والواقع ان عاطفة مطران في هذه الابيات تزقرق صافية وتكر خلال أبيات قصيدة «الماء» عامة بضائها وتيارانها بوضوح آثارها في نفسه تمثل حاله وهو عليل . استبد به قلبه وجسمه ، فالقلب اذابته الصبابة والجوى . والجسم غلالة رثت من الأدواء (القصيدة ٣ : ٣) ومن هنا تحركت في نفسه مشاعر الألم والحزن ، فكان محاولته ، التنفيس عن روحه التي تمثلت له أمرها ، ومن هنا ، انساق الشاعر عن طريق تمثل الخيال — والتمثل من عمل الخيال والفكر منظم التيارات العاطفية التي تنساب في وجدان الشاعر — الى المطابقة بين حاله وبين حال الشليحة القائمة أمامه فقال:

١٨ : اني أقمت على الصحة بالمنى في غربة قالوا تكون دوائي
١٩ : ان يتف هذا الجسم طيب هوائها أيطف النيران طيب هواء
٢٠ : او تمسك الحوباء حسن مقامها هل مسكة في البث للحوباء
٢١ : عبث طوافي في البلاد وعلة في عـــلة متفاوت الاستشفاء
٢٢ : متفرد بصبابتي . . . . . (انظر البقية بالقصيدة نفسها : الابيات ٢٢ — ٣٨)

وأنت لا تخطيء الدليل على صحة ما تقول في هذه الابيـات التي نقلناها لك وما يجيء بعدها في القصيدة

والعاطفة كعنصر أساسي في الشاعرية تظهر في موسيقى المعاني والتدفقات الشعورية في القصيدة ومجيئها مثارة من قبل الخيال عند مطران (وعمل الخيال بظهور التجريد abstraction) لهذا نجد العاطفة تتجرد عن المحيط الذي هي فيه وتأخذ وضعاً مستقلاً في النفس يمكنها منها على الخارج الشاعر ولهذا تلمس العواطف عند مطران منسحبة الى الخارج ، ولا أدل على ذلك من قوله في قصيدة «الماء»

٣٥ : وخواطري تبدو تجاه نواظري كلمى كدامية السحاب الزالي

في هذا البيت تمثل الخواطر مجردة عن ظل الوجدان ، منفصلة وكأنها سمكة من نوحة نفسية ولكنها موضوعية ازاء الشاعر . والعاطفة المتمثلة في قصيدة « لقاء » عاطفة الألم ، وهي تنتهي (تقريباً) الى حالة يأس من احتمال الدواء للروح والجسد من الداء الذي ألم بهما . وأنت تجد ذبذبات الشعور في هذه القصيدة — وهي نموذج اخترناه هنا لباقي شعر الخليل — صادرة من أعماق الشاعر ، تثيرها مشاعر الحس الباطنية ، ولا تهيجها مشاعر الحس الخارجية ؛ ولا أدل على ذلك من ملاحظة ذبذبة التيارات العاطفية التي تنساب في تضاعيف القصيدة والمرتبطة بموسيقى المعاني التي بها[1] وهذه الذبذبات والتيارات تجري في القصيدة على هذا الوجه :

داء ألم « حسبت فيه شفائي من صبوتي » فتضاعفت برحائي
يا للصبابة « اصليت بي » وما في الظن مثل تحكم الضعفاء
نفس « أذابته الصبابة والجوى » « بغلالة رثت من الاعواء »
والروح « بينهما نسيم تنهد » بين : التصوب والصعداء

وأوضح ما تكون هذه الذبذبات والتيارات في انشاد الشاعر لشعره بذاته (انظر الأوزان خاتمة الفقرة الاولى) . ولما كان الانشاد غير الالقاء . فان طريقة الانشاد تظهر في وجه ترنم الشاعر بشعره . ومن هنا كان من الصعوبة بمكان ، اذا لم يستمع الناقد بنفسه الى ترنم الشاعر بشعره ، أن يدلي برأي نهائي في حقيقة تيارات الشعور والعاطفة التي تنشى في تضاعيف شعره . على انهُ بعد ذلك في الامكان — كما يقول كريشكي[2] — الانتهاء برأي في هذا الموضوع بملاحظة : درجات الابتداء والانتهاء ، والوصل والفصل ، والشدة والتراخي والارتفاع والانخفاض ، والتماسك والتخلخل ، — في موسيقية القصيدة

هذا وفي المستطاع فهم عاطفة الشاعر ، وهل هي مثارة من قبل مشاعر الحس الخارجية (كالغرائز مثلاً) ام من مشاعر الحس الباطنية (كالعواطف الراقية) بملاحظة ذبذبات الموسيقى وهل هي آتية من قبل مشاعر الحس الخارجي ، والتي تكون في تلك الحالة بواحدة الضرب (التوقيع) متلاحقة الذبذبات . بينما تكون متنوعة غير متلاحقة الذبذبات في مشاعر الحس الباطني . والواقع انهُ في الامكان — بمراجعة القواعد النفسية التي وضعها شاند وكدوغل ومونلر وودورث[3] — وضع حد فاصل بين مشاعر الحس الباطني ومشاعر الحس الخارجي ، وذلك

(١) انظر توضيح هذا عند Th. Lipps : بندتو كروتشي في كتابه « فلسفة الجمال » Estetica ١٩١٢ الفصل XVIII ص ١٦٥ وما بعده

(٢) Ignatz Karpinsky في موسيقية الشعر العربي ودلالاته النفسية — مجلة المعهد الروسي للدراسات الاسلامية — م ٣ (١٩٣٤) ص ٣١١ — ٣٢

(٣) وودورث : دروس في علم النفس — القاهرة ١٩٢٩ ص ١٦٥

على اساس اعتبار الاولى عواطف خاصة (مركبة) بينما الثانية عواطف اساسية (بسيطة)

وبملاحظة عاطفة مطران من هذه الوجهة من النظر تبين انها تجيء من مشاعر الحس الباطني (Interne) . ومن هذا كانت عواطفه راقية . فمطران يظهر مثلاً في قصيدة « انشاء » بشعور مركب ، تتداخل في تكوينه عواطف الحزن والألم ، والخوف ، والهيام ، ومن هنا يمكن القول بأن اثارة عاطفة مطران تحتاج الى مؤثرات متعددة مرتبطة بعضها ببعض تقدر كل واحدة على اثارة عاطفة أساسية ، وباجتماعها بعضها مع بعض في تركيب معيّن ، تتولد عاطفة معقدة يظهر بها مطران طارياً ايما في شعره . ولهذا نجد ان عاطفة الحب مثلاً عند مطران لا تثيرها الغريزة الجنسية . وان كانت تدخل كعنصر عاطفي اساسي فيها ، وانما يثيرها مجموعة مركبة من العواطف من بينها عواطف الاعجاب والسرور والحنو والحب (بمعناه الحسي) . فأنت ترى مطران في « حكاية عاشقين » تظهر لهُ محبوبته « لكل عين فيها معنى تباح لهُ النفوس ، ولكن لا يرام » (ليلة سعد : الديوان ٢٢٤) ولأن نظرته غير جسية تراه يقول :

٢٥ : يا هند ان زال منك الجمال فحسب اني قبلك الطاهر

٢٦ : وان فاتني منك عن ناظري فان الفؤاد له ناظر (أشعة وتجلي ٦٨ ، ١٦٩)

اما وقد لاحظنا ان عاطفة مطران تجيء من مشاعر الحس الباطني[1] فيهمنا ان ننظر في هذه العاطفة من حيث تركيبها . ومن الملاحظ ان جميع عواطف الحس الباطني[2] عواطف مركبة يمكن تحليلها . ومن هنا نو نظرنا الى العاطفة المستولية على « ليلى » في قصة الحزين « الشهيد » (الديوان ٢١٦/٢٠٨) وهي تناجي نفسها وحيدة اذ هي على وشك اسقامه ، نجد عاطفتين مركبتين : الاولى عاطفة الوجد وهي مؤلفة من عواطف : الحزن والغضب ، الاشمئزاز والحب والاخرى عاطفة الحقد : وهي مؤلفة من عاطفتي : الكره (الخوف + الغضب) والألم . فهي حزينة لما آل اليه حالها ولما ينتهي اليه حبها ، وهي غاضبة على « جميل » الذي غدر بها حين سقطت وهي مشمئزة من فعلته وخديعته لها ، وهي الى هذا تشعر بالحب له (بالمعنى الحسي) . فضلاً عن كونها حاقدة ، من حيث تألم وتخاف عواقب فعلتها . وجميع هذه العواطف تداخلت وكان منها مركب ، هو المستولي على نفسية « ليلى » في مناجاتها لنفسها . كذلك العاطفة المستولية على بنت الملك « في قصة فنجان قهوة » (الديوان ١٢٣/١٢٨) وهي في ذهابها للاقاة حبيبها (الابيات ٦٩ — ٧٩ ، تجدها في الفترة الاولى من هذا البحث) ، تجدها مع التحليل عاطفة مركبة يتداخل فيها : القلق (الحب + الخوف) . وهذا واضح في قول مطران

---

(١) Benedetto Croce في Esthetique ١٩١٢ ص ٦١ وما بعده عن مشاعر الحس الباطني ومشاعر الحس الخارجي ويمكن ان يقال من وجهة نظر خاصة : ان مشاعر الحس الخارجي لا تخرج عن رد فعل حسي للمواضيع والمؤثرات التي تكتنف الانسان في الحياة ، وهي من هنا تمثل حالة بدائية من الشعور

(٢) فضلنا لفظة الباطني عن الداخلي لان في لفظة الباطن غبة الجانب العضوي للحسي بعكس الحال في لفظة الداخل

٧١: تتحالى في أثوابها السوداء عن قصد تخفي من الظلم
٧٢: طوراً تضل وتارة تتعثر وفؤادها متفزع متطسر
٧٣: وتكاد ان لمحت اشارة نور تنحل من شيء الذي لم يحجر
٧٤: لكن ذاك الخوف لم يتجرد من لمة الشيء الذي لم يشتر
٧٥: ورجاء نور مقبل وأمان وسعادة يأتيها في آن

كما وانهُ يتداخل فيها التطير (الفزع + الخوف + القلق) ، وكل هذا واضح في الأبيات التي نقتناها مما لا يحتاج الى بيان

على ان هذه العواطف المركبة ، لا يكفي ان تكون مستثارة من قبل مشاعر الحس الباطني للحكم برقيها وجمالها وانما يجب ان تكون منتهية الى غرض انساني Humanitarian والواقع انهُ كما قلنا في دراستنا للعاطفة عند ابو شادي (في الدراسة الانكليزية التي وضعناها عنهُ) ، أن قيمة العاطفة والحكم برقيها تابع للغرض الذي تنتهي عنده. ويجب ألا يغرنا في الحكم على العواطف الثائرة ، مجيئها ، وانما يجب النظر الى الغرض الذي تنتهي اليه للحكم عليها . ومن هنا يمكن القول بأن العواطف تجيء راقية الى غرض نبيل عند مطران . وان كانت في حد ذاتها عواطف ثائرة ، كما هو الحال في قصيدة « الجنين الشهيد »

وقيمة العاطفة وقف : اولاً على عمقها، وثانياً على سعتها، وثالثاً على غناها . اما عن الوجه الأول فعاطفة مطران تمتاز بصفة العمق ، ويكفي انها آتية من قبل مشاعر الحس الباطني للحكم على عمق معناها في الوجدان . واما عن اتساعها فهي تذهب الى أبعد الحدود معبرة عن الشعور الانساني (في اقسطه المشترك بين الناس) . واما عن غناها فهذا ظاهر في عاطفة مطران في التنوع الذي تجيء به العاطفة عنده . فمطران تخرج من شعره ، بجميع العواطف البشرية الراقية ويدخل طبعاً فيها جميع العواطف الأساسية المستثارة من مشاعر الحس الخارجي . وقصيدة « الجنين الشهيد » داخلة فيها على وجه التقريب مجموعة متعددة من العواطف البشرية الراقية وفي الأمثلة التي ذكرناها من قبل — على قلتها — ما يؤكد هذه الفكرة عن العاطفة عند مطران[1]

***

لما كانت عاطفة مطران مثارة من مشاعر الحس الباطنية بضربها عادة الخيال ، فان العاطفة تجيء عادة صادقة معبرة عن احساس بها . ولكن لكي تثور العاطفة لابد لهُ من ان يمثل الحالة التي يوحيها الخيال في ذهنه ، فتحرك في نفسه المشاعر وتستولي عليه الاحاسيس والعواطف فاذا تمثل الخيال ، ولم يثر هذا التمثل في نفسه شعوراً ، نجد شعر مطران يجيء من عمل الخيال والفكر ، عليه سمة فتور ، كما هو الحال في شعره المتأخر . والواقع ان لهذا سبباً واضحاً هو

(١) ارتباط العاطفة بفكرة الجمال (البديع) Aesthetics سيجيء بيانها بعد

نضوب معين العاطفة . فالعواطف الراقية التي تستثار من الداخل ، لجيشها من مشاعر الحس الباطني ، تنضب حتى ليعجز المرء عن جعلها فيّاضة بالعواطف . ولهذا نجد ان مطران كبقية الشعراء المعبرين عن عاطفة داخلية ، أنتهى عند حد من عمره ، نضبت معهُ عاطفته ، وهو في هذا على العكس من شوقي وهو من الشعراء المعبرين عن عاطفة خارجية ، فقد بقي حتى اللحظة الأخيرة قوي العاطفة ظاهرها . وذلك لان عاطفته مستثارة من مشاعر الحس الخارجية وهي تليه وتبقى نشطة طالما تجري الحياة في شرايين الانسان . على ان نضوب العاطفة اخيراً في شعر مطران (انظر مثلاً قصيدته في وداع سنة ١٩٣٩ وتحية ١٩٤٠ بالسياسة الاسبوعية ، السنة السادسة (العدد ١٥٤) ١٣ يناير ١٩٤٠ ص ١٨) ، وعدم مجيئها في بعض قصائده المتقدمة — (وهي عادة التي تجيء من الوصف او المناسبات) يجب ألا تؤخذ دليلاً على أن مطران لا ينطق في شعره عن عاطفة صادقة كما توهم البعض ، لانهُ لو كان ينطق عن عواطف غير صادقة لا يحسها ، لكان في مستطاعه ان يجيء بها في كل شعره ، فلا يبقى شعره من ناحية العاطفة هذا البون الواسع الذي لمسناه فيه

هذا وما في بعض شعره الذي جاء من باب المناسبات من العواطف ، يعود بأصل الى المشاعر الاجتماعية التي كانت مستولية على الخليل ، ودراستها من هذا الجانب تمكن الباحث من الخلوص بحقيقة صلات مطران بالناس في المجتمع المصري ومنها انهُ كان صادق العاطفة في ما عبر عنهُ ومن هنا كان حكمنا عليه بأنهُ انسان اجتماعي ، يميل للعاشرة وإنشاء صلات مع الناس ، ولعل في دوافع نفسه التي تجعله يهرب من نفسه الى الناس ، بعض ما يفسر هذا . والواقع أن تعبير مطران عن العواطف الاجتماعية واضح في شعره ، فهو انسان يشارك الناس أفراحهم وآلامهم ، مسراتهم واحزانهم ، فتجده مهنئاً لهم يتمنى دوام الفرح والمسرة في افراحهم ، مواسياً في الملمات التي تنزل بهم . ومن هنا نجد ان قسطاً غير قليل من شعره يجيء من هذا الاصل وهو الذي يدخل في باب المناسبات ، على أن في بعض هذه القصائد عواطف شخصية ، كان خيراً لو لم يضمنها الخليل شعره وهي في الواقع موضع الضعف الملحوظ في دراسة عاطفته الشعرية . وقد نال منهُ الناقدون من هذه النقطة وغمزوا شعره (روكس زايد العزبزي : المجلة الجديدة — السنة السادسة العدد الخامس مايو ١٩٣٧ ص ٣٦/٣٨)

***

العاطفة مثارة من قبل الخيال والفكر يدخل عليها ليعنيها ويزينها . ومن هنا كانت العاطفة مسيرة عند الخليل بواسطة الفكر . ودخول الفكر عليها هو الذي يعطيها الثبات . فأنت تقرأ له القصيدة ، فتجد عاطفة واحدة مستولية عليها ، على أن العاطفة إن تغيرت ، فذلك للنزول على

مقتضى الحال الذي يتطلب تغييرها . والواقع أن هذا أمر مشهود في شعر الخليل ، فأنت ترى عاطفة واحدة مستولية على قصيدة « النساء » ، بينما قد استولت على قصيدة « أخي الشهيد » عواطف متعددة تتصارع . وتعدد هذه العواطف وتصارعها طبيعي للغاية ، ربما يقتضيه الحال ، ولهذا لا يمكن ان تؤخذ دليلاً على عدم ثبات العاطفة عند مطران والواقع انهُ في هذا على العكس تماماً من الدكتور احمد زكي ابو شادي ، الذي تتموج عنده العاطفة وتتموج معها الصور ، وذلك على الرغم من ان تداخل الفكر الأدبي — المجلد الأول — الكتاب الثاني ص ٠٠٠ [1] وثبات العاطفة عند مطران مسألة لا يُتنازع في امرها ، وهي تجيء نتيجة لاحكام الفكر وضبط خلجات الشعور ونبضات القلب . على ان العاطفة ان فقدت نتيجة لتداخل عنصر الفكر ، قوة البروز والظهور عند مطران ، ففي الواقع تكتسب على حساب ذلك ميزة اخرى ، هي ميزة الصفاء

وملاحظة انفعالات مطران العاطفية تبين انها في العموم تجيء مستثارة بعناصر الفواجع والمآسي في الأشياء . وهذا نتيجة الأهل التشاؤمي في طبيعته . ولهذا تجد اقوى العواطف بروزاً في شعر خليل ، هي العواطف المستثارة من آلام الحياة وأحزانها . ولعلَّ في هذا بعض السر في إقبال مطران على ترجمة آثار وبيم شكسبير الى العربية منفعلاً بتصير المآساة التي فيها .

— ٣ —

قلنا ان الفكر عنصر اساسي هام في تكوين شاعريته . وقد يكون العنصر الثاني المتميز في شاعريته . والفكر عند مطران منظم الخيال من جهة ، ومسير العاطفة من جهة اخرى . وقد أدرك هذا انطون الجميل بك فقال « فقد أصاب قدماء اليونان اذ صوروا الشاعر في مركبة يقودها جوادان جانحان ، وهما الخيال والشعور . وجعلوا زمامها في يد العقل ، فلا يطوّحان بالشاعر الى الهاوية . وقد رأينا في شعر خليل مطران عمل القوتين الاساسيتين في الشعر ، وهما الخيال والعاطفة . وهما قوتان قد تشردان اذا لم يكن هناك قوة ثالثة ، وهي العقل تخفف من غلوائهما [2] » وقد تناول انطون الجميل بك أثر القوة العاقلة في تكوين شاعرية مطران ، غير انه وقف من البحث عند الاشارة ، ولم يعدُ ذلك الى التحليل ، وتلمس عمل العقل في ضبط العلاقات بين العاطفة والخيال المتداخلين في تكوين شاعرية مطران . والواقع ان القارىء ربما لاحظ فيما سبق ، تفسير دخول عنصر القوة العاقلة في تكوين شاعرية مطران وضبطها العلاقات بين الخيال والعاطفة . لأنهُ كما قلنا في التوطئة أن لا العاطفة ولا الخيال توجدان في حالة مستقلة إحداهما عن الأخرى وعن الفكرة ولهذا نسرب الى كلامنا على خيال مطران وعاطفته بعض الكلام عن

(١) أنظر توضيح هذا في دراستنا عن Abulalaa ، طبع ليدن ١٩٣٧

(٢) الهلال — يونيه ١٩٠٨ ص ٩٣٥ — ٣٧

فكره ، وعمله في تكوين شاعريته . والواقع ان الاتزان المشهود في معظم شعر الخليل من الناحية الشعرية يعود بأصل الى عمل القوة العاقلة أو الفكر . والعقل يدخل في تكوين شاعرية مطران في ضبط النسب والعلاقات بين مختلف المشاعر والعواطف التي تستولي على النفس ، فلا تطغى عاطفة على الأخرى . كما انها تدخل في إنشاء النسب بين الصور المتمثلة في الذهن فلا تطغى الألوان والخطوط بعضها على بعض ، ومن هنا تخرج العاطفة صافية والخيال واضحاً

على أنه بعد ذلك يمكنك ان تلمس بعض الفكرات مستولية على شعر مطران . فشعره لا يجيء خيالاً وعاطفة فحسب ، وانما يجيء ، خيالاً وعاطفة وفكرة . والقوة العاقلة لا تظهر آثارها في شاعرية مطران في إنشاء التوازن فقط ، فهذا عمل داخلي ، في تكوين الشاعرية . وانما تظهر في نيضها بالمعاني والفكر وادماجها في الشعر . وهذا واضح في جل شعر مطران فهو في قصيدة « تشريف كتاب مرآة الايام باسم الجناب العالي عباس حلمي الثاني » (الديوان ٢٦٦ / ٢٦٧) استخلص عبرة التاريخ كله من دراسته لها ، فضمنها قصيدته الى خديوي مصر ، وفيها يقول :

١٦ : يقص حديث الكون منذ ابتدائه وما أخلفت احداثه والنجارب
١٧ : وتمثيل أجيال الورى فيه بادياً خوافيها لدى من يراقب
١٨ : هنالك أقوام تجيء وتنقضي وتقبعها أطوارها والمذاهب
١٩ : هنالك تبنى بالصوارم والقنا وتهدمها أوزارها والمعايب
٢٠ : غرائب أديان وجنس ومشرب وخلق وأخلاق تليها غرائب
٢١ : تمر ونور النقد يبدي خفيها سراعا كما مرت يبدر سحائب
٢٢ : ولم أر شيئاً كالفضيلة ثابتاً عفت عنه آفات البلى والمعاطب

فالدليل على عمل القوة العاقلة ، في تكوين هذه الأبيات ناهض بيّن . ففيها خلوص بعبرة التاريخ على أساس إجالة النظر في سيره ، وهذه العبرة تتلخص في « ثبات الفضيلة » على الارض

هذا وظهور عمل القوة العاقلة في تكوين شاعرية مطران ، واضح في تسيير عاطفته النازلة نحو غرض نبيل . فهو في قصيدة « الجنين الشهيد » يصور تلك الرذيلة ، ويحرك النفس بتصويره فتشمئز منها . ألا تراه يقول مختتماً هذه الرائعة :

رأت شهب الظلماء مشهد فظاعة لدن استقطت منها الجنين بسمها
فلم تتماسك منضيات لطمها وأشرب نور الشمس من دم أمها
كما يلغ الضاري الدماء ويستحلي
على ان نيل بعد عام تصرما سلت في الملاهي أمرها المتقدما
وطاق جبل ناعم البال مكرما كأنهما لم يستبيحا حرما
وما عوقبت غير الطهارة والطفل (الجنين الشهيد الديوان ٢١٨)

وعلى الرغم مما تلمسه في هذه الابيات من غلبة نظرة التشاؤم الى الانسان وأخلاقه فان هذه النظرة جزئية تتعلق بحالة خاصة يصوّرها هنا الشاعر ، اما نظرة الشاعر العامة تتلخص

في الايمان بثبات الفضيلة . وقد يكون من المناسب هنا ان نعد الى اظهار الخطوط العامة للفكرات المنتوية على شعر الخليل . والواقع أن في هذه الخطوط تكمن فلسفة الخليل في شعره

لكل انسان في العالم فلسفته الخاصة . ولهذه الفلسفة تظهر في منطق فهم الانسان للحياة ، وهي من هنا تفترق عن الفلسفة الرسمية في ان الاخيرة يبرز فيها عنصر التنظيم العام للحياة الكلية ومن هنا لا تناقض بين قولنا ان لمطران فلسفة خاصة وبين انكار الفلسفة الرسمية عليه . وربما كان مثل كلمات بندتو كروتشي — الفيلسوف الناقد الايطالي[1] عن الفرق بين فلسفة شاعر وفلسفة فيلسوف هي الحدّ الفاصل في هذا الموضوع . فلسفة الفيلسوف تنفذ من خلال جزئيات الاشياء الى الفكرة العامة المستترة وراءها بينما فلسفة الشاعر تغوص في عالم الجزئيات[2] . وهذا ان كان صحيحاً الى حدّ كبير ، فملاحظة الشاعر وهو غائص في عالم الجزئيات تبين ان صحة هذا الكلام ظاهرية ، لان الشاعر في غوصه في عالم الجزئيات ، سيزلها كإنسان له وحدته النفسية ، بكليات تنتظم منها الجزئيات على أساس نفسي ، ومن هنا تلتقي الفلسفة والشعر في نفس الشاعر الداخلية . على أنهُ بعد ذلك لو لوحظ أن هذا الالتقاء ينبع من وحدة النفس فانهُ يكون لكلمات — كروتشي — قيمتها الكبيرة من جهة ملاحظة تفرعها

وفلسفة مطران ، في أسسها فلسفة مسيحية منتظمة ، تظهر واضحة في شعره . وتعود بأصل الى فلاسفة النصرانية في القرون الوسطى ، فأنت ترى في شعره ، خلجات الفكر المسيحي في تلك العصور ، ويظهر مطران في فلسفته طبيعيًّا لانها لا تجيء شاذة من قبل مقالاته وانما من طبيعته الشخصية ، وأبرز ما يكون ذلك في تصوره الخلق creation مثلاً (تصوراً ذهنيًّا) . فهو يقول في قصيدته « الورد ثان » (الديوان ٣٥/٣٧) :

١ : تبارك الله فهو لما أراد ان يبدع الكائنات
٢ : أبدأه فكره ولما يقل لما شاء كن فكان

---

٣ : بلاه ذا العالم العظيم لفظاً لفكر تصوره
٤ : الشمس والارض والنجوم من مظلمات ومبصره
٥ : كأحرف سفرها الرقيم مذهبة او محبره

---

٦ : جميعها اسم وهو المسمى في سمة الخلق والزمان
٧ : وكل حرف حوى له اسما يضيق عن ضمه المكان

---

(١) B. Croce - Come Scienza dell' Espressione e linguistica generale Estetica Bari 1912. III, Parte e la Filosofia p. 27 et suiv وأنظر لخلاصاً عربياً للرأي في مقال لي أدعم في المقتطف ٩٣ : ٤١١/٤١٢

وأنت لاتخطىء ، الأصل المثالي Ideism في فكرة مطران ، فهو يرى الفكر (الالهي) هو الأصل ، او المثال الذي تتكس منهُ الموجودات ، فهذا الوجود ليس اكثر من لفتة لفكرة تصورها الخالق (تمثلها في ذهنه) ، ومن هنا فهي جميعها ألفاظ لاتعبر عن غير حقيقة واحدة ، هي حقيقة الفكر الالهي ، الذي وراءها ، أما في ذاتها الخارجية ، فهي مجرد أسماء او ألفاظ ، اصقها الناس بها

والواقع ان مطران في هذه الابيات التي نقلناها لك يظهر من الاسميين Nominalists والاساس في هذا المذهب أن الانسان حين يتصوّر الاشياء ويمثلها في ذهنه ، فهو لا يتعامل بغير اشارة او رمز symbol او بتعبير أدق لايتعامل بغير اسماء يخلعها على الأشياء التي تقع تحت الحس ولا شك أن خليل مطران انتهى الى هذه الفكرة نتيجة لغلبة الأصل الخيالي في نفسه ، وهو الاصل الذي تنبع منهُ بقية الملكات عن طريق التمثل في الذهن

ومن هنا رأى مطران التمثل الذهني هو الحقيقة وأما عداها مما يقع تحت الحس ، فهو مجرد اسماء

وعلى هذا الأساس تصور مطران الله فكراً على أساس من طبيعة فكره ، ومطران في هذا الاتجاه ، واضح عنده عملية تزويده الله بالصفات البشرية تلك السلبية التي تعرف اصطلاحيًا بالناسوتية — Anthropomorphism — (عن اسماعيل مظهر)

وقد انساق مطران الى ان المسمى الذي في الوجود ، هو الله ، وتصور الله فكرة ، اما الاسماء فهي الكائنات . ومن هنا كانت عملية الخلق عنده عملية تمثل ذهني ، فاض بصوره ، فكان العالم

على أنهُ في الامكان ، اتخاذ هذه الفكرة ، أساساً للتوسع في مبحث المعرفة عند مطران ولنظريات ما وراء الطبيعة في شعره ، على ان هذا التوسع يكون غير مأمون في نتائجه النهائية ، لأن مطران ، لم يكن في تفكيره هذا معبراً عن فلسفة فكرية تمثلت بجميع دقائقها في ذهنه فأدركها ، وانما كانت اتجاهاً ينبع من طبيعته ، فهي من هنا ، لا يجب الرجوع بها الى الاصول الفلسفية عند روسلين Roscelin وأبيلارد Abelard ، وان ذكرتنا بها في عمومها [1]

[هذا البحث تتمة]

(١) ليكتور كوزين : منتخبات من الفلسفة المدرسية في القرون الوسطى ، الفصل الثالث و Kuno Fischer في Geschichte der Neuern Philosophie هيدلبرج ١٨٩٧ — المجلد الاول — « فلسفة القرون الوسطى »

الثروة من القذر

وعجائب التركيب الصناعي والكيماوي في العلم الحديث

قال أحدهم في تحديد القذر قولاً مأثوراً ، إذ وصفهُ بأنهُ « الثروة وقد وضعت في غير موضعها » . فغبار الفحم الذي يتجمع في مخزن من مخازن الفحم ، يصلح اذا أحسن استعمالهُ لتسيير سفينة بخارية ، والهباب الذي يتبعثر في الفضاء من المداخن ، هو أفضل المواد لصنع الحبر الذي تطبع به الصحف والكتب .

فهم العلماء في المستقبل لا ينتظر ان يتجه الى ابداع مواد وعروض جديدة فقط ، بل سوف يزداد اتجاهاً الى حسن توزيع المواد والعروض المعروفة الآن وحسن استعمالها ، اي تحويل القذر الى ثروة او استعمال النفايات في صنع مواد نجني منها فائدة ما . وخلق الثروة لهُ سبيلان : الاول — الابداع ؛ اي ابداع أشياء جديدة لا عهد للناس ولا لطبيعة بها من قبل ، وهذا عمل محدود . والثاني تحويل المواد المعروفة الآن الى مجاري جديدة ، وهذا عمل لا حدَّ لهُ

فقد تعلمنا في المدارس ، ان المادة لا تخلق ولا تتلاشى . اي ان عدد الذرَّات في الطبيعة ثابت لا يتغير تقريباً ، ولكن الاشكال التي تتخذها الذرات تتغير . فعناصر الكربون والايدروجين والنتروجين ، قد تتحد بعناصر أخرى فتتخذ ألوف الاشكال بل ألوف ألوفها . وعلماء الكيمياء لا يكادون يدركون مدى هذا العمل وسعة نطاقه . فكل سنة يأتينا العلماء بمركبات جديدة صنعوها من هذه العناصر ، لم تكن معروفة في السنة التي قبلها . فقد تتحد هذه العناصر في شكل معين ، فتكون تراباً او حصىً في حديقتك ، ثمنهُ يسير جداً اذا شئت ان تبتاعهُ ، وقد تتحد كذلك في شكل معين آخر ، فتكون عقَّاراً طبيًّا مفيداً ضروريًّا ، تدفع ثمن الغرام الواحد منهُ عشرات الجنيهات . فالمسألة لا تعدو كونها مسألة ترتيب الذرَّات المادية ترتيباً حسناً . والعناصات التي تملأ على بحر غاية هي نفس الفحم الاسود الذي يحرق في المعامل وقاطرات السكك الحديدية

في أوائل القرن التاسع عشر ، فاز كيمياوي الماني ، يدعى وهلر ، بتركيب مادة تدعى « يوريا » في المعمل ، ففتح بذلك ميداناً رحباً أمام مبدعي الكيمياء . كان الكيميائيون والعلماء بوجهٍ عام قبل ذلك يعتقدون ان المادة نوعان ، نوع طبيعيٌّ اي حيٌّ ولا يمكن ان يركَّب في معمل الكيماوي ، بوجهٍ من الوجوه . ونوع غير عضوي ، اي غير حيٍّ ، يوجد في الطبيعة ،

ولكن يمكن ان تركّب كذلك في معمل الكيمياني . وكانت مادة « البوريا » اولى المواد العضوية التي ركّبت في المعمل حتى ان الكيمياني ، جارى الحياة بتركيبها . والرأي السائد الآن في البيئات العلمية انهُ لا توجد مادة ما ، على الاطلاق ، لا يمكن ان تركّب ، في المعمل ، اذا عرفت السبيل الى ذلك . فعند ما توجد مادة جديدة في الطبيعة يحلّلها الكيمائيون ، ثم يحاولون ان يعيدوا تركيبها بالصناعة . ثمة مواد تحتاج الى مقادير كبيرة منها ، ولكنها لا توجد في الطبيعة الا في مقادير صغيرة . فاذا استطعنا ان نركّبها بالصناعة ، من مواد رخيصة ، فزنا بصنع المقادير الكبيرة التي نحتاج اليها ، على اهون سبيل . فمركّبات النترات ، مثلاً ، التي تصلح لتسميد المزروعات ، اصلها من مصدر حيوي ، ولكن الموجود منها محدود وآخذ في النفاد لذلك حاول العلماء ان يصنعوها بالتركيب الصناعي ، من الهواء والماء ، فازوا بذلك بعد جهد جاهد ، وصار صنع هذه الاسمدة ، أسهل من نقب الارض التي توجد فيها بالطبيعة

فكيمياني المستقبل سوف ، سعى الى اصابة هدف عظيم ، وهو السيطرة سيطرة كاملة على المادة ، حتى يستطيع ان يصنع نفقدر في مكانهِ ، اي حتى يستطيع ان يخلق الثروة من القذر ، والمواد المفيدة ، من النفايات والمواد المبوذة . وقد خطا حتى الآن خطوات كبيرة نحو هذا الهدف

فالقذر او النفاية التي تنشأ عن احماء الفحم لتوليد غاز الاستصباح ، لا تطرح جانباً ، بل تجمع ، ومنها تصنع مئات بل الوف من المركبات الجديدة ، المعروفة باسم مركبات قطران الفحم الحجري ، وهي تختلف من ازهى الاصباغ وأبدعها ، الى السكرين وهو احلى من السكّر الطبيعي مئات الاضعاف . من هذه المركّبات الصبغ المشهور المعروف بالصبغ النيلي . واصله طبيعيٌّ اذ كان يستخرج من نبات النيلة الذي اشتهرت بهِ الهند ، وصبغ دم الغزيت وهو احمر اللون ، وكان يستخرج من نبات الفوّة ، وعطر القانلا الذي يستعمل في عمل المسكرات والمربّات وكان يستخرج قبلاً من نبات القانلا ، والحبر الأسود الذي يستعمله المصورون وكان يستخرج من حبر الاخطبوط . جميع هذه المواد كان الاعتماد في استخراجها على مصادر طبيعية . ولكنها تصنع الآن في المعامل ، في مقادير كبيرة رخيصة تجعلها في متناول كل احد

ثم هناك العطور . فقد كان الانسان في البدء يعتمد في استخراج العطور ، على النباتات كالورد والياسمين والصندل ، والحيوانات كغزال المسك وحوت العنبر ، ثم ارتقى فجعل يزرع حقولاً متسعة بالازهار العطرية ، ليستخرج عطرها ، ويتطيب بهِ ، كما يفعلون في جنوب فرنسا في بلدة غراس ، وفي وادي نهر المريج ، في تركيا وبلغاريا . ثم ارتقى فجعل يصنع العطور من مواد غير عطرية ، او يركب عطوراً جديدة . فالمادة الأساسية في عطر الورد مثلاً تدعى جرانيول ، والمادة الاساسية في ماء الزهر ، تدعى النرولي ، وقد ركبوها وغيرها كذلك ، تركيباً صناعيًّا من مخلفات الفحم المعروفة بقطران الفحم الحجري

والاستاذ نو، العالم والمستنبط الانكليزي، يقول في كتابه، عالم المستقبل العجيب، انهُ يرجح ان أطعمة الانسان في المستقبل، ووقوده وملابسهُ والمواد الكيميائية التي يحتاج اليها، سوف تركب تركيباً صناعيًّا من الهواء والماء والمادة الخشبية التي في النبات وتعرف باسم «السلولوس»

وعنده ان الكيميائيين، سيكشفون عن طريقة تمكنهم من تحويل السلولوس، وهو مادة لا يهضمها الانسان ولا فائدة غذائية لهُ منها، الى نشاء، فتصير قاعدة من قواعد غذائه، ويوفر بذلك شيئاً كثيراً من غناء بعض ضروب الزراعة ومشاقها. ولا يخفى ان الحرير الصناعي يصنع من السلولوس ايضاً. فاذا تمَّ ما يعتقد الاستاذ نو انهُ سيتم، أصبحت المادة الخشبية في جذع شجرة، مصدراً للغذاء الانساني، اذا عولجت بأسلوب معين، ومصدراً للجوارب حريرية اذا عولجت بأسلوب آخر

ولا بدَّ ان يكون في معامل المستقبل مصادر قوية لضوء يشبه ضوء الشمس، لكي يستعمل ليلاً نهار استعمالاً مطرداً وفقاً لرغبة الانسان وحاجة العمل، فنحن نعلم من التصوير الشمسي ان لضوء الشمس تأثيراً كيميائيًّا. وكذلك نعلم أن ضوء الشمس الواقع على البشرة يحوِّل مادة معينة في داخلها الى نوع خاص من الفيتامين. وهذا التحويل هو احد الاسباب التي تجعل حمامات الشمس، اي تعريض الجسم عارياً لضوئها، عملاً صحيًّا مفيداً اذا لم يتمادَ فيه. فلا يبعد في المستقبل ان يستعمل ضوء الشمس الصناعي، أي الصادر من مصابيح خاصة لا من الشمس نفسها في صنع المطاط (الكاوتش) واعداد نوع مركز جدًّا من الفيتامين يستعمل حقناً، وتحويل الكلور الى كلوروفورم وما يصنع من هذه المادة من المركبات المتعددة

ثم ان هذا العمل — اي عمل التركيب — قد يشمل الذرَّات نفسها. ولكنهُ قد يكون فيها، ترتيباً جديداً لكواربها يجعلها ذرَّة مادة جديدة، اي ان تحويل العناصر بعضها الى بعض تحويلاً عمليًّا قد يكون في طاقة علماء المستقبل

فتحويل العناصر الآن حقيقةٌ علمية واقعة، ولكنهُ ليس حقيقة عمليةً، أي ان نفقة التحويل نفسها أعظم جدًّا من فائدته العملية او قيمته المادية، ولكن مبادئهُ كشفت وقد تكتشف طريقتهُ العملية بعد قليل او كثير، وعندئذٍ ماذا نفعل؟ هل نحوِّل المعادن الرخيصة الى ذهب؟ كلاَّ، اذ ما الفائدة من الذهب اذا كثر؟ ولكننا نحول الايدروجين مثلاً، الذي يدخل في تركيب الماء، الى هليوم، لاننا نحتاج الى الهليوم ولا نجد مقادير كافية منهُ وباسعار رخيصة. فالبالونات الكبيرة لا ترتفع في الجوّ الاَّ اذا ملئت أكياسها بأحد هذين الغازين. ولكن الايدروجين غاز ملتهب، وبه احترق غير بلون واحد. وأما الهليوم فغاز غير قابل للاحتراق. فائدتهُ في ترقية السفر الجوي بالبلون لا تقدَّر، وتحويل الايدروجين، من هذه الناحية الى هليوم، أفضل وأجدى على الانسانية من تحويل الرصاص الى ذهب

ومن المؤكد ان المواد والعناصر التي سوف يكثر عليها الطلب، وتشتد اليها الحاجة بعد

مائة سنة ، سوف تكون غير المواد والعناصر التي يكثر عليها الطلب ، وتشتد اليها الحاجة الآن . ومن عجائب تقدم العلم ، ان معدناً من المعادن يكون نادراً ، ثم تكتشف طريقة لتحضير مقادير وافرة منهُ ، فلا تلبث طويلاً ، حتى تتعدّد نواحي الحاجة اليهِ ، ويصير استعماله مفيداً ، بل ضرورياً في عشرات الاغراض . فمعدن الكروم مثلاً ، ظلّ عشرات السنين بعد الكشف عنهُ ، وهو شيء نادر لا نراه الاّ في معامل البحث العلمي ، فلما ابتدعت طريقة لتحضيره كثر استعمالهُ ، ومن أهم وجوه هذا الاستعمال طلاء الحديد بهِ ، تأنقاً لحديد للحضارة ، لان الكروم لا يصدأ ولا يتأكل . ويرى الاستاذ نو انهُ لا يبعد في المستقبل ان تنشأ مكاتب « لتخديم العناصر » على مثال المكاتب المعروفة الآن ، لتخديم الناس والبحث عن اعمالهم . فيجيء عندئذٍ صاحب مصنع الى أحد هذه المكاتب ، ويقول لمديره ، اني أستطيع مثلاً ان انتج كل سنة كذا مئات او ألوف من الاطنان من معدن البريليوم بسعر رخيص ، فهل أستطيع ان أستعمله ، اي ماذا أستطيع ان اعمل بها ، حتى لا تبقى منبوذة . فيعمد الكيميائيون في هذا المكتب الى فحص خواص المعدن وأخيراً يجدون ان اجزاء معينة في بعض الآلات يصلح لها هذا المعدن مخلوطاً بمعادن أخرى . فيذاع هذا النبأ ، فيبيع صاحب المصنع ما يخرجهُ من البريليوم ، ويتناول « مكتب تخديم العناصر » حقهُ من الربح ، ويكون الربح النهائي الكامل ، ربحاً للانسانية والحضارة معاً

ومما لا ريب فيهِ ، ان اجيال المستقبل ، لن تسمح بان يكون في حياتها مكان للتبذير في المواد . وقد شرعنا منذ الآن نسير على هذه الطريق . فالتبذير ضياع لعمل يجب ان يكون مفيداً ، واذن يجب ان تجنبهُ قدر الطاقة . فالخرق القديمة ، والورق المستعمل ، والنش ، موادّ كان اسلافنا ينبذونها نبذ النواة . ولكن مصانع الورق تستعملها الآن في صنع الورق . بل ان اقراص الفراموفون ، تصنع الآن من لبن ، كان اذا حمّض يلقى جانباً . حتى عبارة « نبذ النواة » التي تقدم استعمالها ، يجب ان تحذف من قواميسنا . فمن نوى التمر وغيره من النفايا ، التي تطرح من معاصر الخمر ، صنع زيت جيد للزيت . ثم هناك الهواء ، هذا الحضم الغازي الذي يحيط بنا ، ولا نستطيع ان نحيا من دونهِ . فقد تعوّدنا ان ننظر اليهِ ، على ان فيهِ نسمة الحياة . ولكن ناس المستقبل ، سوف يعلمون انهُ علاوة على ذلك مصدر عظيم للطاقة والطعام واللباس وغيرها

فثاني أكسيد الكربون فيهِ لازم لحياة النبات . ومعظم الطاقة التي نستعملها الآن ، سواء أكانت طاقة فحم او طاقة بترول ، هي وليدة نباتات قديمة جداً استمدت هذا الغاز في بناء أنسجتها ، ثم دفنت بفعل طبيعي فكان الفحم وكان البترول . ولذلك ليس هناك ما يمنع ان نتعلم سرّ استعمال النبات لهذا الغاز الذي في الهواء . تستعملهُ مباشرة لتوليد الطاقة . فنوفر الوف السنين في توليدها عن طريق النبات وفي محاضرة سابا جبتي بك في هذا الجزء ان الجوارب والملابس تصنع قريباً من خيط صنع من الفحم والماء والهواء

سر من أسرار العربية

ورجو ان نصل الى حقيقته في السليقة العربية

لمحمود محمد شاكر

هذا بابٌ من أصول اللغة لم يترجم إليه أوائلنا — رضي الله عنهم — إلاّ اشارة مبهمة وهنة خافية او بدءاً مهضوماً ، فهم لم يجردوا لهُ انظارهم ، ولم يحتفلوا لتقصيه وتتبعه واستظهار طرائقه ، وهم حين اشاروا او ألمحوا او بدؤوا ، لم يلموا إلاّ بأطرافه وحدوده ، فلم يغوصوا في قعره وسره ومعدنه ليستنبطوا منهُ اسراره المستكنة تحت ألفاظ العربية . ومعاني هذا الباب مما يقتضي القارىء فضل تدبر وصبر وتقليب وتثبت حتى ينفذ الى حقيقته، ويستولي على ما يتعسر من أصوله ، فاذا فعل فقد أدرك منهُ طرفاً صالحاً يستعين بهِ على التوسع في معرفة حده وغرضه وتأتيه ، ويبيننا في تحقيق ما نرمي اليهِ من تفسير ألفاظ العربية بدلالة الحروف على معان أصلية ثابتة في طبيعة أصحاب السليقة العربية الاولى الذين تلقينا عنهم بيان هذا اللسان العربي المبين

وأنا أريد بقولي « معاني أصوات الحروف » ، ما يستطيع ان يحتمله صوت الحرف — لا الحرف نفسهُ — من المعاني النفسية التي يمكن ان تنبض بها موجة اندفاعه من مخرجه من الحلق أو اللهاة او الحنك او الشفتين او الخياشيم ، وما يتصل بكل هذه من مقومات تحت الحرف المنطوق . وليست المعاني النفسية — او العواطف او الاحساس — هي كل ما يستطيع ان يحتمله صوت الحرف ، بل هو يستطيع ان يحتمل ايضاً صوراً عقلية معبرة عن الطبيعة وما فيها من المادة ، وما يتصل بذلك من أحداثها أو حركاتها او اصواتها او اضوائها أو غير ذلك مما لا يمكن استقصاؤه الاّ بعد طول الممارسة لوحي الطبيعة في فطرة الانسان ، وبعد مداومة اللغة ومفرداتها على أصل دقيق من هذا الباب ، والاحتفال في كل ذلك للتدبر والاستقصاء ومداورة اللسان على مخارج الحروف مع حسن التقطن للمعاني الاولية التي يمكن اعتمادها أصلاً لمعنى الصوت في حرف حرف من حروف اللسان العربي

وأنا لا أدعي لنفسي درك هذا الذي تدرّت من «علم معاني أصوات الحروف»، ولا أني وصلت بالفكر فيه الى حيث أريد ، ولا أني قد حشدت لهُ جهدي كلهُ حتى اصل الى استقصاء

المعاني التي تقصرها أصوات الحروف . كلاَّ بل هذا جهد كنت بذلته قديماً والنفس ساكنة قارَّة هادئة ، إذ كانت تخيِّلهُ لطول النظر وحسن الاصغاء فواجس العاطفة وألحان الطبيعة ، وقد حاولت ان اقيد كل خاطرة بقيد لا تفلت من جرامعه ، ولكن الايام انزعتني ورمت بي الى حومة تتسعر وتضطرب وتطفى بضجيجها على فترة النفس واجتماعها على الهدأة والهوينا والسكون، فكذلك ذهب أكثر ما تلقفتهُ من المعاني نهباً ضائعاً بين النسيان والغفلة وقلة المبالاة وطول الاهمال . فلما رغب الى أخي الأستاذ « فؤاد صروف » أن أعود الى الذي تركت من ذلك ، أقبلت على فكر قديم لم تبق عندي غير أطلاله وظلاله ، فأتممت منهُ ما نقص على قدر ما بلغ بي الشوق الى انقاذ هذه الخواطر من الضياع والبوار . فأنا أكتب هذا الباب الآن ليكون قيداً لما فيه يحبسها حتى تبقى في مواطنها لا تضيع ولا تشرد ، ورجاء أن يقع عليه من يحسن أن يتصرف فيه بقوة ونشاط وتجويد ، أو من هو أمثل مني بمدارسة اللغة والوقوف على أسرارها ، والتهدي الى مسالكها وغوامضها ، والاستنباط لينوع هذا العلم بالبصيرة النافذة التي لا تخفى عليها مظنة الفائدة ، ولا تضل عن جوهر المعاني المطوية في ظواهر الحروف

وينبغي لنا أن نقدم بين يدي الكلام فصولاً من القول تكون بها الفائدة ، ويسهل معها تقريب هذا الباب الى من يحتمله ، ونحن نقصد فيه الى السهولة والوضوح ، فان من يقرؤه ، ويرجى لهُ أن يصل الى حقائقه ، من لا يستطيع أن يقف على الاصول التي يرتد اليها نسب هذا الكلام . من كتب القراءات وكتب اللغة ، وأصول كتب النحو والبلاغة وغيرها مما يتصل بسبب الى اصل العربية والكشف عن مدارجها

فينبغي اذن ان نفرق اولاً بين الصوت والحرف . فالصوت نَفَسٌ مقذوفٌ من الجوف الى الحلق الى الفم يخرج ممدوداً مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في طريق استطالته وامتداده ما يثنيه او يقفه أو يردّده أو ينكسه ، وإنما يعرضُ له ذلك في الحلق أو الفم أو الشفتين أو الثنايا والأضراس مع اللسان ، أو في الخيشوم أو في أعلى الحنك ، على اختلاف في موانع النفس من كلّ هذه الاعضاء . فحيث يعرضُ للنَّفَس المقذوف من الجوف ما يقفهُ أو يقطعهُ عن الامتداد والاستطالة والاندفاع ، فيسمّى هذا المكان « مقطعاً » وإذن فلكل مقطع يقطع النَّفَس عن استطالته جَرْسٌ يتميز من جرْس اختلاف نوع الصوت حيث يقطع . فانثناء النَّفَس على المقطع أو وقوفه أو تردُّدهُ أو ارتداده أو انتكاسه يحدث من الجرس ما نسميه « الحرف »

ولسنا نستطيع أن نعرف مقاطع الحروف وما تحمله من الجرس على براءته الا أن نأتي بالحرف ساكناً لا متحركاً وذلك لان الحركة فيها حرف من الحروف ، فان الفتحة « أقصر »

مختلسة، والضمة «واو» مختلسة والكسرة «ياء» مختلسة[1]، وكأنها حرف ساكن بعد حرفاً متحركاً ولا يبرأ مقطع الصوت « أي الحرف » من شائبة الاختلاط بمقطع صوت غيره الا حين يكون ساكناً لا تحفزه الحركة عن مستقر انقطاعه، ولا تميل به الى الحرف الذي هي بعضه وجزء منه مع اختلاس الصوت وسرعته وكبحه عن الوصول الى مستقر انقطاعه هو ايضاً

فاذا عرفت ذلك، وعرفت ان الحرف الساكن لا يوصل الى النطق به مفرداً مجرداً من حركة تلحقه او حركة تحفزه، لم تجد بداً من ان تستبدل الحركة التي تعين على النطق بوسيلة اخرى تؤدي الى تمكينك من قطع الصوت حيث لا يختلط بمقطع حرف غيره من الحركات الثلاث. وليس يوصل الى تحقيق ذلك الصدى الصوتي للحرف مع تجريده الا ان تدخل على تأهبك لدفع الصوت همزة مكسورة قبله، فتقول مثلاً في الشين والقاف والجيم والفاء والزاي، «إشْ»، «إقْ» «إجْ» «إفْ» «إزْ» الى آخر الحروف. وإدخال الهمزة هو التحقيق والصواب وذلك لان صوتها يبدأ من الجوف ثم يعتمد على أسفل الحلق وأقصاه ثم يحفزها بشاء بعد ذلك من الاصوات، وكذلك لا يختلط بأي الاصوات التي تريدها وتحتال لها لانها أول اصوات الحروف. ثم الهمزة المكسورة أحق بالاثبات هنا من المفتوحة والمضمومة. والعلة في ذلك أن « الفتحة » إن هي الا الف مختلسة تجد عندها الصوت بريئاً من الضغط والحصر لانفتاح الفم والحلق، « والضمة » واو مختلسة يضم معها معظم الشفتين على شدة الضغط والحصر، وكلا هذين إذا مارسته ودارسته — وجدته يدخل المؤونة عليك في اعتبار مدى الحروف عند منقطع الصوت. أما « الكسرة » وهي الياء المختلسة المسروقة من أصلها فانها يقع ما فيها من الضغط والحصر على مجرى الاصوات كلها، وذلك انك ترى الاضراس تكاد تنطبق على جنبتي اللسان فتحصره بينها ويجري الصوت معها ممتداً مستطيلاً في الفم كله على يسر، فكذلك يسهل ان ترجع بها اول الحرف لتحفزه الى اي مقاطع الصوت شئت، فهي اذن لذلك أولى ان تكون حافزة النفس لاحداث الصدى الذي يتميز به كل حرف من حروف النطق

فاذا عرفت ذلك، وعرفت ان مقاطع الصوت متنازعة بين الحلق الى الشفتين والخيشوم على تدرج واطراد في منقطع الصوت ومكان استدامه أو انقلاله أو تقشيه، رأيت أن ثمة ترتيباً لا بد منه للاصوات على مقتضى تدرج انقطاعها في أي مكان من آلة النطق التي هي الانسان وما يحيط به. ونحن نجتهد أن نأخذ ذلك عن التجربة التي نحدثها بأنفسنا، وما وصل الينا من تحرير

(١) كان المتقدمون من أصحاب النحو قبل ان تقرر مصطلحاته، يسمون الفتحة « الالف الصغيرة » والكسرة « الياء الصغيرة »، والضمة « الواو الصغيرة »، وذلك لانك اذا أشبعت الفتحة في قولك مثلاً « سعد » وكسرت الدال لاجتناب التقاء الساكنين صارت « ساعد »، وكذلك باقي اخواتها. فهذا أسلوب جيد من النظر في حقيقة الحركات

المتقدمين من أصحاب العربية لبيان مقاطع الحروف وصور منطقها

فالحروف او الاصوات حيث تقطع تتبين على هذا الترتيب في اطرادها :

الهمزة(١) ، الالف (٢)، الهاء (٣) ، العين(٤)، الحاء (٥)، الغين(٦) ، الخاء (٧)،القاف(٨)، الكاف (٩) ، الجيم (١٠)، الشين(١١) ، الياء(١٢) الضاد(١٣)، اللام (١٤)،النون(١٥) ، الراء (١٦)، الطاء (١٧) ، الدال (١٨) ، التاء (١٩)، الصاد(٢٠)،السين(٢١)، الزاي (٢٢)، الظاء (٢٣) ، الذال (٢٤) ، الثاء(٢٥) ، الفاء(٢٦) ، الباء(٢٧) ، الميم(٢٨) ، الواو (٢٩)

فهذه هي حروف العربية التسعة والعشرون على التصاعد من الحلق الى منقطع الشفتين غير ناظرين الى ما يدخل بعضها من المد والاخفاء والتفخيم والامالة وغير ذلك من الاعراض التي تلحق الصوت من قِبَل انقطاعه واصطدامه . واعلم انك اذا اردتَ ان تسير في ذلك على طريقة مستقيمة فلا بدّ لك من ان تأتي بهذه الحروف ساكنة قبلها همزةٌ مكسورةٌ للعلة التي ذكرناها آنفاً ، ثم كرّرْ ذلك ، و تصور صوت الحرف وردده وتمثل قوته أو ضعفه أو لينه او استرخاءه او تفشيه او انحرافه أو استطالته ، حتى يتأنّى لك ان تعرف بالدراسة موقع انقطاع صوته الذي يحدث عنهُ الصَّدَى المتردد الذي يتميز به الحرف مما يلابسهُ أو يدانيه او يقع على بعض موقعه

وقد تقصّى شيوخنا من أئمة اللغة مخارج الحروف ، ولا بدّ لنا هنا من ذكر هذه المخارج لحاجتنا اليها فيما نستقبل من كلامنا عن معاني اصوات هذه الحروف ، وسنتبعها على الترتيب الذي رأيت قبل للحروف العربية نفسها

« المخرج الاول » من أسفل الحلق وأقصاه مع اطلاق الهواء، وفيه: الهمزة (١)،والالف (٢)،والهاء(٣)

« المخرج الثاني » من وسط الحلق مع اطلاق الهواء وفيه : العين (٤) ، والحاء (٥)

« المخرج الثالث » من أدنى الحلق الى ان يرتطم الهواء المقذوف بأول الحنك الاعلى وفيه : الغين (٦) ، والخاء (٧)

« المخرج الرابع » من طرف اللهاة وأقصى اللسان مما يلي الحلق مرتطماً بالحنك الاعلى بعد ذلك وفيه : القاف (٨)

« المخرج الخامس » من طرف اللهاة وأقصى اللسان مرتطماً بمتقدم اقلم من الحنك الاعلى وفيه:الكاف (٩)

« المخرج السادس » من وسط اللسان مع تفشي الهواء وضغطه الى وسط الحنك الاعلى وفيه:الجيم (١٠) والشين (١١) ، والياء (١٢)

« المخرج السابع » من أول حافة اللسان من الجانب الايسر وحصر الهواء الى الاضراس التي في هذا الجانب وفيه : الضاد (١٣)

« المخرج الثامن » من أدنى حافة اللسان الى منتهى طرفه ودفع الهواء عن جانبيه محصوراً في الحنك الاعلى مما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية وفيه : اللام (١٤)

« المخرج التاسع » من طرف اللسان بينه وبين فويق الثنايا العليا وانبثاث الهواء الى الخياشم وفيه : النون (١٥)

« المخرج العاشر » من طرف اللسان بينه وبين فويق الثنايا العليا مع انحراف اللسان واطلاق الهواء وحصره وترديده في تجويف اللسان وفيه : الراء (١٦)

« المخرج الحادي عشر » من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مع ارتطام الهواء بالقدر الاعلى من الحنك مصحوباً مع الانلاق وفيه : الطاء (١٧) ، والدال (١٨) ، والتاء (١٩)

« المخرج الثاني عشر » من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مع تعرض اللسان وانطباقه على بعضه وترديده والتصفير به في تحويف اللسان الى الثنايا السفلى وفيه: الصاد (٢٠) ، والسين (٢١) ، والزاي (٢٢)

« المخرج الثالث عشر » من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا مع انطباق الهواء في مخرج الاسنان الى الثلة وبعد أسلة اللسان الى خارج الثنايا وفيه : الظاء (٢٣) ، والذال (٢٤) ، والثاء (٢٥)

« المخرج الرابع عشر » من باطن الشفة السفلى مع قذف الهواء الى الشفة العليا من بين الثنايا وفيه: الفا (٢٦)

« المخرج الخامس عشر » من انطباق الشفتين بعد قذف الهواء من الجوف وانطباق الشفتين عليه قبل خروجه ، أو خروجه مع استدارة الشفتين وانطباق أكثرهما وفيه : الباء (٢٧) ، والميم (٢٨) ، والواو (٢٩)

فهذه خمسة عشر مخرجاً لحروف العربية على الترتيب والتوالي والانفراد قد وصفناها ، ولم نأتِ بكل الفروق بين الاحرف المشتركة المخارج ، وهناك مخرجان آخران لا بأس من ذكرهما هنا ، وان كان الرأي عندنا فيهما غير ما ذهب اليه كثير من أئمة العربية ، وبهما تتم المخارج سبعة عشر مخرجاً

« المخرج السادس عشر » وهو منحط بالمخرج الاول والمخرج السادس والمخرج الخامس عشر ، هو من الجوف الى أقصى الحلق حيث ينقطع المخرج حتى يتصل بالهواء خارج الفم وفيه : الالف ، والواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها . وأنا لا أجعله مخرجاً لطول تمديده ليس هذا مكان بيانها

« المخرج السابع عشر » وهو ملحق بالمخرج التاسع والخامس عشر حيث يمتد الهواء المبعث في الخياشيم يتردد في دورته فيها وفيه : النون والفم الحنينين الساكنين في الاخفاء والادغام بالغنة

فهذان المخرجان ، كما ترى ، هما أعراض قد لحقت أصوات الحروف ، ولم تنشأ منها حروف منصوبة على اللسان كسائر حروف المعجم التي اعتمدناها في لساننا العربي . ولو أننا نسبنا المخارج على الأعراض التي تلحق أصوات الحروف لكثر عندنا ما يمكن ان يعدّ من المخارج . ألا ترى أن الحروف التي زعمناها من مخرج واحد إنما كانت كذلك لتقاربها مع تمام اختلافها ، والا لما جاز في العقل أن يشترك في المخرج الواحد أكثر من حرف واحد البتة . وسيكون لهذه الأعراض التي تلحق أصوات الحروف بيانٌ تقتضيه فيما يأتي بعد من كلامنا

ولا بدّ هنا أيضاً من حصر هذا التقسيم الذي مضى في دائرة أضيق من هذه ، فهم يسمون حروف المخارج الثلاثة الاولى « الحروف[1] الحلقية » وهي سبعة أحرف

والرابع والخامس « الحروف[2] الفَهَوية » نسبة الى الفاه ، وهي الحفاة الملتقة بين الحلق والفم ، وهما حرفان

والسادس « الحروف[3] الشجرية » نسبة الى الشجر وهو مفرج الفم لانتاحه ، وهي ثلاثة أحرف

والسابع ، وهو مخرج[4] الضاد لم يسمّ لنا ، وبعضهم يعدها من الحروف الشجرية وهو ليس بشيء

والثامن والتاسع والعاشر « الحروف[5] الذلقية » نسبة الى الذلق وهو طرف اللسان وعليه اعتمادها ، وهي ثلاثة أحرف

والحادي عشر « الحروف[6] النطعية » نسبة الى نطع الغار الاعلى وهو سقف الحنك ، وهي ثلاثة أحرف

الثاني عشر «للحروف [٧] الأسلية» نسبة الى أسلة اللسان وهو مُستَدَقُّه حيث تصفرُ عليه الحروف ، وتسمى أيضاً حروف الصفير ، « الذلق ، وهي ثلاثة أحرف

والثالث عشر «للحروف [٨] اللثوية» نسبة الى اللثة حيث يكون نصف [illegible] حرف

والرابع عشر والخامس عشر « للحروف [٩] الشفوية » لأنها تخرج من بعض وهناك يكون مقطع الصوت ، وهي أربعة أحرف

وتنقسم هذه الحروف بالنظر الى مقطع الصوت والنفس الى أقسام كثيرة : فمن ذلك قسمتها الى « مجهورة » و « رهموسة » ، فالمجهورة هي التي أشبعت الاعتماد في مواضعها ، ومُنع النفسُ أن يجري حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت ، والمهموسة ما ضعف الاعتماد في مواضعها حتى جرى معه النفس ، وهي عشرة أحرف : الهاء [١] والحاء [٢] والخاء [٣] والكاف [٤] والسين [٥] والصاد [٦] والتاء [٧] والشين [٨] ، والثاء [٩] ، والفاء [١٠] . وسائر حروف المعجم بعد ذلك مجهورة كما ذكرنا وصفناها

وقسمة أخرى الى الشدة والرخاوة وما بينهما ، فالشدة ان يمنع أخرف الصوت ان يجري فيه فلا تستطيع ان تمده معهُ ، والحروف الشديدة ثمانية وهي : « الهمزة [١] ، والقاف [٢] ، والكاف [٣] ، والجيم [٤] ، والطاء [٥] ، والدال [٦] ، والتاء [٧] ، والباء [٨] . فاذا اردت أن تمد صوتك مع القاف من قولك « الحق » لم تستطع ذلك . والرخاوة أن يجري الصوتُ في الحرف كما ترى في قولك « القَسّ » فانت تجري مع السين كما شاء ، وبين هذين [بين الرخوة والشديدة] حروف ثمانية وهي : الألفُ ، والعين ، والياء ، واللامُ ، والنونُ ، والراء ، والميمُ ، والواو . فهذه يجري الصوت معها على نصف او مساحة قليلة ، وسائر حروف العربية — بعد ما سميناه من الحروف — هو رخوٌ

وقسمة أخرى الى الاطباق والانفتاح ، فالحروف المطبقة هي التي تضمها ظهر لسانك الى غار الحنك الأعلى مُطبقاً به على الهواء ، وهي أربعة أحرف ، الضادُ ، والطاء ، والصاد ، والظاء ، وسائر الحروف منفتحٌ ولولا هذا الاطباق لخرجت الضادُ من العربية ، ولانقلبت الطاء دالاً ، والصادُ سيناً ، والظاء ذالاً

وقسمة الى الاستعلاء والانخفاض . والاستعلاء أن يَتَمَطّى الصوت في نصف الحنك الأعلى ، فالحروف المُستعلية سبعة : الخاء ، والغينُ ، والقافُ ، والضادُ ، والصادُ ، والطاء والظاء وسائر الحروف منخفضة : وأنت ترى أنّ مع الاستعلاء الحروف الأربعة المطبقة التي عددناها قبل

وأما القسمة الأخيرة للحروف فهي استنفادُ الصاد والسين والزاي ، جعلها حروفاً للصّفير كما ذكرنا ذلك قبلاً ، وباقي الحروف العربية لا تصفيرُ

فهذا نهاية ما يجب ان نقدمهُ بين يدي الكلام عن « معاني أصوات الحروف » ، ونحن نرجو أن نكون قد بلغنا بعض الغاية في تقريب صوت الحروف لمن يريد أن يحفز همته حين نشرع في الكلمة الآتية في دراسة معاني الأصوات المقترنة بالحروف أو التي تجري مجراها في الشّمس والمقاطع

مؤتمر الفلسفة الهندي

واحتفاله الرابع عشر

للسيد ابو النصر احمد الحسيني الهندي

شهر ديسمبر في الهند هو شهر الحركة والعمل. فيدب فيه النشاط في أهل الحكم والحكم، وذوي الفضل والادب لاغتنام الفرصة واختلاس النزهة، فتجتمع مؤتمرات العلم، وتحتفل جميات السياسة، وتحتشد نقابات الادب برؤسائها الجدد [1] للسنة الجديدة، لنشر عهودها وترسم خطاها على ضوء التجارب الماضية ومقتضى الاحوال الحاضرة، فينطلع أركانها بأعباء الواجبات بلذة طريفة، ويضرب أعضاؤها في نواحي الغايات بروح جديدة

من بين تلك الحفلات والاجتماعات التي أقيمت في الهند في شهر ديسمبر الماضي كان احتفال مؤتمر الفلسفة الهندي الرابع عشر في الله آباد. فكان رئيس مجلس الاستقبال للمشتركين في الاحتفال مدير جامعة الله آباد وقد خطب في الحفلة خطبة جامعة رحب فيها بالضيوف والمحتفلين وقال فيها: —

« إن نقاش جماعة من الفلاسفة في جامعة في الله، والتدر، والقوة الارادية أو في مسائل أخرى مثلها يلوح في الظاهر مثيراً للضحك كما كان الصراف تلميذ الفيلسوف سقيكا الى ضرب الزمار حين كانت روما تحترق وتفنى. ولكن الحقيقة ان الدولة لا تقوم الا على أساس الاخلاق الحسنة للافراد، والذين يقدرون على سن القوانين وشرع المناهج للاخلاق السامية هم الفلاسفة. بل الاحوال الحاضرة تقتضي ان يكون الفلاسفة حكاماً في كل ناحية، فيسعد الحق مع القوة والسلطان ويتبعهم »

ثم أبان علاقة الفلسفة بشتى ظواهر الحياة الانسانية المختلفة مثل الدين والادب، والشعر وغيرها فقال ما خلاصته: إن بدا ان هناك تناقضاً بين الدين والفلسفة فإن بكون يقول: « ان علم الفلسفة السطحي يقود صاحبه الى الالحاد، واما علمها العميق فيرشده الى العقيدة في الدين ». وليست الفلسفة بشيء جاف فان ملتون يقول ان الفلسفة الوجدانية ليست بصعبة ولا غامضة بل هي مليئة

(١) لا يخفى ان رياسة الجميات والمؤتمرات والاندية والجامع في الهند سواء أكانت العلمية ام السياسية ام الاجتماعية ام الادبية ليست بشيء مبتكر للرئيس مدى حياته يتصرف فيها كيف يشاء ولا قبل لاحد ان ينزله بل معظمها لا تتجاوز السنة فيقضي به لكل واحد ممارس العمل ويثبت به اخلاصه وصدقه لغاية الجمعية

باللذة والحلاوة مثل النغمات الشجية في مزمار أبولو . وعلاقة الفلسفة بالادب عميقة . ففي الادب التذكاري غير شك واحد من الامثال والكلمات المأثورة والحكم التي تفسر الحقائق الفلسفية وتشرح مسائلها الدقيقة . وفي الادب الانكليزي صور روايات شكسبير الشيقة العمق، والخير ، والبراءة ، وجواذب الطبع الانساني وأخلاقه المختلفة التي لها أثر في الفلسفة ، وصور بديعة رائعة . وفي الادب الأردي يحتوي شعر الشاعرين الكبيرين غالب [1] وأنيس [2] على طرائف فلسفية كثيرة، ولاحاجة بنا ان نشير الى شعر الشاعر الفيلسوف الكبير المرحوم الدكتور محمد اقبال رحمه الله فقد كان من معاصرينا . فالشاعر الانكليزي كولردج يقول انهُ لايمكن ان يكون الشاعر كبيراً اذا لم يكن فيلسوفاً . وليس الأمر مقتصراً على الشعراء ، فان كل رجل عظيم فيلسوف . فحكام النظام الدكتاتوري المستبد في اوربا، ورؤساء النظام الجمهوري الديمقراطي، وادباء الادب الراقي المتقدم، بل قواد الثورة ، وحماة الفوضى جميعهم فلاسفة . وما أصدق قول مداعب فرنسي في مداعبته « إن كل هازل الفلسفة فيلسوف فان شيشرون كان يقول ان ليس في العالم شيء مضحك لم يتأسس على فلسفة ما »

ثم خطب رئيس الحفلة العالم الانجليزي س. ف. أندروز C. F. Andrews . وهو يعتنق العقيدة الهندية أهيمسا (أي عدم التشدد) وهي أساس جميع اعمال الزعيم الهندي الشهير موهنداس غاندي. لذلك احتوى معظم الخطبة التي ألقاها ارتجالاً على شرح تلك العقيدة فأثنى على ضوء تعليم بوذا وزردشت وعيسى ان الشدة لايمكن ان تستأصل بالشدة ولا يمكن ان يغلب على الاثمة بالاثمة

وفي اجتماع اليوم الثاني جرى النقاش المفيد في علاقة التصوف بالفلسفة . ثم عقدت اللجان المختلفة لفروع الفلسفة مجالسها . فرأس لجنة المنطق وما وراء الطبيعة الدكتور ب . ت . راجو الاستاذ بجامعة اندهيرا فألقى خطاباً في « الفكر السامي وأثر العقل » وقال فيه « ان التفسير الفلسفي يتعلق ببناء الافكار الحديثة لكي يحل معضلات الوجود والحياة ويسيطر عليها وكلما ارتفع الوجود رتبة ، عجز الفكر عن حل معضلاته واحتاج الى ان يتذرع اليه بنظريات وأساليب جديدة » وبعد ما وضح الموضوع توضيحاً متتابعاً ، مؤيداً بالدلائل والحجج قال في آخر الخطاب « ان كان للعقل وجود حقيقي يقوم بأعمال خاصة فينبغي لنا ان نعد هذه الاعمال اعمالاً سامية بالنسبة الى الاعمال الاخرى »

(١) ميرزا اسد الله خان غالب ولد سنة ١٧٩٦ ميلادية وتوفي سنة ١٨٦٩ ميلادية كان فيلسوفاً وشاعراً مطبوعاً كبيراً باللغة الاردية والفارسية ومنزلته باللغة الاردية بمثابة منزلة شكسبير بالانكليزية او جوته بالالمانية

(٢) مير بير علي أنيس ولد في سنة ١٢١٧ هجرية وتوفي سنة ١٢٩١ هجرية وكان شاعراً مبدعاً باللغة الاردية وكان ماهراً في نظم الرثاء من الشعر ولم يبلغه فيه احد

ورأس ... الفلسفة الهندية الاستاذ الدكتور س . ش . شترجي الاستاذ بجامعة كلكتة وألقى خطاباً في ... عنوانه نظر الهند والفلسفة » تشرح فيه بالشواهد والتحليل ان الفلسفة الهندية تبحث عن الصدق بدءاً من الظواهر ، وان معنى « العلم » فيها ليس الادراك الذهني المحض بل التجربة بمعنى التصديق والاخلاص ، فلا يمكن عندها تكميل العلم بالاستدلال بل بمطالعة التجربة مصحوباً بتهذيب ولا يتأتى ذلك الا بتقديس الاخلاق والتفكير المستمر

ومما يذكر ... هذا المؤتمر زيادة فرع جديد في فروعه بتعيين لجنة خاصة للفلسفة الاسلامية فرأس هذه اللجنة الاستاذ الدكتور خليفة عبد الحكيم استاذ الفلسفة بالجامعة العثمانية بحيدر آباد وألقى خطاباً مسهباً قال فيه « ان الفلسفة الاسلامية بناء شامخ شيد على الاسلام لانهُ معلوم ان الاسلام لم يكن بحثاً في ما وراء الطبيعة ولا كان نبيه عليه الصلاة والسلام وخلفاؤه فلاسفة في معنى العصر الحاضر ، ولكن مما لا شك فيه ان الاسلام أتى في العالم بانقلاب خلقي عمراني عظيم ، وهو ان لم يأت لبحث جديد في ما وراء الطبيعة ولكن ظهرت به وجهات نظر جديدة بحياة بغير شك . فالفلسفة الاسلامية في الحقيقة فلسفة الدين الاسلامي . وقواعد الاخلاق الاسلامية جزء أصيل الفلسفة الاسلامية » . ثم أظهر الاستاذ أسفه على ان الجامعات الهندية مع كثرتها لم تختر الى الآن طرقاً جديرة بالبحث والتحقيق في هذا الفرع من فروع الفلسفة . وان عظم شأنه يقتضي ان تبادر الجامعات بفتح الكرسي الخاصة له تحت اشراف الاساتذة الاكفاء

ورأس ... علوم النفس الدكتور اندراسين الاستاذ « بكلية هندو » في دهلي فقال في خطابه : ان الهند بلاد يمكن ان تُدرس فيها فلسفة الثقافة ونفسيتها على أوفق وجه لان فيها اكثر أصناف الثقافات والاديان ولكنها اهملتها ولقد حان الحين ان يتوجه اليها الآن علماء النفس وان لهم جامعة ما يسهل الطرق لدراسة الثقافات الهندية المختلفة . فيجوز حينئذٍ ان تتوثق بها الصلات بين أهل تلك الثقافات في بلادنا . ورأس المستر رخيا شاري المحامي المشهور من بلدة كوكتاك في جنوب الهند لجنة الفلسفة الخلقية والاجتماعية فنوَّه في خطابه بفلسفة الحياة لانها غائية وقال انها في نظره أحسن غاية للحياة الانسانية

وفي اليوم الثاني ... احتفال التي الاستاذ اندروز خطاباً في « لغة الهند العامة » فأبان فيها حاجة الهند الى لغة عامة وأثبت ان اللغة الهندوستانية اي الاردية تفي بتلك الحاجة ودافع عنها ... وقال وابى ان يرى رأياً غريباً وهو انها يجب ان تكون لغة التكلم والأعمال العامة لا غير واما الامور العلمية فتبقى لها لغات البلاد الهندية المختلفة كما يجب ان تكون هي وسيلة التعليم في مكانها . وفيما يختص بالخط فيجب ان تكتب الهندوستانية بالحروف اللاتينية واللغات المختصة بالامور العلمية بحروفها الخاصة

روسيا السوفياتية

في الحرب العالمية الثانية ، والميثاق الروسي الالماني

١ — روسيا وكتلة السلام

٢ — انسحاب الروسي الالماني

٣ — تأثيره في المانيا وروسيا

٤ — تأثيره في شرقيات المانيا

٥ — في الدول المجاورة

٦ — روسيا ودول البلطيق

يوميات دولية

١ — بارزوفسكي يعود الى الكفاح

٢ — المانيا والحرب

٣ — بطولة الفنلنديين

٤ — الفواصل بين الحربين

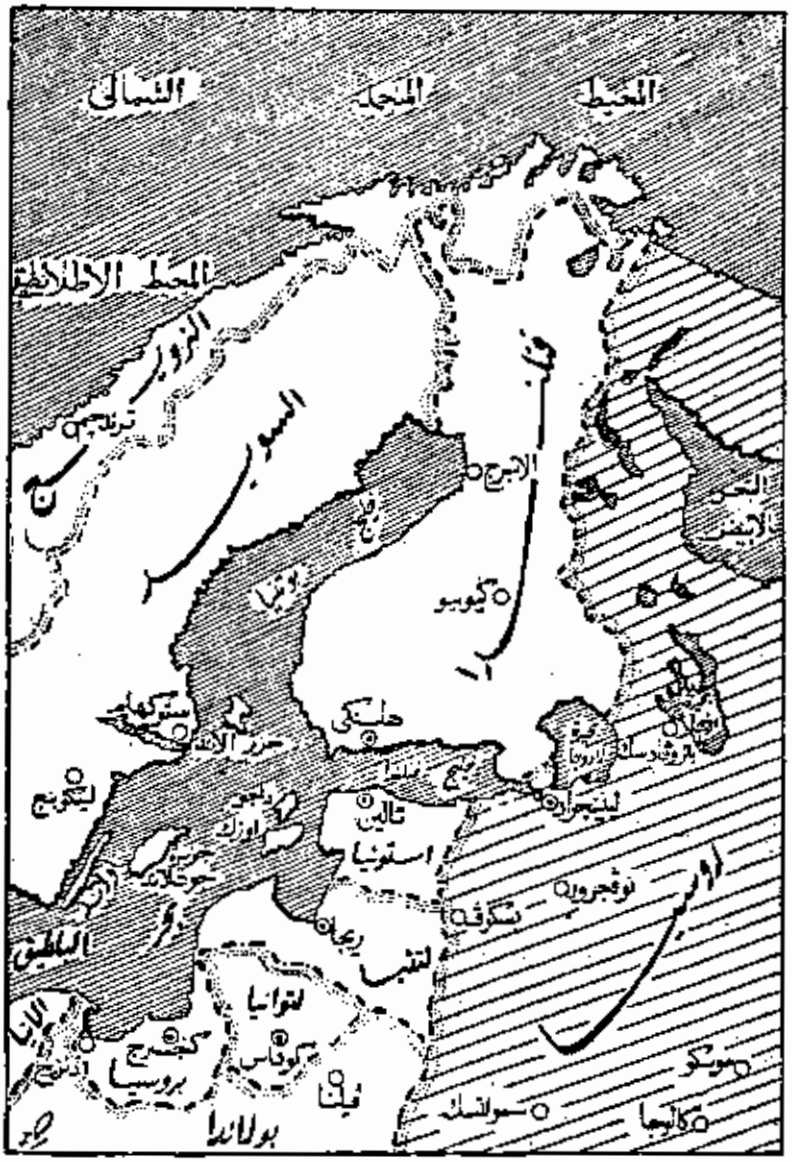
المحيط الشمالي
المحيط
المحيط الاطلانطيق
البحر الابيض
ترندجن
الابرج
كيوبو
سلونيك
تالين
استونيا
نوفجورود
سموكو
موسكو
كالوجا
سولنسك
لتوانيا
كوفنس
بروسيا
بولاندا

روسيا السوفياتية

في الحرب العالمية الثانية ، والميثاق الروسي الالماني

١ — روسيا وكتلة السلام

في الاسابيع التي سبقت اعلان الحرب العالمية الثانية ، اتجهت انظار العالم شطر موسكو لعلها تستشف من وراء الحجب التي تلفع سياستها ، ما موقف الحكومة السوفياتية من اعتداءات هتلر المتوالية . وقد كان الرأي في غير دائرة واحدة من دوائر العالم السياسية انه اذا قبلت روسيا أن تلقي بنفوذها وبثقلتها في كفة « جبهة السلام » التي سعت بريطانيا وفرنسا الى انشائها ، فان لها من ضخامة الجيش وحسن الاستعداد في السلاح واتساع الموارد الطبيعية ما يحمل هتلر على على ان يتردد كثيراً قبل الاقدام على اعتداء آخر وما يجره في اثر هذا الاعتداء من زج اوربا في حرب طاحنة

ولكن الرأي في دوائر اخرى كان يذهب الى التردد حيال موقف روسيا الحمل - فتاريخ روسيا في عصبة الامم لم يكن تاريخاً يبعث على الرضى الكثير . لان وجودها في جنيف وتأييدها لآراء ومذاهب سياسية معينة كان من شأنها قسمة دول العصبة الى فريقين — فريق لا يبأ بما يعرف بالخطر الشيوعي ويطالب بضم روسيا السوفياتية الى جماعة الدول الراغبة في السلام . وفريق كان رأيه ان الشيوعية هي نقض وهدم لكل عزيز عليه من مبادىء الاجتماع وقواعد الحضارة

ولم يخف من هذه الحيرة ارتياب روسيا في مقاصد الدول الديمقراطية ولاسيما بعد ما عقد مؤتمر ميونيخ في سبتمبر ١٩٣٨ بغير ان يدعى ممثل روسيا لحضوره . ويضاف الى ذلك ان الدول المجاورة لروسيا ، وهي التي تفهم ما يدور في الذهن الروسي لقربها من الروس ومارستها العلاقات مع رجالهم ، كانت ترتاب أشد الارتياب في احتمال اقدام روسيا على معاونة بريطانيا وفرنسا لو انهما قررتا الدفاع عن تشيكوسلوفاكيا حينئذ

وكان أنطاب الكرملين يشكون في مقاصد ساسة لندن وباريس ، ويظنون ان غرض هؤلاء انما هو اضرام نيران الحرب بين المانيا النازية وروسيا السوفياتية . وقد لمحوا غير مرة الى امتناع لندن وباريس عن مساعدة موسكو في ردع الاعتداء الياباني في منغوليا ، فكيف يكون الاتفاق اذن على مكافحة الاعتداء

في هذا الجو الذي تثقله الريبة المتبادلة بين روسيا والديمقراطيات الغربية ، أقدم هتلر على

اجتياح تشيكوسلوفاكيا في مارس ١٩٣٩ فكان بدء الأزمة الأوربية الأخيرة التي أفضت الى نشوب الحرب في سبتمبر ١٩٣٩

وكانت النتيجة الاولى، ان روسيا اقترحت عقد مؤتمر بحضره ممثلو بريطانيا وفرنسا وروسيا ورومانيا وتركيا للبحث في خير الوسائل لمقاومة الاعتداء . ولكن بريطانيا رأت الاقتراح سابقاً لأوانه واقترحت هي بدورها ان تشترك روسيا مع بريطانيا وفرنسا وبولندا في اصدار بيان ضد الاعتداء يقرر فيه مبدأ التشاور بين الدول الاربع في حالة اعتداء آخر . فرأى الكرملين ان هذا الاقتراح غير واف بالغرض ولكنهُ رضي ان يوقع رؤساء وزارات الدول الاربع بياناً رسميًّا ضد الاعتداء . ولمذكّر تنفيذ هذا الاقتراح لان بولندا لم تشأ أن تأتي عملاً من شأنه استفزاز المانيا او حملها على حسبانه استفزازاً لها

وفي الوقت نفسه كانت روسيا تنظر بعين قلقة الى اتساع النفوذ الالماني في تشيكوسلوفاكيا ودول البلطيق بعد استرداد ميمل والى الحملة العنيفة التي بدأت الصحف الالمانية تشنها على بولندا . وزاد في القلق ان علم ان إيطاليا حذت حذو المانيا فأقدمت في ٧ ابريل ١٩٣٩ على استباحة ألبانيا

فبذلت محاولة أخرى لحمل روسيا على تأدية قسطها نحو تعزيز جبهة السلام على أساس اعلان ضمان من جانبها لسلامة رومانيا وبولندا . ولكنها كانت تخشى ان يفضي بها عهد من هذا القبيل الى محاربة المانيا وحدها اذا وقع اعتداء على إحدى هاتين الدولتين فطالبت بعقد محالفة ثلاثية دفاعية بين روسيا وبريطانيا وفرنسا يؤيدها اتفاق عسكري وضمان لسلامة الدول المجاورة لروسيا على بحر البلطيق والبحر الاسود

أقترحت روسيا هذا الاقتراح في ١٧ ابريل . ولم تمهد السبل لرد بريطانيا عليه قبل انقضاء شهر من الزمان حدث في خلاله حادث كبير الشأن في روسيا وهو استقالة لتفنوف من وزارة الخارجية وحلول مولوتوف رئيس تومسيرية الشعب (رئيس الوزارة) محله فيها . وأفضى هذا الحادث الى تساؤل كثير . هل يعني ان روسيا ستنحرف عن سياسة السلامة الاجماعية التي كان لتفنوف من أشد انصارها وأكبر الدعاة اليها وترتد الى عزلتها ، او هل تبدو في الافق اروسي نزعة الى الاتفاق مع هتلر

واشتدت حملة الصحف الالمانية على بولندا في صدد مسألتي دانتزج والممر البولندي . فصار لا بدَّ من استخدام المهم لانشاء جبهة السلام وتعزيزها . فبدأت المفاوضات مع روسيا لعقد الميثاق الثلاثي ، وطالت المفاوضة ونتيجتها معلقة في الميزان . ولكن الناس تفاءلوا خيراً عند ما علموا أن بعثة عسكرية بريطانية فرنسية ذاهبة الى موسكو لبحث التفصيلات العسكرية

ولكن لم تنقض ايام على حبوطها حتى بدا لروجاها ان هناك عقبات كبيرة دون الاتفاق أهمها ما طالبت به روسيا من ضمان بريطاني لسلامة فنلندا وأستونيا ولتيا ولكن الدول نفسها أبت ان تقبل ضمان أحد وأعلنت ذلك . وبريطانيا أبت أن تفرض عليها ضمانها فرضاً . واذا نظرنا الى هذه الناحية على ضوء ما حدث بعدئذ نرى وسعنا ان نقول ان بريطانيا وفرنسا أبتا المساومة على استقلال هذه الدول

وكانت هناك عقبة أخرى وهي مسألة دخول الجيوش الروسية بولندا اذا احتاجت بولندا الى العون العسكري فروسيا أصرّت على ان يتاح لها ذلك . وبولندا أبتهُ قائلةً ان ما تحتاج اليه هو السلاح والمواد الحربية لا الجنود فعندنا كفايتنا منهم . قالت ذلك ومبعث خوفها الاول انتشار الدعاية الشيوعية بدخول الجيوش الحمراء بلادها

٢ — البيان الروسي الدعائي

في الاسبوع الثالث من أغسطس لاح للمتتبع الحالة ان المفاوضات بين روسيا والدمقراطيتين الغربيتين قد بلغت مأزقاً خطيراً . واذ الناس يفكرون في طريق الخروج من هذا المأزق طلعت عليهم الصحف بأنباء الاتفاق على عقد ميثاق عدم اعتداء بين روسيا والمانيا وكان ذلك في ٢١ أغسطس . وفي ٢٣ منهُ سافر ريبنتروب وخبراء وزارة الخارجية الالمانية الى موسكو لانهاء المفاوضة في شروطه وتوقيعه . وقد وقع فعلاً في يوم ٢٤ أغسطس

وظنّ أولاً ان بريطانيا وفرنسا أخذتا على غرّة بهذا الاتفاق . والواقع ان الحكومتين كانتا عالمتين بما يدور في الخفاء بل ان السر نيل هندرسن سفير بريطانيا في برلين نبه حكومته الى ذلك في ١٥ اغسطس في إحدى رسائله الى وزير الخارجية إذ قال أن البارون فون فيساكر صرّح لهُ بأنهُ « من المحتمل ان تشترك روسيا السوفياتية في اقتسام الغنائم البولندية »

وكان الرأي أولاً أن روسيا قد تنص في شروط الاتفاق على شرط خاص يمكنها من القيام بما يجب عليها اذا قامت المانيا باعتداء على دولة أخرى ، وهو شرط جرت على تضمينه جميع مواثيق عدم الاعتداء التي عقدتها قبلاً . فلما نشرت نصوص الاتفاق ظهر ان روسيا لم تشترط مثل هذا النص

أما من ناحية بريطانيا ، فقد كتب تشمبرلين الى هتلر في ٢٢ أغسطس قبل سفر ريبنتروب الى موسكو يحذره من الخطإ بأن هذا الاتفاق مع روسيا سيحمل بريطانيا على النكوص عن النهوض بعهدها لبولندا . وفي ٢٤ اغسطس ألقى تشمبرلين في مجلس النواب البريطاني خطبة راجع فيها الحالة وصرّح بأن بريطانيا ستنهض بعهدها لبولندا اذا كانت هدفاً لاعتداء المانيا .

وفوز تصريح تشمبرلين بالتأييد التام من الرأي العام البريطاني. وجرت فرنسا مجرى بريطانيا في ذلك

قضى عقد الميثاق السوفياتي الالماني على المساعي المبذولة لانشاء كتلة كبيرة مقاومة للاعتداء وفصم عرى الميثاق الفرنسي السوفياتي. وفسّره بعضهم بأنهُ نداء الى المانيا بان تغزو بولندا. فلما ثبت ان المساعي المبذولة لصون السلام أخفقت أقدمت بريطانيا على تعزيز وسائل دفاعها. وهزَّ التأُ فرنسا فقام تتوانّ. فما انقضى يومان على توقيع الميثاق حتى حشدت الحكومة الفرنسية نصف مليون من جنودها الشبان في حصون خط ماجينو وبسطت ادارتها على مصانع الذخائر. وتفاوض المسيو دالاديه مع رجال وزارته وأقطاب فرنسا العسكريين فانتهى الى دعوة المسيو «نجار» سفير فرنسا في موسكو. فنهض الدليل في بريطانيا وفرنسا على انهما عازمتان على الوقوف في جانب بولندا وفقاً لعهدهما لها

اما بولندا فاستقبلت التأ رابطة الجأش. كانت الجيوش الالمانية تحتشد على حدودها الجنوبية والشمالية ولكن رجالها قالوا انهم لم يدخلوا في حسابهم الاعتماد على عون من روسيا لمواجهة الغزو الالماني، وأشار أقطابها العسكريون الى ان مسألة الدفاع عنها ليست مسألة عدد الرجال فعندها كفايتها منهم وانما هي مسألة تموين رجالها ولا سيما في تلك المقاطعات البولندية التي تقل فيها وسائل النقل الحديث. لا ريب في ان العون الذي تستطيع ان تبذلهُ روسيا لبولندا في السلاح الجوي مرغوبٌ فيه ولكن نظام المواصلات الروسية على حدود بولندا الروسية لا يكفي للنهوض بما يطلب منهُ لتموين الجيش البولندي وحده، دع عنك اذا انضمَّ اليه فريق من الجيش الروسي فزاد عدد الجنود الذين يجب تموينهم. وكذلك استعدت بولندا لمواجهة الخطر وحدها فبدأت جانباً من قواتها ولبثت تنتظر

٣ — تأثيره في المانيا وروسيا

كان الرجع الاول لعقد الميثاق السوفياتي النازي في الامتين الروسية والالمانية رجع تعيُّر فاستقبلتهُ المانيا أولاً بحماسة ثم بشعور الحيرة عند ما ثبت لها ان بريطانيا وفرنسا عازمتان على الوقوف في جانب بولندا سواء أعقدت المانيا ميثاقاً مع روسيا أم لم تعقد

صدم النازيون الذين لم يسمعوا مدى ست سنوات الا ان روسيا هي عدوُّهم اللدود ولكنهم اغتبطوا عند ما أدركوا ان ما قيل لهم عن حبوط خطة « الاحداق » بالمانيا. وانهُ اذا اضطرَّت المانيا ان تحارب لتستردَّ « حقوقها » فليس لها إلاَّ أن تحارب في ميدان واحد وهو الميدان البولندي. وذهب بعضهم الى القول في تسويغ هذا الميثاق ان عقدهُ يرهب « التشيك » فيخلدون الى السكينة. ومن هنا بدأت الصحف الالمانية تبيّن أن « محور برلين روما » غدا لا يتأثر بالحصر البحري. ولكن الطبقة المتوسطة في المانيا لم تشارك الدوائر الاخرى حماستها

وغطها لأن بدأت تسأل نفسها : ألم يقنع هتلر بعقد هذا الميثاق ابواب المانيا للشيوعية

ومضى الاسبوع نحو ختامه وبدا لجميع متتبعي الحالة الدولية ان عقد الميثاق لن يثني بريطانيا وفرنسا عن التدخل اذا هوجمت بولندا ، وأخذت المخاوف تتسرب الى صدور فريق كبير من الالمانيين . فقد بدأت الحكومة في تعبئة الجيش وها هي ذا المقاهي والمطاعم مقفرة من مرتاديها . وبعد ما أصدر هتلر امراً بالغاء الاحتفال بموقعة تانبرج — وهي المعركة التي انتصر فيها الجيش الالماني بقيادة هندنبرج على الروس في الحرب الماضية — عاد الى برلين منصباً شاحب الوجه فلم يلق في الشوارع الجماهير الغفيرة التي اعتادت استقباله والهتاف لهُ

أما في روسيا فليس لجمهور الشعب صوت في توجيه السياسة الخارجية ولكن الكرملين أدرك أنهُ لا بدَّ له ، بعد ما قضى سنوات وهو يحرك عداء الشعب للخطر النازي ، من تفسير ما حدث وتسويغه . فكتب فوميسير الحربية المارشال فوروشيلوف مقالاً في جريدة الاسشتيا انكر فيها ان المفاوضات مع بريطانيا وفرنسا حبطت لعقد ميثاق عدم الاعتداء السوفياتي الالماني وأشار الى ان المباحثات اعترضتها صعوبات لم تذلل . ثم اضاف الى ما تقدم ان بولندا أبت ان تسمح للجيوش الروسية بدخول ارضها وأيد طلب روسيا الخاص بالسماح لجيوشها بدخول بولندا اذا اقتضت الحاجة بقوله ان الجيوش البريطانية والاميركية كانت عاجزة في الحرب الماضية عن مساعدة فرنسا بغير السماح لها بالقتال في ارض فرنسية . واذاع رئيس القومسارية وفوميسير الخارجية مولوتوف بياناً يحتوي على المعنى نفسه عند ما خطب في المجلس السوفياتي الاعلى في ٣١ اغسطس وهو يوم ابرام الميثاق مع المانيا . ثم زعم ان بريطانيا وفرنسا لا تنظران بعين الرضى الى ميثاق ما من شأنهِ ان يعزز مقام روسيا وانهما كانتا تؤيدان موقف بولندا . ثم ختم قولهُ بأن عقد الميثاق السوفيتي الالماني في مصلحة المانيا والاتحاد السوفيتي معاً وأنهُ لذلك في مصلحة روسيا

٤ — تأثيره في سياسات المانيا

ولكن حزم بريطانيا وفرنسا ورباطة جأش بولندا اثبتا فساد زعم الهر فون روبنتروب بأن عقد هذا الميثاق يثني الحلفاء عن عون بولندا فتضطر الى التسليم بطلبات المانيا في دانتزج والجاز البولندي . ويضاف الى هذا ان وقع الميثاق نفسه في اليابان وايطاليا لم يكن وقعاً طيباً . فكان رأي اليابان ان عقد ميثاق مع ألدّ عدو للكتلة المقاومة الشيوعية كان امتهاناً لكرامتها . فرفع البارون هيرانوما رئيس الوزارة استقالتهُ الى الامبراطور مع أنهُ اختير رئيساً لها في يناير ١٩٣٩ لما اشتهر بهِ من ميل ذئبي . فحل محله السياسي المحافظ نوبوكي آبي بعد ان عقد عليه الأمل لخروج باليابان من هذا المأزق على ان يتبع خطة حازمة في الصين ويتخلى عن مطامع اليابان العالمية .

ترحيب بريطانيا بأي طرق من الفتور الى العلاقات اليابانية الالمانية لاعتقادها انهُ يزيل باعثاً من بواعث النزاع بين اليابان وبريطانيا في الشرق الأقصى

أما إيطاليا فاستقبلت بأبلغ ميثاق بقول الصحف قولاً موحًى به من الدوائر الرسمية مؤداهُ « سلام على خطة الأحداق »، ويذهب بعض الكتّاب الايطاليين الى القول بأن الفاشية نظرية اجتماعية سياسية تقوم على مصالح البلاد، وأنهم لا يرون مانعاً يمنع إيطاليا من السير جنباً الى جنب مع روسيا، وحذرت بولندا من سوء العاقبة اذا هي لم تتفق مع المانيا

ولكن هذه الحماسة في استقبال نبأ الميثاق ما لبثت حتى خمدت او فترت على الأقل. فأسبانيا الكاثوليكية — وعناية إيطاليا بها معروفة — أعربت حالاً عن عدائها للتعاون مع روسيا

كانت طائفة كبيرة من الدوائر الاسبانية الرفيعة المقام تخشى — قبل عقد الميثاق — ان تضطر أسبانيا اضطراراً الى خوض الحرب في جانب المانيا وايطاليا وفاء لما بذلتاهُ لها من عون في الحرب الاهلية. فلما عقد الميثاق السوفيتي الروسي رأت هذه الدوائر في عقده مخرجاً لها من مأزقها. فأسبانيا الوطنية لا يسعها ان تحارب في صف واحد مع الشيوعيين الذين حاولوا طويلاً اخماد انفاسها الوطنية، فجعل الجنرال فرانكو تعبئة الجيش وسارع الى انباء فرنسا بأنهُ ملتزم الحياد

ثم هناك عامل آخر خطير الشأن كان لهُ تأثير في موقف إيطاليا وهو استنكار قداسة البابا وكاثوليك إيطاليا — وسعظم إيطاليا كاثوليك — للنظم السوفياتية ومبادئها. فلما انضم الى هذين العاملين حزم الحلفاء اتصل السفير موسوليني بالمر هتلر قصد وقف الكارثة قبل حلولها. فلما أخفق التزم الحياد او امتنع عن خوض القتال

٥ — في الدول المحايدة

ولم يقتصر تأثير الميثاق على تفتير شركات المانيا وصديقاتها بل تعدّاه الى الدول المحايدة فأثار مخاوفها وشكوكها لأنها شعرت بأنها غدت معرضة لخطر روسيا والمانيا المشترك. وشذّت بلغاريا على جميع الدول المحايدة في الترحيب بعقده لان بعض دوائر اليسار فيها رأت فيها شعاع أمل لتدخل روسيا في سبيل شقيقتها الصغيرة — بلغاريا — لتحقيق ما لها من طلبات في دوبرجه الرومانية. وأما تركيا فظلت متيقظة على ولائها لصداقتها مع بريطانيا على الرغم مما بذلتهُ المانيا من سعي وضغط للفوز عن طريق الميثاق الجديد بامتيازات اقتصادية وسياسية منها، وسارعت دول البلقان وأوربا الوسطى الى تسوية ما فيها من مشكلات داخلية تعزيزاً للوحدة القومية وتأهباً لمقاومة كل تسلل من أية جهة أتاها

ولكن دول البلطيق وفنلندا كانت في موقف حرج، ففي لتفيا واستونيا كان الشعب يكره

الألمان لأن الاشراف الالمان (الباروناث) كانوا يملكون معظم الأراضي عندما كانت هاتان الدولتان تابعتين لروسيا قبل الحرب الماضية ، وكانوا يستبدون بالفلاحين . ولكن باعث الخوف الاول في فنلندا ودول البلطيق كان مردّه الى اصرار روسيا على ضمان سلامة هذه البلدان في أثناء مفاوضات بريطانيا وفرنسا وروسيا في موسكو قبل عقد الميثاق السوفياتي النازي . فداخلهم الريب في أن هذا الاصرار من قبل روسيا انما هو عذر تتوسل به الى التدخل في شؤونها قصد أخضاعها للسيطرة الروسية . ولذلك تساءلوا عند ما جاءهم بأ الميثاق الجديد هل من مقتضياته اجلاء الفيود الالماني عن سواحل البلطيق الشرقية الجنوبية لأنهُ اذا صحّ ذلك فمعناه ان هذه الدول واقعة لا محالة فريسة للمطامع الروسية الاقتصادية والسياسية

على الرغم من هذه الحيرة والريبة اللتين أثارهما الميثاق الجديد في المانيا وروسيا واليابان وايطاليا واسبانيا ومعظم الدول المحايدة ، كانت حيرة دوائر اليسار في سائر الدول أعظم . ذلك ان هذه الدوائر كانت تنظر بعين العطف والرجاء الى التجربة الاجتماعية السوفياتية عاقدة الأمل بنجاحها لانشاء فردوس عالمي . فما اذيعت انباء الميثاق بين الشيوعية والنازية ، حتى انقسمت هذه الدوائر وتفرق رأيها . وغلب الظن ان روسيا فقدت بسلها اعظم جانب من التأييد الادبي الذي كانت تتمتع به في شتى الامم ، وان ما فقدته من هذا القبيل أعظم شأناً مما ربحتهُ بتفكيك أوصال الكتلة المقاومة للشيوعية

كانت مخاوف دول البلطيق من تأثير الميثاق الشيوعي النازي في محلها . ولكن بولندا كانت الدولة الاولى التي تأثرت تأثراً عمليًّا بنتيجته . فما انقضت ستة عشر يوماً على غزوة الجيوش الالمانية لبولندا حتى شرعت جيوش روسيا في غزوتها كذلك فانهار الدفاع البولندي أتم انهيار

٦ — روسيا ودول البلطيق

وما كادت تسوّى المسألة البولندية بين المانيا وروسيا باقتسام الغنائم حتى وجهت روسيا عنايتها الى جاراتها الصغيرات وشاءت الأساليب الهتلرية بدعوتها وزراءه خارجية دول البلطيق الى موسكو للمفاوضة معهم او بالحري للاملاء عليهم . فذهب كاريل سلتز وزير خارجية استونيا الى موسكو في ٢٤ سبتمبر . وفي يوم ٢٨ سبتمبر عقد ميثاق للتعاون لتبادل التجارة بين الاتحاد السوفيتي واستونيا فازت روسيا بمقتضاه بحق انشاء قواعد بحرية وجوية في الجزيرتين الاستونيتين سارما وهيوما وثغر بلطسكي . ومنحت استونيا حقوقاً للنقل التجاري بسكك روسيا الحديدية وطرقها المائية الى مورمانسك وميناءه البحر الاسود

بهذا الميثاق نظمت روسيا اوصال معاهدة التعاون المتبادل بين استونيا ولتنيا . وفازت بالسيطرة

على مواقع حربية خطيرة في استونيا تجعل مقاومة استونيا لها — اذا شاءت ذلك — متعذرة وبغير جدوى ، واستوثقت من بسط سلطانها على مداخل خليج فنلندا من ناحيته الجنوبية فعزّزت بذلك منعة قاعدتها البحرية كرونستاد . ثم فازت اخيراً بحق الارتفاق في مرافىء باطيتية لا يغطي مياهها الجمد في اشهر الشتاء

وتلت لتفيا استونيا . فذهب وزير خارجيتها مونتزر الى موسكو وعلم بقواعد الاتفاق الروسي الاستوني فأدرك ان مقاومة استونيا ولتفيا المشتركة لروسيا غدت متعذرة . فكان لا مفرّ لهُ من الاذعان . ولذلك عقدت لتفيا مع روسيا — كما فعلت استونيا قبلها — ميثاق تعاون متبادل تعهّدت فيه الدولتان بالتعاون العام (ومنهُ التعاون الحربي) في حالة هجوم مباشر او تهديد بهجوم على احداهما من قبل دولة اوربية . ومنحت لتفيا الاتحاد السوفيتي حق انشاء قواعد بحرية في لياو وفنداو ومطارات متعددة وقواعد للمدافع على السواحل

ثم فرضت روسيا على لتوانيا شروطاً من هذا القبيل . ولكنها عوضتها برد ّها مدينة ڤلنا اليها وكان احد الفواد اليونديين قد احتلها سنة ١٩٢٣ وبقيت في حوزة بولندا

ظنت المانيا بعد غزوة بولندا انها حققت اغراضها القريبة ولكن لم يبدُ في عواصم الحلفاء رغبة ما في الاذعان لمجرد كون العدوان صحح مرة اخرى . فالتفتت المانيا في حيرتها الى روسيا وطلبت ان تبذر روسيا نفوذها وضغطها على الحلفاء لوقف الحرب وذلك لقاء ما تخلت عنهُ المانيا برغمها او اختيارها لروسيا من امتيازات في بولندا ودول البلطيق

وفي ٢٧ سبتمبر سافر ريبنتروب ثانية الى موسكو فاستقبل بحفاوة أعظم من الحفاوة التي استقبل بها في ٢٣ اغسطس ، واشترك في هذه المفاوضات ستالين وشكفارسفيت — سفير روسيا في برلين — من الناحية الروسية ، وفون ريبنتروب وشولنبرج — سفير المانيا في موسكو — من الناحية الالمانية . فأفضت الى عقد معاهدة الصداقة والحدود بين الاتحاد السوفيتي والمانيا . وبها عينت الحدود بين روسيا والمانيا في بولندا وأقرّ مبدأ الامتناع عن قبول تدخل ما من فريق ثالث في مسألة هذه الحدود . وألحق بالمعاهدة تصريح مشترك يلوم بريطانيا وفرنسا على استمرار الحرب . واحتوت الرسائل التي تبادلها الفريقان عند توقيع المعاهدة نصوصاً على تعاون اقتصادي واسع النطاق بينهما

واذا حصرنا النظر في المرحلة الاولى من الحرب العالمية الثانية فلا بدَّ من القول بأن كفة روسيا كانت الراجحة في علاقتها الجديدة مع المانيا لانها فازت بحصة كبيرة من بولندا وأجلت النفوذ الالماني من دول البلطيق وحطمت الكتلة المقاومة للشيوعية

يوميات دولية

١ — بادروفسكي يعود الى الكفاح

. . . أغلق بادروفسكي « ثلاثة » وعاد الى ميدان الكفاح . ومن مآسي هذا الزمن ان يضطر هذا الشيخ الوقور والموسيقي المتفوق الى الانصراف مرة ثانية عن مسارح عبقريته الى الكفاح السياسي . فقد تصدره قبلاً في الحرب الماضية حتى استقلت أمته ثم ترأس الوزارة حتى استقرت شيئاً بعد الاستقلال ثم اعتزل السياسة الفعالة ونشر صفحة الفن المجيدة مرة أخرى . وها هو ذا الآن وهو يكاد يكون عاجزاً، يضطر ان يعود الى ميدان الكفاح السياسي القومي

من أيام اجتمع المجلس القومي البولندي في السفارة البولونية بباريس وانتخب بادروفسكي رئيساً له على ان تدوم رآسته مدى الحرب . وهذا المجلس استشاري ، ترجع اليه حكومة « أنجير » (اسم البلدة الفرنسية التي استقرت فيها حكومة بولندا الآن) في الحين بعد الحين لأخذ رأيه ثم توافيه دائماً بنصوص وثائقها الرسمية لتدوينها وحفظها . وهو مجلس يمثل جميع عناصر الأمة البولونية على قدر ما تسمح به ضرورات الحرب. فهو يمثل ممثلين لجميع الاحزاب البولونية والكنيسة والجيش وجماعة المشتغلين بالشؤون المالية والاقتصادية والاقلية اليهودية

واذا كان ثمة ما يفجع النفس ان يضطر هذا الشيخ الى استئناف الكفاح القومي الدامي ثانية فما يزيد في فجيعتنا ان يضطر الموسيقي وهو الذي يحلق بالنفس على أجنحة من ألحانه في جو من النشوة والنشوة ، الى القاء خطبة — كما ألقى بادروفسكي بعد انتخابه — حافلة بالحض على استمال القوة ونشر اعلام الحرب وشرع السيوف والرماح

ولكن القوة الغاشمة غلبت بولندا وغيرها لا يمكن اخراج بجاحها منها . واذا كانت صدور البولنديين تضعضع بأمل النجاة فلأن ابناءها الملحين وأبناء حلفائها الملحين مستعدون لبذل النفوس رخيصة والوقوف رقعة أخيرة في سبيل الحضارة والحياة الكريمة

فقد نقلت الينا صفحات التاريخ انباء غزوات مجتاحة لبولندا قبل الآن ولكنها لم تنقل أنباء سعي منظم دقيق التنظيم كسعي جماعة النازي الى استعباد بولندا . وتفاصيل هذه المساعي مطوية في تقارير رجال شاهدوا بأم العين ما هو حادث هناك وأذيعت من غير مصدر واحد جدير بالاحترام في الأيام الاخيرة

فالفلاحون البولنديون يحولون بقسوة متناهية الى عبيد اقطاعيين وتقتلع جذورهم من الارض التي ولدوا فيها ليخدموا اسيادهم النازيين في أراض أخرى واذا أحسن الفلاح

الالماني سامة الفلاحين البولنديين الذين أصبحوا في منزلة عبيد له عدَّ ذلك اجراماً . بل تروى حادثة واحدة على الاقل حكم فيها على فلاح الماني بالسجن لانهُ صفع لفلاح بولندي بأن يأكل معه على مائدة واحدة . وفي رواية أخرى ان نحو ثلاثمائة الف فلاح بولندي نقلوا رغماً منهم الى المانيا وفرض عليهم العمل قرضاً في سبيل غاصبيهم وعتاصي أرضهم . وهذا عمل مناقض لكل عرف دولي خاص بأسرى الحرب . وهناك ألوف او عشرات من الالوف ينقلون من منطقة الى أخرى في بولندا نفسها حيث الخصاصة وجفوة الارض والطبيعة لكي يحل محلهم مستعمرون المانيون

والامة البولندية معروفة بشدة شكيمتها وبقدرتها على الاحتفاظ بكيانها ولو ظلت خاضعة لنير اة عشرات من السنين او مئاتها . ولذلك عمد النازيون الى تشريد زعماء الفكر البولندي وتشتيتهم وسجنهم او قتلهم . لم ينج من ذلك العلماء المتازون . وما ذلك الاَّ « لتصفية » كل زعامة تستطيع ان تطلَّ برأسها او يجتمع حولها النشاط القومي البولندي في المستقبل . فالاستاذ استريخر الثقة في القانون الاوربي والاستاذ دمبسكي المؤرخ لقيا حتفهما إما في السجن وإما على أيدي الجستابو

أما المعاهد العلمية والدينية وخزائن الكتب الثمينة فتجرد الآن تجريداً منظماً من آثارها الفاخرة وأجهزتها ونفائس كتبها وتنقل الى المانيا فتترك المعاهد عارية تعنى من بناها وجهَّزها. خذ مثلاً على ذلك مكتبة «جاغيلون» في مدينة كراكو ومعهد الطبيعة المشهور في وارسو الذي انفق عليه معهد روكفلر لشراء اجهزته العلمية الدقيقة وأهدت اليه مدام كوري جرام الراديوم الذي اهدتهُ اليها نساء اميركا وحديقة الحيوانات في المدينة نفسها — جميع هذه المعاهد وغيرها جردت من أنفس ما تحوي . ويلحق بذلك جمع كل ما يمكن جمعه من المواد الفلزية كالقفال الابواب وسياجات الحديد وأجراس الكنائس وذلك لأن حكام المانيا يريدون أن يسدوا بها بعض ما يواجهونهُ من نقص في مخزونهم من الفلزات ولا يستطيعون سده بالاستيراد

وليس ما تقدم غير يسير من عشرات الأمثلة تضرب على هذا السعي الى تحويل بولندا والأمة البولندية العريقة في التاريخ والثقافة الاوربية — وهي هي التي انقذ ملكها سوبيسكي تجان بعض الامم التي تسومها العذاب الآن — الى امة مستعبدة بطريقة منظمة تنظيماً دقيقاً

فاذا لم يكن في هذا استفزاز وامتهان « لضمير الحضارة » فأين يكون ؟ (٢ فبراير ١٩٤٠)

٢ — المانيا والحرب

في اليوم الثامن من اغسطس ١٩١٤ — اي بعد انقضاء خمسة ايام على نشوب الحرب العالمية الاولى — ذهب الهر ولتر راتينو وكان من كبار رجال الصناعة الالمانية الى رئيس قسم الحرب

العام ببرلين وطلب ان يعرف منه اعدته هيئة اركان الحرب الالمانية من المعدات لضمان ما تحتاج اليه المانيا من خامات الصناعة في اثناء الحرب فتعجب الكولونل شوتز من هذا السؤال الذي يلقى عليه واعترف بصراحة ان شيئاً من هذا لم يدبر. وفي اليوم الثاني عهد الى الحر راتينو بتنظيم قسم للاشراف على ما يجب التوسل به من الوسائل لضمان الحصول على هذه الخامات. فأكب على عمله وادرك نجاحاً غير يسير فيه فلم تبدأ المانيا تشعر بنقص موادها الصناعية الا في سنة ١٩١٦

ولكن والتر راتينو اغتيل بعيد الحرب وهو وزير خارجية المانيا الجمهورية . الا ان الدرس الذي القاه على الحكومة الالمانية القيصرية لم يفت حكومة المانيا النازية

***

عمدت الحكومة النازية من بدء حكمها الى سياسة الاكتفاء على أساس مشروع السنوات الاربع فشجعت صناعات « الاعواض » الصناعية والكيميائية حتى زادت المقادير المصنوعة منها زيادة كبيرة . ففي صناعة التزوجين غدت المانيا مكتفية مستغنية عن الاستيراد وفي صناعة الزيوت وخيوط النسج والمطاط اصبح ما يصنع بالتركيب الكيميائي والاساليب الصناعية عاملاً يحسب له حساب في سد الحاجة

ولكن من المتعذر ان نجد «عوضاً» صناعيًّا للمعادن وهذه الحقيقة تبرز للعيان في المانيا خاصة لان ما يستخرج من ارضها من المعادن يسير جداً بالقياس الى ما تحتاج اليه منها . فهي أهم المواد الحربية على الاطلاق . فاذا عزّت وامتنعت تعذر صنع المدافع والغواصات والطائرات وغيرها

***

في الوسع تقسيم المعادن الحربية ثلاثة اصناف . فالصنف الاول يشتمل على الزنك والمغنيسيوم . وما يستخرج منها في النمسا وبولندا بالاضافة الى ما يستخرج في المانيا ذاتها يجعل الريخ الاكبر مستغنياً عن استيرادها من الخارج . والصنف الثاني يشمل الالومنيوم . والالومنيوم يستخرج من ركاز البوكسيت ومناجمه نادرة في المانيا نفسها ولكنها تستطيع ان تحصل على مقادير وافرة منه في هنغاريا ويوجوسلافيا ورومانيا

اما الصنف الثالث فيشمل الحديد والفلزات اللازمة لصنع اخلاط الحديد الصلبة والنحاس والرصاص والقصدير . وما يستخرج من معادن هذا الصنف في المانيا والبلدان التابعة لها لا يسدّ الا جانباً يسيراً من حاجتها فالمستخرج من مقادير فلزات الاخلاط الحديدية الصلبة ليس شيئاً مذكوراً . وما يستخرج من النحاس لا يسد الا ثمن الحاجة اليه ومن الحديد لا يسد الا ربع الحاجة اليه ومن الرصاص الا خمس الحاجة

ومما عمدت اليه الحكومة الالمانية جمع جميع الفلزات المستعملة كسياجات لحدائق الدور

واقفال الابواب وأنابيب التفاز وغير ذلك وهو ما اعتمدت عليه الحكومة المصرية الى حد ما في الحرب الماضية . وبه يفسر ما يروى عما يجمع في بولندة من اقفال الابواب واجراس الكنائس والسياجات الحديدية وغيرها . ولكنه مصدر قد قارب النفاد في المانيا ومصيره الى النفاد حتماً في البلدان الاخرى الخاضعة لها الآن

***

الى القارىء بياناً فيه شيء من التفصيل عن الحديد وبعض المعادن الاخرى . ففي سنة ١٩٣٧ استوردت المانيا نحو ٢١ مليوناً من الاطنان من ركاز الحديد . وهي تحتوي على نحو ١٠ ملايين طن من الحديد التي . ولكن فرض الحصر البحري قطع عن المانيا ٦١ في المائة من هذا الوارد. وكانت المانيا قد استوردت نحو ٩ ملايين طن من ركاز الحديد السويدي في سنة ١٩٣٨ الا ان الطريق البحري بين شمال النرويج ومصب الرين — وهو الطريق الذي كان مستعملاً لنقل الحديد السويدي الى المانيا — مقطوع الآن بفعل الحصر البحري . فالاتحاد يجب ان يتجه الى الاستيراد من نفر لوليابورج في شمال بحر البلطيق . ولكن مياه هذا البحر في الشتاء متجمدة نحو ستة اشهر في السنة ولذلك لا بد ان يقل استيراد المانيا من حديد السويد قلة تذكر . أما ما يستخرج من الحديد في المانيا نفسها فبلغ نحو ٨ ملايين طن من الركاز سنة ١٩٣٧ تحتوي على مليوني طن وثلاثة ارباع المليون من الحديد الصافي وهو أقل من ثلث ما تحتاج اليه عادة

أما التنغستين وهو من المعادن اللازمة لتقسية الصلب فاستوردت المانيا منه نحو نصف مليون طن سنة ١٩٣٨ منها ٦٠ الفاً جاءت من روسيا . وقد قطع الحصر البحري المانيا عن جميع موارد هذا المعدن الا المورد الروسي . ولكن نسبة التنغستين الصافي في الركاز الروسي اقل منها في الركازات الاخرى ولذلك يجب ان تستورد المانيا من الركاز الروسي نحو ٧٥ الف طن او اكثر قليلاً لتحل محل نصف المليون طن التي كانت تستوردها قبلاً

واستوردت المانيا كذلك في سنة ١٩٣٨ نحو مليون طن من النحاس و٢١٦ الف طن من الرصاص و٢٦٠ الف طن من الزنك و١٨ الف طن من القصدير و٤٠ آلاف طن من النيكل و١٧٦ الف طن من الكروم ومعظم موارد هذه المعادن مقطوع منها بفعل الحصر البحري وما تستطيع الفوز به منها في يوجوسلافيا واليونان وبولندا قليل جداً قليلاً من الى ما تحتاج اليه

***

ولذلك يصح القول بأن الحاجة الى هذه المعادن (معادن الصنف الثالث) من اكبر عوامل ضعف المانيا الحربي بعد ان تستنفد المقادير المخزونة منها وهي لا تعرف على وجه صحيح ولكنها على المرجح لا تزيد على ما تحتاج اليه خلال سنة على الاكثر (٦ فبراير ١٩٤٠)

٣ — بطولة الفنلنديين

في أنباء امس ان الفنلنديين « يقاتلون بحماسة تقرب من الحماسة الدينية وهي تمدهم بقوة تفوق قوة الصبر المادية... وانهُ كلما استحرَّ القتال ازداد ذلك الروح قوة » قرأت هذه الكلمات فعادت بنا الذاكرة الى المارشال فوش وكتابه « مبادىء الحرب » لأنهُ بين في كتابه هذا بل وفي كل حياته العسكرية تفوق القوة المعنوية في الحرب على القوة المادية المجردة . وقديماً قال فردريك الكبير : النصر سبيله التقدم الى الامام. فعلق على ذلك كاتب عسكري بسؤال والجواب عنهُ قال — ومن يتقدم ؟ وأجاب : « كل من يتصف ضميره ووجهه بصفات تكره الخصم على التقهقر »

ولسنا نعرف في كل ما قرأناه من أنباء الحرب الفنلندية ما يصف الفنلنديين وسر قوتهم أبلغ من هذا الوصف . ففي ضمائرهم التي تحركهم وعلى وجوههم التي يكرُّون بها على من تسوقه اليهم حكومة موسكو، ما يكره الخصم على التقهقر. فهم قوم لم يعتدوا على احد ولكن غيرهم اعتدى عليهم فوقفوا موقف الدفاع عن استقلالهم وحريتهم ووقف العالم من ورائهم مؤيداً معجباً

***

عندما بدأت الحرب الفنلندية قال المكاتب العسكري لمجلة الكتاتور الانكليزية : ان ستالين اراد هذه الحرب امتحاناً للجيش السوفياتي . فملايين الجنود والوف الدبابات والطائرات وغيرها كانت في حاجة الى الامتحان . نعم ان الكولونيل لندبرج قال في سنة ١٩٣٨ ان الطائرات الروسية لا تستطيع النهوض من الارض . وثبت في الحرب الاهلية الأسبانية ان وقف الدبابات الروسية مستطاع بقذف نابل اليد عليها . ولكن الطاغية الروسي كان مؤمناً بقوة الجيش الروسي لانهُ كان يثق بكثرة رجاله ومعداته ولو ح ان معظم الجنرالات الاجانب كانوا يشاطرونه رأيه الى حد ما . والا فما سر الميثاق السوفياتي الفرنسي في سنة ١٩٣٥ ؟

ولثبت الحرب الفنلندية فكانت تربة تلك الارض مقبرةً للآمال التي علقها بعضهم على الجيش الروسي السوفياتي وكذلك للمخاوف التي كان يثيرها في النفوس

وقد مضى الآن شهران ونصف شهر منذ شرعت روسيا في حملتها الباغية على فنلندا منيت فيها الجيوش الروسية بخذلان في أثر خذلان . هاجموا أولاً خط مانرهيم وسعوا الى أخذ حصاته فجأة من الوسط فتقدموا من مؤخرهم من شمال بحيرة لادوجا كما سعوا في الوسط الى شطر فنلندا شطرين ولكن الخطة العسكرية التي أعدها المارشال مانرهيم وقدها مكنتهُ من صد جميع الهجمات وانزال خسارة كبيرة بالعدو في الرجال والمعدات

وتجددت هجمات الروسيين بقيادة جديدة وفرق جديدة ودبابات ومدافع ضخمة . ولكن النتيجة كانت واحدة حتى الايام الاخيرة ، ففي حرب الحركة والمناورة تفوَّق عليهم الفنلنديون تفوقاً

حامياً . ودراسة الخطة التي جرى عليها القائد مارشال مارهيم الفنلندي تبين كيف كان الفنلنديون يستدرجون الروس في البحار الشرقي الى الحراج والادغال ثم يهاجمون الجناحين ويحدقون بالقوة المتقدمة فتستسلم

إلاَّ ان ميزة الروس ، هي ميزة العدد الكبير وميزة المعدات الوافرة يجب ان يحسب لها حساب . وليس من الضروري ان تتصور ملايين زاحفة على خط مارهيم . فالخط قائم في منطقة ضيقة ، البحر الى يسارها وبحيرة لادوجا الكبيرة الى يمينها . وضيق المنطقة يحول دون اشتراك قوات كبيرة العدد في القتال في وقت واحد ولكن ميزة الروس هي قدرتهم على انزال فرق جديدة لم ينهكها القتال الى الميدان فتحل محل الفرق المتعبة او التي ثغرت صفوفها بفعل مدافع الجاة

وهذه هي الميزة التي بدأت تؤثر تأثيرها في منطقة خط مارهيم المحصنة . فقد تقدم الروس بقوات عظيمة جديدة مستميتين بأكبر مدافعهم وأضخم دباباتهم ، وكان وراء هذه القوات الزاحفة قوات احتياطية معدة . وان عندما تضعف الاولى . ومضوا في تنفيذ هذه الخطة أسبوعين وهجماتهم متوالية متلاحقة كموج الجاب وكل أملهم ان يهن المدافعون ويضعفوا لقلة عددهم وتعذر أخذ قسط من الراحة بين هجمة وأخرى

ويلوح ان هذا الهجوم المؤيد بالدبابات الكبيرة واطلاق القنابل الضخمة والطائرات خطة لم يعتمد عليها الروس في بدء الامر إما لاستخفافهم بالفنلنديين واما لسوء تقديم هيئة أركان الحرب . ولا يستبعد انهم فازوا الآن بالمعاونة الفنية في استعمال هذه الاسلحة الجديدة على هذا الوجه من قبل بعض الضباط الالمانيين

وتدل آخر الاخبار ان الروس فازوا باحتلال ستة عشر مركزاً أماميًّا محصناً من الفنلنديين وذلك بعد هجوم متوال مدى اسبوعين او اكثر فاذا شاءوا اختراق خط مارهيم فأمامهم منطقة محصنة أتم تحصين — لا مجرد خط — عرضها عشرة أميال . فهل تمضي موسكو في استخدامها بما تخسره الجيوش الروسية من الرجال والمعدات وهي تعلم ان ما بقي أمامها أصعب مراساً وأعسر منالاً مما فات ؟

أما الفنلنديون فواضح في أمرهم ان الحماسة التي تحركهم في الدفاع عن بلادهم وحريتهم تجعلهم حماة غير مادين لمناطق محصنة على أحدث أساليب التحصين . فهل تغلب قوتهم المعنوية على القوة المادية الباطشة في جانب أعدائهم ؟ ومن الواضح أيضاً ان الجلد البشري له حد ينتهي عنده مهما تجمل به القوة الروحية التي لا تخور . وانهُ لمن الواجب على جميع الأمم التي تقيم وزناً لما يحارب الفنلنديون في سبيله ، ان يمدوهم بالمعونة رجالاً وسلاحاً بكل وسيلة مستطاعة وعلى اسرع وجه

(١٦ فبراير ١٩٤٠)

٤ — الغواصات : بين المحربين

ليس بين أهوال الحرب الكثيرة ما هو أشدّ هولا وأخسّ من الاعتداء على العزّل الذين تجنبوا خوضها وبذلوا طاقتهم لتحمل مكارهها صابرين . فالاعتداء عليهم نقض للاتفاقات الموضوعة بل أهم من ذلك أنه انتهاك لحرمة الشرف والشهامة والانسانية بوجه عام . اما ان تضعف امام خصمك الحقيقي فتفت سخطك وتصب جام غضبك على أعزل غير مشترك في النزاع فصفة الجبان

وليس القصد الصاق هذه الصفة بالالمانيين على اطلاق القول . ففي تاريخهم سير أبطال شجعان سفاديم وآديهم حافل بذكرهم . ولكن استراع الغواصة على ما يلوح بدّل شيئاً من فهمهم لحقيقة البطولة وما ينطوي فيها من شهامة ونجدة وخوة لأنها بطبيعتها سلاح الغدر . فشنوا في الحرب الماضية حرباً مطلقة من كل قيد على سفن المحايدين وهاهم يشنونها ثانية الآن . ولكن شاء منقلب غواصاتهم في الاولى واليه مصيرها حتماً في الثانية

***

اقرأ صفحة تاريخ الغواصات في الحرب الماضية تجدها كأنها كتبت مساء أمس (مع تغيير بعض الاسماء وتقصير المدة) عن حوادث الاشهر التي انقضت على هذه الحرب

قال كارلتون هايز استاذ التاريخ في جامعة كولومبيا في كتابه الضخم «تاريخ اوربا السياسي والاجتماعي ١٨١٥ — ١٩٢٤» ان نجاح حملة الغواصات الالمانية كان مرتبطاً بتدمير عام لسفن التجارة المتجهة الى انكلترا . ولكن كان لا بد للمحايدين ومنهم الولايات المتحدة الاميركية من الاعتراض عليها وكان من المحتمل ان ينضموا الى جانب الحلفاء اذا اغرقت سفنهم وعرض ابناؤهم لخسارة في الارواح والاموال . فكان من الواضح ان اطلاق حرب الغواصات من كل قيد عمل محفوف بالخطر

وفي ٧ مايو ١٩١٥ أغرقت الباخرة الانكليزية الكبيرة لوزيتانيا على مقربة من ساحل ارلندا الجنوبي فخسر ١٤٠٠ من المسافرين النزل أرواحهم فيها وبينهم اكثر من مائة اميركي . فاشتد غضب الاميركيين بسخطهم على المانيا وتبادلت الحكومتان الاميركية والالمانية المذكرات مدى سنة وحلت الازمة بينهما في مايو ١٩١٦ اذ تعهدت الحكومة الالمانية بأن لا تغرق سفينة تجارية ما الا بعد انذارها وضمان سلامة ركابها يُستثنى من ذلك سفينة تحاول الفرار . (وقد ضمن هذا المبدأ في بروتوكول دولي خاص بعد الحرب الماضية وافقت عليه المانيا في سنة ١٩٣٦)

ولكن الحكومة الالمانية نكثت عهدها في ٣٠ يناير ١٩١٧ وأذاعت بيانها «الوحشي» (وهذه كلة الاستاذ هايز) بأنها ستطلق حرب الغواصات من كل قيد وان هذه الغواصات

ستغرق كل سفينة تجارية تابعة لدولة تحاربها او لدولة تحايدها على السواء بغير انذار او سعي ما لضمان سلامة الركاب

فأثار هذا البيان الرأي العام الاميركي وما لبثت ان علمت الحكومة الاميركية ان الحكومة الالمانية تسعى الى عقد معاهدة تحالف مكسيك واليابان لاغرائها بمهاجمة الولايات المتحدة الاميركية بلغ سخط الاميركيين اشده فأعلنت الحرب على المانيا في ٦ ابريل ١٩١٧ وفي ٧ دسمبر على امبراطورية النمسا والمجر

ولكن حرب الغواصات انتهت الى الحبوط بعد ان انتضت من دول الحلفاء ومنها الولايات المتحدة خسائر كبيرة في السفن وركابها وبحارتها . وما أقبلت سنة ١٩١٨ حتى كانت السفن التجارية الجديدة التي تخرجها ترسانات بريطانيا واميركا اكثر واكبر تعويضاً من السفن المغرقة وادخل نظام القوافل واتقنت اساليب مكافحة الغواصات فأصبحت تصاد بعد ما كانت تصيد

هذه كلمات موجزة عن حرب الغواصات في الحرب العالمية الماضية من كتاب مؤرخ علامة. فما اشبه الليلة بالبارحة . هوذا الدكتور جوبلز يذيع على جماعة من الصحافيين بأن الريخ الثالث عزم على ان يشن على الدول المحايدة حرباً لا قيد لها ولا هوادة فيها وان الدول المحايدة التي تملك اساطيل تجارية خاصة ستكون هدفاً لغضب الالماني . والحقيقة — على ما يروي مكاتب الجرائد من زيوريخ — التي شرعوا في تنفيذها (بدلالة ايام الايام الاخيرة عن اغراق السفن المحايدة) هي تدمير الغواصات الالمانية للسفن التجارية المحايدة التي تتجرأ مع الحلفاء او يظن انها تتجر معهم . وفي بيان من وشنطن ان شكاية بلسان الحكومة الالمانية صرح بأن السفن الاميركية التي تدخل قواعد التفتيش البحري البريطانية عرضة لطرابيد الغواصات الالمانية. ويظن في وشنطن ان هذا سعي من قبل الحكومة الالمانية الى تسميم العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية والحلفاء

وكذلك نرى انه عندما ادركت الحكومة الالمانية ان نظام القوافل البحرية الدقيق سد على غواصاتها منافذ تدمير سفن الحلفاء التجارية تدميراً واسع النطاق راحت تقفي بفضل الاساليب الجديدة في مكافحة الغواصات الى اغراق خمس غواصات في خلال أسبوع واحد ، قررت توجيه عنايتها الى سفن المحايدين العزلاء تدمرها يميناً ويساراً بغير ان تقيم وزناً ما لاصل من أصول الاتفاقات المعقودة او لمبدأ من مبدأ الانسانية المجردة

واذا كانت المانيا القيصرية لم تشعر بشدة حاجتها الى سلوك هذا الطريق في الحرب الماضية الا بعد انقضاء سنتين ونصف سنة على نشوب الحرب فان لجوء الحكومة النازية اليه الآن بعد انقضاء خمسة أشهر ونصف شهر فقط على الحرب دليل على ما بلغه حكامها من الضيق واليأس

(١٧ فبراير ١٩٤٠)

مكتبة المقتطف

« المذهب البشري »

في تأليف شيلر F. C. S. Schiller

٤٠ صفحة بالفرنسية ، مستخرج من مجلة كلية الآداب — ١٩٣٩ ، تأليف عثمان امين

ان الأستاذ عثمان أمين من خيرة الشباب المصريين الذين أقبلوا على الثقافة الاوربية فأشربوها وأتقنوها ثم عادوا الى مصر للتدريس في كلية الآداب . وهذه الرسالة المكتوبة باللغة الفرنسية خير عنوان لنشاط الاستاذ أمين المتخرج في السربون باريس

وموضوع الرسالة جديد في الفلسفة العامة ، لأن شيلر وهو مؤسس « المذهب البشري » من المعاصرين [1] ، بل جديد في اللغة الفرنسية نفسها لقلة تداول اسم شيلر على أقلام ارباب الصناعة . ومما يستحق التقدير والتنويه ان مصريًا يتجه الى العناية بالفلسفة الغربية الحديثة مع المامه بالفلسفة الاسلامية . وتمتاز الرسالة بحسن التبويب واطراد المنهج ووضوح العبارة ثم الطرافة في بيان علاقة الفلسفة البشرية بما وراء الطبيعة من جهة ، وبالاخلاقيات من جهة اخرى

والفلسفة البشرية — على نحو ما بسطها ف. ك. شيلر — توسيع لمذهب «البراجماتزم» (او مذهب «الذرائع» كما ترجم بعضهم) وهو المذهب الذي دعا اليه الفيلسوف الاميركي وليم جيمس. والبراجماتزم عند جيمس يقصد به تغليب العمل على النظر ، وتقديم الفلسفة فيما لهُ اتصال بالحياة على البحث المنطقي المجرد الخالي من الآثار الفعلية . والبراجماتزم أشبه شيء بمنهج أو منحى في الدرس

---

(١) ولد ف . ك . س . شلر Ferdinand Canning Scott Schiller في انكلترا سنة ١٨٦٤ وتوفي في لوس انجلس سنة ١٩٣٧ . وكان عضواً في الاكاديمية البريطانية . وعلم الفلسفة في جامعة كاليفورنيا واشتهر منذ وقعة هذه القرن بدفاعه عن البراجماتزم وتم بعرضه نظريته في (البشرية او الانسانية) . واشترك في تحرير الموسوعة البريطانية (الطبعة الثانية ، ١٩٠١) حيث كتب مادة « براجماتزم » وأشهر كتبه « البشرية » Humanism لندن ١٩٠٣ و١٩١٢ ، و « مسائل في الاعتقاد » لندن ١٩٢٤ ، وله بعد هذا عدة مقالات في المجلات الفلسفية في انكلترا واميركا . وتجد كل هذا في رسالة الاستاذ عثمان أمين فقد صنع في آخرها ثبتاً للمصادر جاء على أتم شكل وأول فائدة

ثم هو يشتمل على نظرية في المعرفة . أما الفلسفة البشرية فنظرتها أعم وأشمل . ترحب بما وراء الطبيعة كما انها تشتق مذهباً في الاخلاقيات . وهي — عند شيخ — التنبيه الى ان المشكلة الفلسفية انما تهم كائنات انسانية تسعى الى تفهم عالم من عوالم التجارب البشرية ، وذلك بوسائل خاصة بالنفس الانسانية نفسها

وخلاصة المذهب ان المعرفة آلة للعمل ، وان الفكر غائي (نسبة الى الغاية) في صميمه . ينحو نحو المنفعة بمعناها الأوسع . وما الحقيقة الا قيمة من القيم الانسانية واختراع يراد به استعمال الاشياء . والقضية الصادقة هي المفيدة المنتجة . وليس هناك « حقيقة في ذاتها » او « حق مطلق » ، بل النجاح الفكري والعملي هو معيار الحق

وإنا لنهنيء الاستاذ عثمان أمين برسالته الطريفة ونرقب منهُ المزيد من هذه المباحث النادرة عندنا . فيها يعلو شأن الثقافة الرفيعة

وحي الرسالة

المجلد الاول ، الطبعة الاولى ، مطبعة الرسالة بالقاهرة ١٣٥٨ هـ ، ١٩٤٠ م . اثنتان و ٢٥ قرشا

للاستاذ احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة

قال الزيات : « قارئي العزيز ، اخترت لك هذه الفصول مما كتبتهُ للرسالة في ست سنين . وكان من عادتي ان أكتب الفصل منها أصيل السبت من كل أسبوع ، ثم لا أكتبهُ طوعاً لتأثير قراءة ، او تحرير فكرة ، او تخمير رأي . وانما كان أثرهُ لوحي ساعته او حديث يومه او صدى أسبوعه . فالزمن جزء منهُ متمم « لمعناه : بين ملابسته للحادث ، وبين مناسبته في التاريخ ، لذلك أعقبت كل فصل بذكر اليوم الذي كتب فيه ليتضح موضوعه بفصله وحاله . ظرفه »

هذا خير ما يوصف به هذا الكتاب . فأنت ترى أني لا أستطيع أن أزيد في صفته من حيث التأليف والتبويب ، ولكني أستطيع أن أقدم بين يدي قارئه بعض الرأي في أدب صاحبه

وأنت اذا تناولت هذا الجزء فقرأت فهرسه ، ورأيت مائة وعشرين باباً من أبواب القول قد افتتحها « الزيات » بقلمه ، وساهر رأيه ، ومهدها بحسن بيانه . ولكل باب منها غرض ، ولكل غرض أسلوب ، ولكل أسلوب لفظ يصلح عليه ولا يصلح عليه غيره . واذا كان الكتاب كذلك ، كانت المشقة فيه أعظم من مشقة التأليف المرسل الى غرض واحد لا يتميز الا بالاتجاه ، فان الغرض الواحد قلما يخرج أسرار البيان من قلب الكاتب ولسانه ، لان الأسلوب اليه قلما يختلف . فاذا اختلفت الأساليب باختلاف الاغراض محصت قدرة الكاتب على ما اعترض له وهمَّ اليه من الكتابة

فاذا أنت أخذت هذا الكتاب بين يديك وسايرتهُ فصلاً فصلاً وأسلوباً أسلوباً ، عرفت

الجهد الذي لقيهُ صاحبه في ابداعه ، ورأيت « الزيات » في كل أسلوب هو « الزيات » لا يختلف ولا يتنافر ، والكاتب اذا صار الى هذه المرتبة — حيث تراهُ هو هو مهما اختلفت الاغراض وتباينت الاساليب — فاعلم انهُ انما يشتق لك كل ما يكتبهُ من حر نفسه ، فيضيها ويهلكها مخلصاً صابراً لا يملُّ ، واذا كان الكاتب كذلك ، فهو كاتب لا يزف لك ولا يقبل الزيف ، وهو يعطيك ولا يسألك ، ويبذل لك ولا يمنُّ عليك ، ويعلمك ولا يدعي لك انهُ أعلم منك . . . ذلك بأنهُ قد بلغ من العقل والفكر والصفاء والبيان حيث يعلم انهُ ملك قارئه لا ان القارىء ملك له ؛ وانهُ مرشد لا مسيطر ، وانهُ أخوك الذي يناقلك الحديث ، وان كان بمنزلة الأب

و « الزيات » — كما عرفته من كتابته — روحٌ هادئةٌ مُكتمة مسترسلة ، يكاد يختفي في نفسه حين يفكر كأنهُ فيلسوف من فلاسفة الصين : يمشي هادئاً ويفكر ساكناً ويحاسب نفسه ولكن على التسامح والرضى والاستسلام ، فاذا أراد ان يشيد أحلامه وأفكاره وعواطفه كان هو الهادىء الساكن المتسامح ، فاذا اشتد وحمس وأراد ان يتفجر ، خيَّل اليَّ انهُ عينٌ حمَّةٌ ترسل لواذعها سيلاً ساخناً حامياً كالماء اذا غلى ثم هدأ اول هدأة لا يضرب بعضهُ في بعض . ولذلك ترى نفسه اذا نقد شديداً بالغاً ولكنهُ رفيق غير عنيف ، ولكنهُ على ذلك مما تخشى صواعقه . وهذه الروح التي وصفناها هي التي تجعل كل كلامه قطعاً مزيَّنة ناضرة محكمة مقدرة الألوان لا يختلط شيء منها بشيء ، ولا يجور لونٌ منها على لون . وهي التي تجعل كلَّ لفظةٍ مبنيَّا على الايجاز دون الاطناب ، وعلى مذهب الحكمة دون المذهب الكلامي ، واذا أردت ان تتبين كل ذلك حقيقة التبين فلا تكلف اكثر من ان تقرأ إهداء كتابه بقول لولده « رجاء » الذي احتسبهُ عند ربه في سنة ١٩٣٦

« الى روحك اللطيفة العذبة — يا ولدي رجاء — أقدم هذا الكتاب — فلولاك ما أنشأت الرسالة ، ولولا الرسالة ما أنشأتُ هذه الفصول »

فان في هذه الكلمات القلائل لوعةً مستكنَّة باقية الى يومها هذا ، ولكنها ساكنة راضية هادئةٌ لا تثورُ ولا تأجَّج ، ولكنها تسري وتدبُّ وتمشي في روحه الهوينا الهوينا

هذا سرُّ أسلوبه ، وأما أسلوبهُ وبيانهُ واقتدارهُ على عربيَّته وحُسن تصريفه لألفاظه في وجوه أغراضه ومراميه ، فالزياتُ — ولا أشكُّ — هو بقية أصحاب الأقلام العربية التي لا تُخلِّطُ ولا تتعثَّمُ من هنا وهنا — فأنت اذا قذفتَ الى كل جملةٍ من كلامه في هذا الكتاب لم تجدْ الا عربية خالصة مطاوعة ليِّنة لا يناقر حرفٌ منها حرفاً — على كثرة الأغراض التي رمى اليها واختلافها ، وعلى ظنِّ من لا يعلم ان العربية لا تطيع في التعبير

عن الضرورات الحديثة التي فرضتها علينا مدنية القرن العشرين من ميلاد المسيح

فلو أتاح الله هذه العربية من يخلص لها في معاهد التعليم على اختلاف اغراضها وانواعها، وأراد أن يردَّ على العربية شبابَ أيامها حتى تكون لغة مدنيتنا في الأدب والعلم والفن، لوجد في الذين أبادوا شبابهم بالعمل لإحياء اللسان العربيّ في هذا العصر — قوماً قد استطاعوا أن يجعلوا عربيتهم أصلاً في الحياة، اذ جعلوا الحياة أصلاً فيها، وبقية هؤلاء هو « الزيات »

عمر بن أبي ربيعة

الجزء الثاني الطبعة الاولى المطبعة الاميركانية ببيروت سنة ١٣٥٨ هـ وسنة ١٩٣٩ م
للاستاذ جبرائيل سليمان جبور

في سنة ١٩٣٥ أصدر الاستاذ جبرائيل سليمان جبور الجزء الاول من دراسته لحياة عمر بن أبي ربيعة وشعره. وخص — هذا الجزء الاول — بدراسة العصر الذي كان فيه عمر ابن ابي ربيعة، من زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى قريب من أواخر عصر الأمويين، واستوفى كل ما استخرجهُ واستنبطهُ من التاريخ الاجتماعي العربي في تلك الحقبة من الزمان. وقد كان الجهد فيه أشق مما يخيل، لان اكثر التاريخ الاجتماعي للعرب أشتات مفرقة تضرب في كل باب من أبواب العلم العربي، فتيامهُ بجميع كل شاردة، واستخلاص كل ظاهرة، واستنقاذ ما طمَّ عليه النسيان من تاريخ الاجتماع العربي الاول، جهد مضنٍ مضلٍّ، ومع ذلك فقد استطاع ان يدلي الحق في كثير مما رامه وابتغاه، وجعل ذلك تمهيداً لدراسة حياة عمر بن أبي ربيعة

ثم أصدر سنة ١٩٣٩ هذا الجزء الثاني، وقد ارصده لدراسة حياة عمر دون شعره، فهو قد خصص له الجزء الثالث — ان شاء الله —. أما هذا الجزء الذي بين أيدينا فهو دليل على ان الاستاذ « جبور » لم يألُ جهداً في استقصاء كل شيء يتعلق بابن أبي ربيعة مما رواه الرواة، وانه فوق ذلك قد اجتهد ان يستخرج من شعر عمر نفسه كل ما أمكنهُ ان يستخرجهُ ليجعله مادة لتاريخ حياته. وأنا أعلم ان استخلاص التاريخ من الشعر أشق عمل يريده من يؤلف، لأنهُ استنباط محض، والاستنباط اذا لم تضبط أصوله هوى بمرتكبه من شاهق الى عميق. وقد رأيت الاستاذ « جبور » حريصاً كل الحرص ان لا يغفل الاصول المسددة الثابتة، وكذلك استطاع ان يجعل لاستنباطه نظاماً شاملاً لاتخرج عنه النتائج التي وصل اليها

فأنت اذا قرأت الكتاب من بدئه الى ختمه، تنقلت مع عمر من مولده الى وفاته، لا تجد كداً ولا عناءً في متابعة السيرة التي صورها لك مؤلف هذا الكتاب، ولكنك ربما خالفتهُ في بعض ما يستنبطه أو ما يأخذ به من الرأي، أو ما يرده من رواية الرواة، ومع ذلك لا تستطيع ان تقول ان المؤلف قد قصَّر أو خان أو استكان الى الراحة والدعة — كعادة أكثر من يؤلف

في زماننا هذا . وليس ذلك بشيء ، فان عمر شاعر من أوائل شعراء الاسلام لم يعد الهند بينه وبين الناس ، ولم يقدم على الترجمة له ترجمة كاملة محققة — أحد قبل الأستاذ « جيور » . فهو يعمل وحده في «حفرة» التاريخ العربي لاستخراج الكنوز المدفونة تحت ركام السنين ، فان قصّر أو أجهد أو نسي فعذره عذر لا رد، وما كان من شيء فله فيه أجر. ولست كل امرىء منا — نحن العرب — يتولى تاريخ نابغة من نوابغنا ، بمثل التحقيق والاستقصاء والاخلاص في العمل ، اللواتي تولى بها الاستاذ عمله هذا

فهذا الجزء — اذا أنت قرأته — ثم قرأت شعر ابن أبي ربيعة ، كنت كالذي يصحبه ويعاشره ويحس باحساسه ويتوجه معه حيث توجه به نوازعه ، وكفى بهذا عملاً جليلاً

المحاماة قديماً وحديثاً

لعزيز بك خانكي والاستاذ جبر خانكي طبع بمطبعة المعرفة — صفحاته ٢١٠ من قطع المقتطف

هذا الكتاب الممتع الظريف هو سجل للمحاماة في مصر منذ وجودها الى اليوم . وفي الكتاب مقدمة تاريخية هامة عن المحاماة قديماً كتبها المحامي الكبير عزيز بك خانكي وتناول فيها نواحي كثيرة كالمحامين عند إنشاء المحاكم المختلطة والشرعية والاهلية ولائحتي المحامين الاولى والثانية ونقابة المحامين . وفي الكتاب فصل آخر عن « المحاماة حديثاً » نظم الاستاذ جبل تناول فيه ألواناً طريفة من التاريخ سمّاها « المحامون والوزارة » « والمحامون والحركة الوطنية » « والمحامون والسياسة » وغير ذلك . والكتاب ثبت دقيق عن المحاماة . ولاشك ان المؤلفين الفاضلين عانيا كثير جهد في تأليفه وجمع الاسماء الكثيرة الواردة فيه ، وانا أولى الناس بالشهادة لتحقيقها واهتمامها بالبحث فقد عانيت ذلك بنفسي على أثر لفتة قصيرة كتبتها في جريدة الاهرام خاصة بفصل نشر فيها من فصول الكتاب . الحق ان كل مؤرخ وكل أديب وكل محام ، وكل من تهمه النهضة الادبية الحديثة لايستطيع ان يستغني عن هذا الكتاب النفيس الظريف . م .

ديوان ماهر

للاستاذ رشدي ماهر — طبع بمطبعة مصر — صفحاته ١١٤ من القطع المتوسط

عرفت هذا الشاعر الرقيق فيما كان ينشره من شعره في الصحف والمجلات منذ أعوام خلت. ثم عرفت مقطوعاته الصغيرة التي كان ينشرها في مناسبات مختلفة . فترى من خلال سجعها الرقيق نفساً رقيقة وعاطفة قوية . وضراماً مشبوباً يخفف من لفحة روح لطيفة ونفس كنسيم الصباح ولفظ كأنه نفحة من الزهر أو قطعة من الروض

ومن العجيب ان يدفع الي محرر المقتطف الفاضل هذا الكتاب لأكتب كلمة فيه . وهو

ذلك كأنهُ يدفعني الى مخاصمة ناس أحرص دائماً على ودهم . وأعمل دائماً على كسبهم . . . ! فالناقد دائماً اذا صدق أغضب . واذا جامل أغضب . . . ولكن النفوس الكبيرة لا تضيق بالنقد ولا تتبرم بكلمة الحق مادام الدافع اليها بعيداً من الغرض منزهاً عن الهوى

وما أجمل العلامة الكبير السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي بدمشق حين كتب في عدد الهجرة من الثقافة الى ناقد كتابه (أمراء البيان) [ورجائي ان يزيدني منة له بنشر كل ما لديه من النقد على هذا السفر ليفيدني ويفيد قراء العربية . وان يتقبل أثره بعض من آتاهم الله العلم ، يتوفرون على نقد الكتب الحديثة والقديمة فالمرء لا يدرك عيوبه من نفسه في الغالب]

كان لا بدَّ لي من إيراد هذه الكلمة ها هنا لتكون شفيعي عند الذين أسعدني الحظ بالكتابة في مؤلفاتهم بالمقتطف

***

يمتاز هذا الديوان الجديد برقة الاسلوب ودقة المعنى . فهو يجري كالماء المنساب تحت الظلال لا ترى منهُ عنفاً ، ولا تحس فيه نبواً . ولا تحتاج في إدراك المعنى الى الغوص البعيد الى الاغوار . وسماحة المعنى هذه ميزة لا تتاح لكل شاعر . اسمعهُ يقول في الليل : —

هذي المروج وانت نبع حياتها وشبابها منذ السنين الاولى
صحبتك ايام الحياة وفيةً وصحبتها كلفاً بها مشغولا
هي منحة من واحتيك جزيلة ولطالما منحت يداك جزيلا

هذا الديوان طاقة أنيقة من الشعر مختلفة الزهر . ففيه الحب ممزوجاً بالحنين وفيه الزفرات مصحوبة بالأنين . وفيه (الجمال الزاهر) ، والربيع الباكر ، وفيه الوطنية الصادقة ، وفيه الدمعة الناطقة . وفيه نظرات اجتماعية كقطوعة النقيط ومقطوعة الخمر التي يقول فيها : —

ان عدلت الآن حطم كأسها تج من بؤس ويأس وعلل
ان كأس الموت أحلى شرباً من كؤوس مترعات بالحبل

حياك الله أيها الشاعر الذي خالف القائلين ان في الحبب المنار وفي الكأس التي تدار وحي الشعر وإلهام الشعراء

بقيت كلمة قد تقضب الشاعر المحبوب ديوانه من لطف . ولاشك أنهُ قرأ كثيراً من الشعر العربي وتأثر بما قرأ . وقد تبقى في حافظته بعض عبارات هي نتاج قراءته تنسل الى شعره من غير قصد . وقصيدته « ملاعب الطفولة » قد تأثر فيها بقصيدة شوقي التي مطلعها « ألا حبذا صحبة المكتب » . ووصفهُ (الحرية الحمراء) مأخوذ من قول شوقي

والحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

وقوله يا نفس لاتجزعي واستريحي فأني رأيت الحياة اغترابا

مأخوذ من قول اسماعيل باشا صبري

وحياة المرء اغتراب فإن ما ت فقد عاد سالماً للتراب

ولكن ذلك وغيره لا ينقص من قدر هذا الشاعر الرقيق العذب. فالمعاني مشتركة بين الشعراء وقد يسقط الندى من النحل على الزهرة الفياضة بالرحيق محمد عبد الغني حسن

ابحاث علم النفس

في التربية والتعليم تصنيف (شارلز سكنر) وخمسة وعشرين عالماً ومربياً ترجمه الاستاذ أدمون عبد النور ونشرته مجلة « التربية الحديثة »

من أعز مقومات الحركة الفكرية في بلادنا ما ينقله العلماء المترجمون من درر المطابع الغربية، فيرصعون به تاج اللغة العربية، ولقد زخرت نهضتنا العلمية بأنهار فياضة تمثلت في المترجمات الكثيرة في مختلف ضروب العلم والفن. ولقد كان من أعذب هذه الانهار التي فاضت الينا، سائغة، عذبة، صافية، شهية [أبحاث علم النفس في التربية والتعليم] ذلك المؤلف النفيس الذي انحدر الينا من أعرق الأصول. إذ تعهده خمسة وعشرون عالماً ومربياً من قادة النهضة الفكرية في العالم، ثم أخرجه الينا الاستاذ إدمون عبد النور تحت اشراف (قسم التربية بالجامعة الأميركية بالقاهرة). ولقد كان هذا السفر الجليل فتحاً جديداً في البيئة العربية، إذ لم تعهد من قبله كتاباً اشترك في وضعه هذا الجم الغفير من العلماء الأفذاذ وتقاسموه بينهم فكتب كل اخصائي منهم في الموضوع الذي امتاز به، واشتهر بسبقه فيه، على ما عرف عن هؤلاء المربين الأجلاء، من تمحيص للفكرة، وبحث وراء الحقيقة، واستكناه لمستور الأسرار العلمية عن تجربة وإمعان وتفكير. ولم يسعد العالم العربي قبل هذا الكتاب بمثل هذه الدراسات الرائعة الممتازة في تفصيل وافٍ، وتبويب مفصل، وبسط شامل، لأهم مبادىء علم النفس المتصلة بالتربية، وما يشاد عليها من أساليب في العلم، ودراسة لطبيعة الطفل ووجدانه، وانفعالاته ووراثته، وبيئته، ومسلكه، وتفكيره، وذكائه، ونموه، وكفايته، وعجزه.

وانهُ لمن حسن الطالع، ويمن الفأل الباسم ان يخرج هذا الكتاب في عصر تطلعت فيه البلاد الى الأخذ بيد الطفولة المتردة، والوقوف على أسرار الشذوذ والبحث في علاجه، وبحث علاقة الذكاء بارتكاب الآثام، وعلاج الحالات العامة في المجتمع، وتقويم الاعصاب التي توشك أن تميل، فنرى فيه تمثيل الداء ووصف الدواء في طلاوة وجمال وعبارة خالية من المصطلحات العلمية المتعصبة، حتى ليأنس به اولئك الذين تشوقهم الثقافة العامة، ويستهويهم حب الاطلاع ودراسة أسرار النفوس، وطبائع الانسان، وتغيرها من حال الى حال

على أن كل ما في هذا الكتاب النفيس إنما هي حقائق ، وقواعد معزَّزة بالأرقام والتجارب العلمية ، وهي نتيجة أبحاث ترجع الى أوائل القرن العشرين ساهم فيها كبار العلماء ، وألوف من مساعديهم ، وشجعهم بالمال آل وكفلر ، وكرنيجي ، ودودج ، وسيبي وغيرهم من أصحاب الملايين في أميركا ، واعضاء مجالس الأوصياء في شتى الجامعات والكليات . الكتاب يحتوي على ١٨ فصلاً في النمو الطبيعي ، والغرائز ، وكيف يتعلم الانسان ، وتعلم مواد الدراسة ، والذكاء ومقاييسه ، والشخصية ، وحفظ الصحة العقلية ، والمذاهب المختلفة في علم النفس التعليمي

ثم ذيل بمصطلحات (انكليزية عربية) في علم النفس . وصفحات الكتاب تزيد على الثلثمائة في طبع متقن وأسلوب طلي مشرق ، وترتيب جميل أخاذ مبتكر

ولن تكون تلك المميزات النادرة التي حواها هذا الكتاب وقفاً على جماعة المعلمين والمربين ولكن النفع العام ، والرغبة المصرية التي تنوب الى الكمال ، وكثرة المحبين للثقافة المتعلقين بأسبابها ، كل هذا سيفسح لذلك الكتاب الجليل آفاقاً وسيعة ، ومجالات متعددة ، وسيأخذ مكانه في مكاتب رجال القضاء والطب والاجتماعيين والمصلحين من كل طبقة وطائفة السيد شحاته

وحي الخاطر

وضع هذا الكتاب الاديب علي سعد مراد ونهج في أسلوبه نهج الشعر المنثور فجاء عذباً وسهلاً وفصيحاً وهو مفتتح بثلاث كلمات لنهضة جلالة الملك فاروق بتتويجه وزفافه وعيد ميلاده ولقد رفعت الى جلالة الملك فحازت الرضاء السامي وفي الكتاب عشرون مقالة في شؤون شتى تصف الحياة وما فيها والانسانية والحرية والبؤس والحقد وغير ذلك وصفحات الكتاب ٢٩٣ صفحة بالقطع المتوسط طبع بعناية طيبة على ورق جيد ويطلب من مكتبة النهضة بالقاهرة

حياة الظلام

قصة مصرية طريفة في يوميات — الاستاذ محمود كامل المحامي . الطبعة الرابعة . مطبعة المعارف ١٩٤٠
١٣٠ صفحة من قطع الجيب مصورة

هذه قصة يمثل فيها صراع المحيط المصري ، وذلك على أساس تناول فني منظوم بالروح الفرنسية التي تشربها المؤلف . وليس في هذا التناول غير معنى المعالجة الافرنكية . بعد ذلك فالوقائع والحوادث مصرية ، مستفادة من الحياة الواقعية التي عاشها المؤلف ، والتي أسارعها في جو خيالي حتى تجيء في قالب قصة فنية . ومن هنا يصح القول بأن الروح الافرنكية تملك على هذه القصة مداخلها وان الحياة المصرية تأخذ عليها مخارجها . وأنت يمكنك ان تلمس فيها الصراع الذي يكمن ما في المحيط المصري . فترى في شخصية « احمد علوي » الى ما تجده من التقلق في

العاطفة والتوزع في الشعور اضطراباً يحس بضروب من الحرمان الباطني والحسّي ومن هنا جاء تهافته على المرأة والحب وعلى عبدة والمدن . ثم بعد ذلك ما فيه من التشف بالمثاليات والايمان بنواحي الحياة الرفيعة التي تتسرب اليها في مسالك دقيقة نتيجة الحرمان . ثم ان كبت مشاعره واحساساته العاطفية . سوقه الى مواقف متناقضة ، هي في الواقع طبيعية في جو القصة ومن وجهة الشخصية التي خلعها عليه المؤلف . كذلك نجد هذا القلق والصراع في شخصية « زهيرة » و« بوريني » على شيء من التفاوت في الظاهر تستدعيه مواقف القصة . والواقع ان القصة تحمل وراءها دلائل ما يعانيه الكاتب من القلق في الشعور والعاطفة ، والصراع بين الواقع والمثال ، والنزاع بين الحس والعاطفة ، وهي حالة لا يعرف ان يجد الكاتب مخرجاً منها ، فانتهت به الى تصوره الجنون لبطل قصته « احمد علوي » . من هنا نرى ان معظم النقد الذي وجه الى هذه القصة عند اخراجها سينمائياً لا يعني شيئاً في الواقع بالنسبة لمؤلفها ، فالتصرف في الاخراج ، هو الذي أخرج القصة عن جوها ، وأبعدها عن عالم الواقع الذي تعيش فيه وتجيء منه

وقد أصابت هذه القصة نصيباً وافراً من الرواج والانتشار فقد أخرجت اخراجاً سينمائياً ثم ترجمت الى الفرنسية والالمانية والترجمة الفرنسية التي قام بها الأديب فولاذ يكن تنشر هذه الايام تباعاً في الجورنال دبجيت — La Vie des Ombres — وأرجو ان أتمكن من دراسة هذه القصة دراسة مفصّلة في بحث جديد أعده في الادب العربي المعاصر فهي خليقة بالنظر والدرس

الاسكندرية اسماعيل احمد أدهم

في الحجاز

اشتهر السيد محي الدين رضا بالدعاية للحج والعمل على ترغيب القادرين في اداء هذه الفريضة فهو يغتنم كل فرصة لبث هذه الدعاية بمقالاته التي ينشرها في المقتطف والصحف الاخرى وهو يعنى من وقت لآخر باصدار الكتب والنشرات لهذا الغرض الذي جعله نصب عينيه وكتابه هذا «في الحجاز» مزج فيه هذه الدعاية بفصول تاريخية بديعة سجل فيها حب الحجازيين لجلالة الملك فاروق لما امتاز به جلالته من التدين والصلاح والتقوى فوصف ما يتردد في مدن الحجاز من ذكر جلالته العطر ، ووصف جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وبطولته وكيف استرد ملك آبائه الذي فقد منهم ومنزلته في العالمين الاوربي والعربي وحب المسلمين لجلالته ومنزلة صاحبي السمو ولي عهده ونائبه وكبار رجال دولته . فالكتاب صفحة وطنية عصرية نبيلة تغري القارىء بالاسترسال في القراءة وهو يقع في ١٢٩ صفحة بقطع المقتطف ازدان بصور الذين تحدث عنهم المؤلف وثمنه ٥ قروش ويطلب من مكاتب الهلال والنهضة والخانجي ومكتبة الحاج مصطفى محمد بمصر

باب الأخبار العلمية

الالم : حاسة سادسة

بطء سيره في الياف الاعصاب

من غرائب الحقائق ان الالم يسير في الجسم سيراً أبطأ من سير الاحساسات الاخرى فقد أسفرت تجارب جربها الباحث هنري پيرون في السوربون عن ان احساس اللمس ينتقل من الجلد الى الدماغ بسرعة ٤٠ متراً في الثانية حالة ان سرعة انتقال الشعور بوخزة دبوس تبلغ ١٦ متراً في الثانية وسرعة انتقال الشعور بقرصة ١٢ متراً في الثانية وسرعة انتقال الشعور بحرق ٤ امتار في الثانية

ويلوح ان الألم حس سادس لهُ اطراف أعصاب خاصة به كما اختصت الحبيبات والخروطات في شبكية العين بالتأثر بالضوء . ولهُ كذلك ألياف عصبية تخصصت لنقل الالم كما تخصصت ألياف عصب البصر لنقل المرئيات

ان ضغطاً قليلاً على اليد يشعرك باللمس . فاذا ازداد الضغط تحول الشعور الى شعور بالالم . وان قطعة من الجمد تحدث أولاً شعور باللمس فشعور البرد فشعور الالم. ولكن الضغط الذي يبلغ مرتبة الالم لشدته ينقل على ألياف عصبية غير الالياف التي ينتقل عليها شعور الضغط الذي لا يجاوز شعور اللمس لخفته ، وكذلك الشعور ببرد الجمد ينتقل على ألياف عصبية غير التي ينتقل عليها الشعور بالالم من وجود الجمد ملاصقاً للجلد

وقد اعتمد الباحثون على الكوكايين في دراسة قوام الاعصاب من حيث تخصص الياف معينة منها لنقل احساسات متباينة . فثبت ان الاحساس الاول الذي يفقد هو احساس الالم (وهذا واضح عندما يحقن طبيب الاسنان اللثة بالنوفوكايين فيزول الشعور بألم الوخز ولكن الاحساس بضغط اصبع الطبيب على اللثة يبقى). فاذا شرّح العصب بعد ذلك حالاً ظهر ان ادق الالياف هي المشبعة بالكوكايين . ثم بعد قليل عند ما يتاح للمخدر النفوذ الى الياف اخرى يزول الشعور بالبرد والحرارة . ثم بعد ذلك يزول الشعور باللمس . وبالمقابلة والتشريح ظهر ان الالياف المختصة بنقل احساس اللمس هي أكثف الالياف

وقد حاول العلماء رسم خارطة للجسم البشري يبينون في كل موقع من سطحه ما فيه من اطراف اعصاب وما يختص به كل منها لنقل هذا الاحساس او ذاك . فوجدوا ان توزيع هذه الاطراف ليس متساوياً . فليس في قرنية العين اطراف اعصاب تحسُّ بالبرد او اخرى تحس باللمس ولكنها حافلة باطراف اعصاب تحسُّ بالالم . يقابل هذا ان في باطن الجلد بقعة تقابل القرص الثاني ليس فيها اطراف أعصاب تحس بالالم، مع انها تحتوي على اطراف

القس والبرد والحر . ويقول هؤلاء الباحثون أن عدد المراكز او النقط على سطح جسم الانسان التي تحس بالدفء يبلغ ١٦ الفاً والتي تحس بالبرد ١٥٠ الفاً والتي تحس بالقس ٥٠٠ الف والتي تحس بالالم تفوق الاخرى مجموعة اذ تتكاثر من ثلاثة ملايين الى اربعة ملايين

فول الصويا او البسلة الصينية

وزراعته في مصر

وصفت هذا الفول في مقتطف يونية سنة ١٩٣٨ ثم قرأت فيها ورد علي حديثاً من المصادر الانكليزية والاميركية اخباراً جديدة مفيدة بشأنه فرأيت نشرها للقراء استيفاء للموضوع

يدخل الآن فول الصويا في غذاء الجندي الالماني وهو أعجب بقول السالم . ولما كانت الصين بلاداً يتغذى اهلها بالخضر والبقول فقد اتخذوه طعاماً لهم منذ خمسة آلاف سنة إذ تبينوا جليل قيمته الغذائي ، بحيث يمكن الاستغناء به استغناء تاماً عن اللحوم . ويستعمله الصينيون بديلاً للبيض والجبن والحليب . ومنه يستخرج اليابانيون والصينيون لبناً وجبناً ويزعمون ان الدهن الذي يحويه فول الصويا اسهل هضماً من الزبد الطبيعي . وتستخرج منه ايضاً مواد كثيرة ، منها الدقيق والزيد والشمع والغراء والمداد وتستعمل نفايته في صنع مشمعات الارض ، وسماداً للزرع . ويرى خبراء الزراعة البريطانيون امكان زرعه في ارض ايفربول حيث يتسنى أن تجنى كل زرعة منه أربع مرات

واعظم منافعه الصناعية ادخاله في الطلاء (البوية) اذ يمزج بزيت جوز التيج tung oil فيناقس سائر الزيوت المستعملة في الطلاء وقد حضر الاميركيون منه صوفاً صناعياً فصارت شركات المصنوعات البنية تجد في الصويا منافساً قوياً لها في مصنوعاتها التي قوامها الجبن — ومما لاشك فيه ان شركة هنري فورد تجني كل سنة ارباحاً كثيرة من البسلة الصينية اذ هي تركب منها دهاناً مائياً جديداً قوامه بروتين الصويا

ووجد زراع الصويا الاميركيون منفذاً جديداً لتصريف محصولاتهم وذلك في صناعة الحامض الدهنيك والجليسرين بطريقة مزج زيت الصويا بالهيدروجين . وسيستمر استعمال الصويا في الحاجات الصناعية في ازدياد ، وقد عرضت جميعها في معرض نيويورك العالمي

وتربى مساحة الاراضي الاميركية التي تزرع سنوياً فول الصويا على سبعة ملايين فدان وقد بذل الزراع مجهودات شتى حتى تمكنوا من زراعته في شتى الاحوال الجوية وفي اصناف التربة المتباينة ثم أخذوا يجربون استنبات انواع جديدة من الصويا تصلح للغذاء واستخراج الزيت وتنفع في العلف وتثبيت النتروجين وغير ذلك

وقبل سنة ١٩٣٥ كانت مساحة الأراضي الاميركية التي زرعت فول صويا ٥٠٠٠٠٠٠ فدان أنتجت أربعين مليوناً من البوشلات (البوشل Bushel مكيال للحبوب = ٨ جالونات) باعها منتجوها بمبلغ خمسة وثلاثين مليوناً من الريالات . وفي اكتوبر سنة ١٩٣٦ قرر

مجلس التجارة في ولاية شيكاغو ان فول الصويا يزن الجويدار والشعير في الثمن وتستفيد منهُ مقادير كبيرة في العلف . ومن خواصه انهُ يقوي الاراضي الضعيفة بحيث اذا حرثت الارض بعد حصده وزرعت فيها الحنطة زكت وزاد محصول الفدان ستة بوشلات . وكل طن من فول الصويا الجاف ينتج ١٦٠٠ رطل من العلف الصالح للخيل والماشية والغنم والخنازير وثلاثين جالوناً من الزيت . وكان الاقبال على زيت فول الصويا مشجعاً للزراع على توسيع نطاق زراعته في أميركا . ومن الحقائق المدهشة أن الصناعة كانت في بدء الأمر هي الباعث الأقوى على رواج زيت الصويا إذ لم يكن وقتئذٍ مستعملاً في الطعام . أما في أيامنا هذه فيستفاد منهُ جانب كبير في الغذاء ، يفوق ما تستهلكه الصناعة وغيرها . وقد استعانت به مصانع الزبدة الاميركية عن زيت جوز الهند في صنع الزبدة الصناعية (المرجرين) فأسفر ذلك عن زيادة ما يستهلك هناك من المرجرين من سبعة آلاف رطل في سنة ١٩٣٣ الى ٤٠ مليوناً من الاوطال في سنة ١٩٣٨ . ويستفيد الاميركيون عدا ذلك ١٢٤ مليوناً من الارطال من الزيوت الاخرى المختلفة الانواع في تركيب الاغذية

فول الصويا في مصر

وبعد كتابة ما تقدم نشرت جريدة المقطم في ٢٥ يناير سنة ١٩٤٠ و٢ فبراير سنة ١٩٤٠ البشرى التالية وهي التي حكنا نرقبها منذ نشر مقالنا الاول على فول الصويا — وجربت وزارة الزراعة ، زراعة فول الصويا في الوجهين البحري والقبلي فزاوعت الحادثة فنجحت التجارب في ملوي وسدس نجاحاً عظيماً يدعو المنتظر أن تعمم الوزارة زرعه في المناطق الملائمة حتى يمكن الاستفادة منهُ استفادة تامة . وهذا النوع الجديد من المحصولات التي يراد ادخالها لا يقتضي نفقات كثيرة فالاعمال الزراعية التي يحتاج اليها قليلة التفقة اذا قوبلت بالفوائد التي تجنى منهُ واذا قوبل بالمحصولات الاخرى للاسباب التالية : ١ — إنهُ أفضل المحصولات التي تعطي حبوباً غنية في موادها الغذائية ولا سيما البروتين . ٢ — انهُ اغنى علف أخضر يحتوي على مادة الاڤوت الضرورية لبناء جسم الحيوان والانسان . ٣ — نجاح زرعه في جميع أنواع التربة ومقاومته لظروف السيئة التي قد تحيط به ، وصبره على العطش وغزارة الماء ، اكثر من غيره من المحصولات . ٤ — يساعد على المحافظة على خصب الارض كثيراً بفعله . ٥ — من السهل جداً استخراج الزيت منهُ . وهذا الاستخراج لا يقتضي اكثر مما يقتضيه عصر بذرة القطن ومن السهل عصر حبوب هذا الفول بالآلات المستعملة لعصر بذرة القطن من تعديلات لا تكاد تذكر . ويستخدم زيته في طعام الانسان ولا سيما الطبقات الفقيرة

ويستعمل في صناعة الصابون . ويمكن الحصول على ١٠ ٪ منهُ كتابيح ثانوي ضد

ادخاله في هذه الصناعة . ويستخدم في صناعة انواع الدهان والكاوتشوك الصناعي والشمع وتزييت الآلات والسيارات . ويصنع منهُ لبن لا يقل في خواصه عن اللبن الحيواني، ويجفف ويباع كدقيق لبن . وتصنع منهُ كذلك صلصة (١) تستعمل في ظروف كثيرة ، وتحدَّث كير زراعي مع احد مندوبي المقطم فقال له ان ادخال هذا المحصول سيحدث في البلد نهضة صناعية تساعدنا في رقينا الاقتصادي بعد ما ثبتت الوزارة فوائده الجليلة . ثم قالت المقطم في فائدة فول الصويا في علاج المرضى بالسكر :

كتبنا في عدد سابق من المقطم في مقدار النجاح الذي أحرزته وزارة الزراعة في تجربة زرع فول الصويا بمحطات التجارب بها . وقلنا ان نيتها اتجهت الى حمل الزراع على زرع هذا النوع من البقول التي لا تجهد الارض والانتفاع بمحصولها وبذرتها وقد قال حضرة محمود حلمي بك مدير قسم الزراعة الفنية والاكتار لاحد مندوبي المقطم إن الوزارة تلقت في الايام الاخيرة طلبات من الزراع خاصة بمدهم ببذور هذا الفول ، وستجيبهم الوزارة الى ذلك . ولكن يلاحظ ان هذا المحصول يصاب بدودة ورق القطن فيكون من الاوفق زرعه في المناطق التي تقل فيها الاصابة او تنعدم

وحيث ان تجارب زرعه نجحت في سدس وسلوي فان الوزارة ستزرعه في هذا العام في مصر الوسطى وشمال مصر السفلى ولا سيما ان تعدد اصنافه يجعله مطابقاً للدورة الزراعية لكل اقليم ويلاحظ ان هذا الفول استعمل في بعض المستشفيات لمعالجة المصابين بمرض السكر فثبتت فائدتهُ في العلاج . وهذه بلاشك مزية جليلة نضيفها الى ما اذاع المقطم (قال كاتب هذه السطور — والمقتطف من قبله) من مزايا هذا المحصول الجديد

البابائين Papain ومنافعه
في تليين اللحوم وفي العلاج

وصفنا البابائين في مقالنا بمقتطف يونيو سنة ١٩٣٥ ومقتطف مايو سنة ١٩٣٧ . وهو الخمارة المجففة لقشور اثمار البابايز الفجة وهو المستعمل طبياً لعلاج امراض المعدة ، وما ان اكتشف الكيمياويون خاصيته في تليين اللحوم المجففة حتى بلغ ما استهلك منهُ في الولايات المتحدة الاميركية أربعة امثال ما اعتيد استنفاده منهُ

وفي سنة ١٩٣٦ استوردت الولايات المتحدة من اثمار البابايز ٥٤٠٠٠ رطل من جزيرة سيلان وهي المصدر الفريد لذلك الثمر، بلغ ثمنها ٥٠٠٠٠ ريال . وفي سنة ١٩٣٨ ارتفعت تلك المقطوعية الى ٢٢٣٠٠ رطل بلغ ثمنها ٣٢٩٠٠٠ ريال ، وجاء في تذكرة ابن ارمايوس : — البابايز ثمر نبوي كل ويحصل من سوقه على سائل لبني طارد للديدان ، بمقدار نصف ملعقة صغيرة للاطفال . وقال علي البابائين : انهُ مسحوق

(١) نشرنا في هذه الصلصة ضمن اغذية البابائين وطرق تحضيرها هذه الاغذية المطبوع في القاهرة سنة ١٩٢٥

أبيض يحضر من عصير الباذنجان مقو للقلب ، خافض للحرارة ، هاضم ، مذيب لأشنية الدفتيريا مسكن مخفف ، بدهيه ١٠ : ٤ سنتجراماً . قلت :—

وهذا ما ابتلاه في ذينك الفالجين فليراجعهما

في المقتطف في موضعهما من شاء من قرائه فنهيب بوزارة الزراعة ان تعنى بتشجيع زرع الباذنجان لاستخراج البابائين منه فتجني آلوف الجنيهات سنويًا

عوض جندي

عثائر صاحب الحجر « تانيوس »

بيان مصلحة الآثار عنها في ٢٠ فبراير

بينما كان المسيو مونتيه الأستاذ بجامعة ستراسبورج يعمل في العام الماضي في الحفائر في صان الحجر لاحظ وهو ينقب الحجرة المشتملة على التابوت الفضي للملك نشنق كتلة من الجرانيت الوردي تبلغ في ارتفاعها وفي عرضها حجم الباب وكانت هذه الكتلة مداخلة في الجدار الحجري من الناحية الغربية . وقدر المسيو مونتيه ان هذه الكتلة هي سد لمدخل كهف جنازي من الجرانيت مشابه لذلك الذي اكتشفه في مقبرة أزركون المجاورة ، لكن الوقت لم يسمح له أذذاك للتحقق من صحة فرضه واستأنف اعمال الحفر منذ أيام بمعاونة المسيو بوشيه ووجه عنايته الى اخراج الكتلة من الجدار وقد تحقق رجاؤه اذ وجد ان الكتلة تسد دهليزاً يؤدي الى باب حجرة جنازية من الجرانيت الوردي وهي للملك بسوسنس الاول (١٠٨٥ — ١٠٦٧ ق.م) وهو ثاني ملوك الأسرة ٢١ ولم تكن هذه الغرفة قد عبث بها انسان

وهي مستطيلة الشكل يبلغ طولها نحو ٧ امتار وعرضها حوالي ٣ امتار وفي نهايتها تابوت ضخم من الجرانيت وامامه أدوات جنازية موضوعة على الارض

والتابوت على هيئة حفرة مستطيلة جوانبها مزخرفة بنقوش بارزة وعلى غطائه ترى صورة بارزة للملك على شكل أزوريس مستلقياً على ظهره كما توجد آلهة جانبية عند رأسه تحميه بذراعيها الممدودتين وفي الوسع ان يرى من الفتحة الصغيرة بين التابوت والغطاء تابوتاً آخر على شكل آدمي من الجرانيت يمثل صورة الملك

وامام التابوت صندوقان بهما تماثيل « شوابتي » أي تماثيل جنازية صغيرة منقوشة باسم الملك . وقد اتلفت الرطوبة الصندوقين . اما التماثيل الصغيرة فتكون مجموعتين هامتين . والى اليمين اربعة ابرار للاحشاء (كانوب) اغطيتها على شكل الرأس . ولباس الرأس ذو خطوط ملونة بالوانين الازرق والذهبي وهناك اناء كبير من المرمر لا يزال مختوماً . وبقرب الباب هيكل عظمي لحيوان صغير ربما كان كلباً

وعلى امتداد الجدار بالجهة اليسرى وضعت مجموعة من الاواني الذهبية المصنوعة صنعاً يتجلى فيه الذوق والبساطة . وهي في حالة حفظ جيدة فمنها كأس على هيئة زهرة اللوتس وزجاجة ذات عنق طويل ثم ابريق وآناء للشرب ذو مجرى على شكل منقار ومسكب للماء

بمرورة وكؤوس مختلفة . كما وجدت ايضاً كؤوس من الفضة . ومعظم الكؤوس منقوشة نقشاً دقيقاً . ولكن بعضها مزين بصفوف من اللوزات . ويتم هذه المجموعة البديعة من الاواني مائدة فتراين ذات ساق ابنوسية الشكل يعلوها قرص مستدير . وكذلك نموذج لقطعة اثاث من النحاس . وهي القطعة الوحيدة التي ليست من مادة ثمينة في هذه المجموعة

أما فتح الكؤوس المختومين من الخزانات ونقل عظامها فيقتضي بعض الوقت نظراً الى ثقلها وصعوبات السير في مكان ضيق كهذا الكهف الجنازي

* * *

وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فزار هذه المقابر في ٢٨ فبراير ونزل الى مكان الكشف الأثري الجديد يصحبه الاستاذ مونتيه ومساعده المسيو بوشيه

تركيب نخاع العظام

في أنباء مجمع تقدم العلوم الاميركي ان جماعة علماء الكيمياء بكلية أوبرلين جادُّون في سبيل صنع نخاع العظام بالتركيب الكيميائي ومن المسلم به في كتب الفسيولوجيا ان نخاع العظام هو المادة التي تولد كريات الدم البيض. فاذا استطاع العلماء صنعهُ بالتركيب الكيميائي أسدوا خدمة جليلة الى علوم الصحة

***

فقد أذاع الاستاذ هري هوس ومساعداه روث كوربت ووليم جيجر أنهم نجحوا في استخلاص مادة مبلورة من نخاع العظام بعد إزالة مادته الدهنية بالتصبن . وهم يعتقدون ان إحدى المواد الداخلة في هذه البلورات هي المادة التي تولد كريات الدم البيض ومما يحملهم على هذا الاعتقاد انهُ من المعروف عند علماء الكيمياء والفسيولوجيا ان هناك صلة بين الكريات البيض والمادة غير القابلة للتصبن في نخاع العظام

السلفانيلاميد ونمو النبات

يعرف قراء المقتطف ان السلفانيلاميد عقّار جديد عجيب الفعل في طائفة كبيرة من الأمراض . وقد فصلنا فعلهُ في المقتطف ثم في كتاب آفاق العلم الحديث . ومن محاسن الاتفاق أن هذه المادة التي تقي الجسم فعل الجراثيم تصلح كذلك لتنشيط النمو في جذور نبات التبغ . فالنباتات التي رويت بماء فيه من ٢٠ الى ٤٠ جزءا من السلفانيلاميد في كل مليون جزء من الماء أنبتت جذوراً جديدة ثلاثة أيام او أربعة قبلما أنبتها نباتات مثلها حرمت من هذا العقار

وينسب هذا البحث الجديد الى الدكتور أرنست سبنسر أحد علماء معهد روكفلر في برنستون

فهرس الجزء الثالث

من المجلد السادس والتسعين

وجه

٢٤٩ اسرار الذرة

٢٥٥ الالتزام البيض

٢٥٩ البحث العلمي وتأثيره في الصناعات الحديثة: لمعالي سابا حبشي بك، وزير التجارة والصناعة

٢٦٥ شفشاون: لأمين الريحاني

٢٧٦ ثروتنا الزراعية وكيف تنميها: لمعالي محمد توفيق حفناوي بك وزير الزراعة

٢٧٩ فضل العرب على المدنية الحديثة: نقل حسن السلمان مدير معارف البصرة

٢٩٣ من اسرار العربية: لاسماعيل مظهر

٣٠٠ الصحافة والطباعة العربية في السودان: لخليل ثابت بك

٣٠٣ الغذاء بعد سن الاربعين: للدكتور حسن كمال

٣٠٦ العاطفة والفكرة في الشعر: للدكتور اسماعيل احمد ادهم

٣١٦ الثروة من القذر: وعجائب التركيب الصناعي والكيميائي

٣٢٠ سر من اسرار العربية: لمحمود محمد شاكر

٣٢٦ مؤتمر الفلسفة الهندي: للسيد ابو النصر احمد الحسيني الهندي

٣٢٩ سير الزمان * روسيا السوفياتية: ١ — روسيا وكتلة السلام. ٢ — الميثاق الروسي الالماني. ٣ — تأثيره في المانيا وروسيا. ٤ — تأثيره في شريكات المانيا. ٥ — في الدول الحايدة. ٦ — روسيا ودول البلطيق. يوميات دولية ١٣ — بادروفسكي يعود الى الكفاح. ٢ — المعادن والحرب. ٣ — بطولة الفلندين. ٤ — الفواصات بين الحربين

٣٤٠ مكتبة المقتطف * المذهب البشري. وحي الرسالة. عمر بن أبي ربيعة. العامة قديماً وحديثاً. ديوان ماهر. ابحاث علم النفس. وحي الخاطر. حياة الظلام. في الحجاز

٣٤٤ باب الاخبار العلمية * الالم: حاسة سادسة. فول الصويا او البسلة الصينية. فول الصويا في مصر. البابائين ومثانه. حفائر صان الحجر (تانيس). تركيب نخاع العظام. السلفا يلاميد وتموالبات